

مجلة الحضارة

مجلة علمية حولية محكمة



تصدر عن

مركز الحضارة وحوار الأديان، جامعة بايرو، كنو - نيجيريا

رجب، 1445 هـ - نوفمبر 2024 م

العدد الثاني - الرقم (1)

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف النبيين والمرسلين،
وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين

© Copyrights 2024,

Centre of Islamic Civilization and Interfaith Dialogue, BUK

All rights reserved. No part of this publication may be reproduced, stored in a retrieval system or transmitted in any form or by any means electronic, mechanical, photocopying, recording or otherwise without the prior written permission of the Editors/Publisher.

ALHADARAH JOURNAL FOR ISLAMIC CIVILISATION
AND INTER-FAITH DIALOGUE

Volume I, Number 2, Rajab 1446 H/ Nov, 2024

ISSN: 3027-0057

A Publication of:
CENTRE OF ISLAMIC CIVILISATION AND INTERFAITH DIALOGUE
Bayero University, Kano
Email: alhadarahbuk@buk.edu.ng
Phone: +234(0)803 686 6616

Printed by:

Upwisegreen Enterprises
upwisegreen.enterprise@gmail.com
08024453333

هيئة التحرير

رئيس هيئة التحرير
الأستاذ المشارك محمد الثاني عمر

المحرر
الأستاذ المشارك توفيق أبوبكر حسين

أعضاء هيئة التحرير

- (1) أ.د. علي عثمان دوسنما
- (2) د/إبراهيم عبد الله ثاني
- (3) د/شعيب مختار شعيب
- (4) د/نجيب أول أبوبكر
- (5) د/كبير هارون عيسى
- (6) د/ محمد سليمان فغي
- (7) عبد الواسع عبد اللطيف صلاح الدين

الهيئة الاستشارية

- (1) الأستاذ الدكتور محمد ثاني زهر الدين جامعة بايرو، كنو – نيجيريا
- (2) أ.د محمد. أحمد لوح كلية الاستقامة السنغال
- (3) أ.د. ثالث شيجو جامعة الاستقامة كنو
- (4) أ.د. إبراهيم محمد قرية اللغة العربية الجامعية
- (5) أ.د. أبوبكر ميغا جامعة مالي، بماكو
- (6) أ.د. علي محمد الأحمر جامعة ميدغري
- (7) د. سعيد سيلا محمد مدير جامعة الساحل جمهورية مالي
- (8) أ.د. سعادة ليمن جامعة نصرأوا، كيفي



قواعد النشر مجلة الحضارة الإسلامية

أود أن أقدم للقارئ الكريم مجلة الحضارة الإسلامية من مركز الحضارة الإسلامية وحوار الأديان لجامعة بايرو كنو، نيجيريا. فهي مجلة تصدر عن المركز سنويا. وستخضع الأوراق المقدمة إليها للتحكيم الأكاديمي من المتخصصين في مجال الحضارة والثقافة الإسلامية. مبدئيا سوف تُصدّر المجلة في العام مرة واحدة، وإذا ما تطلب الأمر إلى إصدارين فسوف نقوم به.. فهئية التحرير للمجلة تود أن تعلن إستقبال الأوراق والمقالات الأكاديمية في فنون الحضارة والتاريخ الإسلامي والأفريقي والدراسات الشرعية. وكل ما له صلة بالحضارة الإسلامية. كالآتي:

1. الدراسات الشرعية
 2. تحقيق مخطوط
 3. التاريخ والحضارة الإسلامية
 4. تراجم علماء جنوب الصحراء
 5. تاريخ الإسلام في إفريقيا
- يمكن تقديم الأوراق باللغة العربية أو الإنكليزية أو لغة الهوسا
1. يجب تقديم الأوراق بالصبغة الأكاديمية و الابتعاد عن الأسلوب الإنشائي
 2. تقديم الورقة بإحدى اللغات العربية أو الإنكليزية أو الهوسا بأسلوب سلس ممتع
 3. لا يجوز تقديم ورقة تم نشرها مسبقا في مجلة أخرى
 4. سوف تخضع كل الأوراق للنقد الأكاديمي عن علماء أكفاء وسوف تقبل الورقة هيئة التحرير فقط إذا وافق عليها المحرر وبعد تفعيل كل الملحوظات المشار إليها.
 5. وإذا ما أشار المحرر عدم موافقته بالورقة وبأنها خالية من المادة الأكاديمية سوف تعمل بذلك هيئة التحرير وتقوم بإلغاء الورقة تماما.
 6. يجب إرفاق كل ورقة بمبلغ خمسة آلاف نيرة نيجيرية N5000 ترسل على حساب المركز كالتالي:
GTB 0165879870 .Taufiq Abubakar Hussaini
 7. وترسل مبلغ عشرون ألف نيرة N25،000 لنشر الورقة التي تم تحريرها والموافقة على نشرها. كما يبعث بالمستند المؤيد لذلك إلى رئيس التحرير
 8. تبقى كل الآراء والأقوال المنشورة في المجلة آراء فردية لأصحابها ولا نعبر بأي حال من الأحوال عن رأي المجلة

9. تبعث بنسخة الأوراق إلى رئيس التحرير على العنوان التالي: alhadarahbuk@buk.edu.ng

طريقة توثيق المصادر/المراجع:

1. تقدم الأوراق كلها مطبوعة بصيغة الورد MS Word على مسافة 1.5
2. يكون مساحة الحواشي من جانبي الورقة على بعد 1.2 من الجانب الأيمن والأيسر. ومسافة 1.5 من أعلى وأسفل الورقة.
3. تكون نوعية الخط traditional Arabic وبحجم 18 في النص و12 في الهوامش.
4. ينسخ الآيات القرآنية من المصحف المدني المرقم حيث يأتي ذكر اسم السورة ورقمها بعد الآيات مباشرة
5. يقدم ملخص البحث فيما لا يقل عن 200 كلمة حيث يذكر فيها ما لا يقل عن أربعة كلمات مفتاحية
6. ينبغي ألا يتجاوز عدد صفحات البحث أكثر من 20 صفحة وألا تقل عن 15 صفحة
7. يجب توثيق كل المصادر المذكورة في البحث عن طريق الهامش كالاتي:
 - (أ) ذكر الكنية أو اللقب ثم ذكر بقية أسماء المؤلف
 - (ب) يجعل الخط تحت اسم المصدر
 - (ج) ذكر مدينة النشر
 - (د) ذكر سنة النشر
 - (هـ) نحو: ابن حجر: أحمد بن علي العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، بيروت. دار المعرفة، 1379 هـ ج 2 ص 34
 - (و) وعند ذكر المرجع للمرات القادمة يشار إليه ب ابن حجر: المصدر السابق ج 4 ص 67
8. يذكر في آخر البحث كل المصادر المذكورة في البحث مع كامل بياناتها. الهوسا.

فهرس المحتويات

ج	هيئة التحرير
د	قواعد النشر مجلة الحضارة الإسلامية
و	فهرس المحتويات
ز	كلمة النشر
10	الاجتهاد في الفكر السياسي عند الترابيد .د/إسماعيل أمين ساغاي
20	محمد عبده وجهوده في التفسير .د/تجاني زير رابع
34	دعوة الشيخ جعفر محمود آدم في ولاية بَرُنُو: د/إسماعيل هاشم أبوبكر
59	تخصيص المقطوع بالمظنون عند الأصوليين .د/مصباح هادي تجاني
73	مهنة المحاماة في منظور الشرع الإسلامي عائشة محمد لوكوا
87	موقف الداعية من الفتن .د/بشير إمام علي /محمد عبد القادر
99	دراسة شبهات القرآنيين حول السنة النبوية والرد عليها .د/عمار ناصر محمد
119	المراكز المشعة للفكر الإسلامي .د/توفيق أبوبكر حسين / د سعيد أحمد خالد
133	المرأة المسلمة والوظيفة العامة في القرن الحادي والعشرين رؤية إسلامية. رابع سليمان غزرا
158	السنة النبوية في مواجهة ثقافة العنف صلح الحديدية أنموذجا .د/نجيب أول أبوبكر
171	محاسبة الموظف في إطار ضوابط تدبير المال في الجمع والانفاق .د/رابع يحي حسن
189	اجتهادات السيدة عائشة في تفسير القرآن الكريم .د/كفركو مصطفى محمد قاسم
200	التربية العربية في ظل الدولة الإسلامية .د/إبراهيم عبد الله ثاني

كلمة النشر

الحمد لله والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على أفضل الخلق الله نبينا ومولانا محمد و على أصحابه ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين

نقد للقارئ الكريم المجلد الثاني لمجلتنا مجلة الحضارة الإسلامية الصادرة من مركز الحضارة الإسلامية وحوار الأديان بجامعة بايرو كنو نيجيريا.

هذه المجلة تهتم بنشر الأوراق الأكاديمية على مختلف الموضوعات في الحضارة الإسلامية وتاريخها المجيد. كما أنها تهتم بجانب التطبيق العملي من هذه الأوراق بغية حل المشاكل المستعصية بين الشعوب في الوقت الراهن. فالأوراق كلها تخضع لتقويم ونقد أكاديمي كي ترفع مضمونها الأكاديمي وتصحح الأخطاء قدر المستطاع, علما بأن الأوراق لا بد وأن تتناسب مع المحور الأساسي للمجلة ومركز الحضارة الإسلامية وحوار الأديان لجامعة بايرو.

في هذا العدد نقدم أوراقا عالجت موضوعات عديدة منها التربية الإسلامية و معالجة العنف بجميع صورته البشعة, وحرية المرأة المسلمة في التعليم والتدريس والتوظيف, ومسائل الاقتصاد , وأساليب الدعوة إلى الله وشموخ الداعية أمام الفتن, ثم الحديث عن التأصيل العلمي الفقهي.

ونأمل أن تكون هذه الإسهامات على قد ساعدت في التوعية العامة أولا ثم فتح أبواب البحث العلمي على أبوابه وآفاقه المترامية الأطراف لجميع من أراد أن يوسع في أي موضوع منها.

فالله سبحانه وتعالى نسأل أن يتقبل منا جميع وأن يغفر لنا جميع الخطايا إنه على ذلك قدير .

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

د/توفيق أبوبكر حسين (زمزم)

المحرر



محلة الحضارة الإسلامية . مركز الحضارة الإسلامية وحوار الأديان





الاجتهاد في الفكر السياسي عند الترابي

د. أمين إسماعيل ساغاجي
قسم الشريعة والدراسات الإسلامية
جامعة بايروكنو، نيجيريا
08033699449, 08023795583
Email: aminusagagi2017@gmail.com

ملخص البحث

تهدف هذه الورقة إلى تتبع بعض أفكار الشيخ حسن الترابي السياسية لإبراز موقفه من الاجتهاد في شؤون الحكم وقضايا السلطة. لقد تأكد للباحث - بعد مداولة مسائل البحث - أن باب الاجتهاد لم يزل منفتحاً ولن يغلق ما دام الإنسان مكلفاً، وأن زماننا هذا قد أفرز من المجتهدين من وصل إلى مرتبة المجتهد المطلق! ولقد اهتم الشيخ حسن الترابي بقضيتي الاجتهاد والتجديد في الدين ويرى أنه لا بدّ للمجتهد من علوم اجتماعية وبيئية ولغوية بالإضافة إلى العلوم الشرعية. وأن الاجتهاد في عصرنا ينبغي أن يكون جماعياً شورياً. كما أن موضوع السياسة والحكم هو أفقر مجالات الفقه إلى الاجتهاد والتجديد. وحاول الترابي أن يقدم نموذجاً لنظرية سياسية إسلامية متكاملة في الحكم وانتخاب الحاكم وأخلاق الحكم والسياسة، ومدة الحكم، وآداب تشكيل الأحزاب، وممارسة الدعاية الانتخابية.

المبحث الأول

باب الاجتهاد بين الفتح والإغلاق

إن موضوع الاجتهاد - رغم تقادمه - لا يزال محل نزاع بين الفقهاء والمهتمين بالمسائل الفكرية، لا سيما حين يحاول أحدهم أن يرى رأياً في مسألة جديدة من مسائل الدين المتعلقة بحياة الناس العملية، فهنا يحتدم النقاش وتترادف التساؤلات عما إذا كان أهلاً للاجتهاد، وهل بقي في العصر كله من هو أهل له أم لا، وما هو الاجتهاد؟ ومتى يكون؟ وممن؟ وكيف؟ وهل لا يزال باب الاجتهاد مفتوحاً أم تم إغلاقه منذ عمده بعيد؟ وهكذا ...
ما هو الاجتهاد؟

فالاتجاه هو بذل الجهد والطاقة ، أو تحمل الجهد والمشقة واستفراغ الوسع في تحصيل العلم أو الظن بالحكم² وهو "بذل الوسع في نيل حكم شرعي عملي بطريق الإستنباط"³ ولقد اختار الشوكاني هذا التعريف مركزا على ضرورة اقتران الاجتهاد بالاستنباط، إن مجرد حفظ المسائل الفقهية أو جمعها ومعرفتها من خلال السؤال أو البحث، كل ذلك لا يسمى اجتهادا ما لم يؤد إلى استنباط حكم جديد أو تقديم حلول ناجعة لقضايا عويصة.

فالاتجاه بهذا المفهوم منهج فقهي أصيل كفيل بإعداد حلول للمشكلات المستجدة، كي يعيش الناس حياة متوازنة بين حماية حدود الدين ورعاية مصالح العباد وحقوقهم. فالعلم والفهم والفقهاء والإستنباط كلمات أشاد القرآن بها لدورها الفعال في تعقل النص وجلب الأحكام منها، قَالَ تَعَالَى: ﴿

أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفُرْقَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ النساء: ٨٢

شروط الاجتهاد

لقد اجتهد العلماء فاستنبطوا للمجتهد شروطا لا بد من استيفائها قبل النهوض بعملية الاجتهاد، من هذه الشروط كما يرى أبو حامد الغزالي:

- 1- العقل
- 2- البلوغ
- 3- الورع
- 4- معرفة الناسخ والمنسوخ
- 5- معرفة الأحاديث المتعلقة بالأحكام
- 6- العلم بالسقيم والصحيح من الأحاديث
- 7- معرف سيرة الصحابة (منها فتاويهم ومذاهبهم) في استنباط الأحكام
- 8- معرفة مذاهب الأئمة
- 9- معرفة علم أصول الفقه
- 10- معرفة أحكام الشرع

² انظر، الشاطبي، للموافقات، تحقيق أبو عبيدة الناشر، داربن عفان، ط 1 1997 م ج/5، ص 51.

³ انظر الشوكاني ، محمد بن علي، إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، نشر دار الكتاب العربي ط (1)، سنة 1999 م، ج 2، ص 206.

11- فقه النفس⁴ (فقه الحياة والناس)⁵

ورغم اختلاف العلماء في عدد هذه الشروط ومضامينها إلا أنها كلها تتغييا الحيلة والحذر من صدور الاجتهاد ممن لا يحسن الصنعة لعدم المعرفة أو النقص في الخبرة والممارسة. فإذا صدر الاجتهاد ممن توفرت لديه الشروط فهو مأجور- إن أخطأ- بأجر واحد، وهو أجر بذل الجهد وحسن النية. وإن أصاب فله أجران أجر بذل الجهد وحسن النية وأجر الإصابة في موافقة مقصد الشارع. ويكفي هذا فضلا للإجتهد.

محال الاجتهاد

محال الاجتهاد هو "حكم شرعي ليس فيه دليل قاطع..."⁶ فلا إجتهد في قطعيات الشرع كوجوب الصلاة وتحريم الخمر... وكذلك لا يكون الاجتهاد - عند الأصوليين في المسائل الاعتقادية، أو العلوم الطبيعية، فالاجتهاد فيها لغوي فقط لقد أسلفنا أن الغاية من إحاطة الاجتهاد بشروط واحترافات هي التأكد من سلامة الأحكام الشرعية من التلاعب... وصونها من التحريف أو التغيير.

ولكن بعض العلماء يرى ضرورة إغلاق باب الاجتهاد، ولا يجد في العصور المتأخرة من هو جدير به⁷ فأصحاب هذا الرأي أشاعوه في كل اتجاه، وتنوعوا في نشر آراءهم تلك شعرا ونثرا، يقول الإمام أبو إسحاق إبراهيم بن أبي بكر التلمساني الشهير بالبنا في إحدى آيات شعر له:

فلم تدع سالفة الأوائل * في كل علم قولة لقائل⁸

ومن ذلك مثل العبارات الآتية: "لم يبق للمتأخر اختراع في شيء أصلا سوى الموافقة للمتقدم"⁹. "إنهم (أي المتقدمون) لم يتركوا في جميع العلوم ما يقوله أحد"

ومعلوم أن أغلب علماء هذا العصر لا يرى إغلاق باب الاجتهاد، مثل الشيخ محمد أبي زهرة، وعبد الكريم زيدان والشيخ يوسف القرضاوي والدكتور حسن الترابي.

⁴ أنظر الغزالي، المنحول ، ط1، 3، دار الفكر المعاصر لبنان - بيروت سنة 1998م، ج1، ص: 59.

⁵ أنظر ، القرضاوي، الاجتهاد في الشريعة الإسلامية دار القلم، كويت ، ط:2، 1989م، ص 47.

⁶ القرضاوي، الاجتهاد في الشريعة الإسلامية، ص 65.

⁷ أنظر عبد الكريم ، زيدان، المدخل لدراسة الشريعة الإسلامية، دار الوفاء، بغداد العراق، ط1، 1992م، ص : 124.

⁸ أنظر ، أبو الحسن البغدادي، الإجتهد والتقليد في الفقه المالكي، ص 220 - 221.

⁹ أبو الحسن البغدادي، المرجع السابق.

ولهم في ذلك قدوة بالأئمة المتقدمين لهم كالإمام الشوكاني وعبد الرحمن السيوطي، فإن الأخير وضع كتابا مستقلا ينافح فيه فكرة إغلاق باب الاجتهاد وعنوان الكتاب ذاته صريح في ذلك: "الرد على من أخذ إلى الأرض وجحد بأن الاجتهاد في كل عصر فرض".

إن فكرة إغلاق باب الاجتهاد غير منطقية لأن العلوم منح إلهية ومواهب اختصاصية وإذا كان الأمر كذلك فغير مستبعد أن يدخر لبعض المتأخرين ما عز على بعض المتقدمين¹⁰ وليس هذا فحسب بل إن الشيخ يوسف القرضاوي يعدد جملة من القضايا والمسائل المستجدة في عصرنا والتي لم تحدث في العصور المتقدمة ولم يعايشها أئمة المذاهب ولا تلاميذهم فيجتهدوا فيها. والحق إن باب الاجتهاد لم يغلق، بل وجد في عصرنا هذا عدد كبير من المجتهدين وصل بعضهم إلى مرتبة الاجتهاد المطلق. ولا غرو في ذلك فمثل أمة محمد مثل المطر لا يدرى أوله خير أم آخره. فمن النوابغ الذين أفرزتهم هذه الأمة الشيخ محمد عبده، ورشيد رضا، ومحمد أبو زهرة والطاهر بن عاشور، والدكتور يوسف القرضاوي.

المبحث الثاني

الترابي... والاحتماد

الشيخ حسن بن عبد الله بن دفع الله الترابي (فبراير 1932 – 5 مارس 2016) شخصية متعددة المواهب والفضائل والخصائص والمميزات أفرزتها أسرة دأبها التزكية النفسية والتصفية الروحية فتشرب منها قيم السماحة، والتواضع، والحياء والإيثار، والحزم، والصبر والجدية، فتراكمت جميع هذه الفضائل لتشكل طاقة نفسية وذهنية متوقدة، أسهمت في إنتاجاته العلمية والفكرية طول حياته. أما تعليم الترابي، فقد بدأ من البيت حيث أن والده الذي كان قاضيا في المحكمة الشرعية بالعديد من المدن السودانية، حريص على تدريس أبناءه، فتعلم من والده قراءة القرآن وعلوم الشرع واللغة.

وتدرج في مراحل التعليم النظامي حتى وصل القمة، إذ تخرج في كلية القانون بجامعة الخرطوم سنة 1951م، ونال شهادة الماجستير من جامعة لندن سنة 1959م، والدكتوراة من جامعة السوربون بفرنسا في العام 1964م.

فالحصيلة العلمية الزاخرة للترابي تتمثل في إتقانه لتلاوة القرآن حفظا وتجويدا، وتبحره في علوم الشريعة من الفقه وأصول الفقه وعلوم القرآن، وإجادته لعلوم اللغة العربية نحوها وصرفها

¹⁰ البغدادي أبو الحسن المالكي: "الإجتهاد والتقليد، ص 221.

وبلاغتها بالإضافة إلى إجادته للغات الإنجليزية والفرنسية وإلماما باللغة الألمانية. كما أن رغبته الحميمة للقراءة والإطلاع دفعته إلى العكوف على أمهات الكتب من كل فن - تقريبا - كعلوم السياسة والتاريخ والفلسفة.

فلا غرابة لشخصية مثل هذه، أن يكون لها رأي في قضايا العصر ونوازل الساعة. أضف إلى ذلك كونه تواقا إلى البحث عن حلول لمشكلات الحياة السياسية والاقتصادية، والاجتماعية والثقافية. فهذا هو السر في ميل الترابي إلى الدعوة إلى الاجتهاد والتجديد.

يرى الترابي أن الاجتهاد أضحي ضرورة حتمية في عصرنا الراهن لما يثار فيه من معضلات جديدة وأقضية حادثة لم يكن للفقهاء عنها أجوبة مسبقة... " فلا بد إذا من اللجوء إلى الأصول الشرعية لاستنباط مدد فقهي جديد..."¹¹

من كلامه السابق نرى أن الترابي يوافق كافة علماء الإسلام في أن عملية الاجتهاد لا تكون مقبولة ما لم تلتزم بمبادئ الشرع ومسلمات الدين. ومن ذلك قوله في محل آخر: "إن الفقه الإسلامي فكر ملتزم بمعالم الطريق إلى الله، وليس فكرا مجردا أو هوى معربدا، بل هو تفهم وتفقه للشريعة الإسلامية..."¹². وهذا الكلام مطابق تماما لما قاله السرخسي في كتابه أصول الفقه: "...الاجتهاد في الأحكام إنما يكون بالتأمل في النصوص التي هي أصل أحكام الشرع..."¹³

وفيما يتعلق بثقافة المجتهد يقول الترابي: "ولا يمكن أن نجتهد إلا إذا تعلمنا علوم الطبيعة كما نتعلم الشريعة. ذلك أن علم الطبيعة هو الذي يعرفك بالواقع وأدواته ... ولذلك يستدعيك أن تدرس المجتمع دراسة اجتماعية اقتصادية وأن تدرس البيئة الطبيعية دراسة فيزيائية وكيميائية حتى تستطيع أن تحقق الدين بأكمله ما يتيسر لك".¹⁴

ولعله من الطريف أن نجد الشيخ حسن الترابي يلتمس أعذارا لفكرة إغلاق باب الاجتهاد رغم رفضه لأصل الفكرة وعدم تأييده لها. إلا أنه يرى ثمة أسباب منطقية أدت إلى إغلاق باب الاجتهاد.

كان ذلك نتيجة لابتلاءات متتالية أصابت العالم الإسلامي بدأً بالهجوم الهجمي لقوات المغول التتارية وما أعقبها من الحروب الصليبية، ثم انتشار مذاهب هدامة وحركات باطنية، كل هذه الفتن

¹¹ حسن الترابي الدين والتجديد، وقالة منشور في كتاب تجديد الفكر الإسلامي، شركة مطابع السودان للعملة المجذودة، الخرطوم ط (1)، 2017م، ص 103.

¹² الترابي، "تجديد الفكر الإسلامي، ص: 29.

¹³ السرخسي، أصول الفقه، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، ط (1)، 1994م، ج 2، ص 159.

¹⁴ الترابي: "تجديد الفكر الإسلامي، ص 44.

دفعت علماء تلك القرون أن يفتوا بتوقف الاجتهاد حفاظا لفقهِه الإسلامي ودفاعا عن حياض الشريعة من أن يلوّثها العابثون وما أكثرهم في تلك الأيام.¹⁵ تلك أمة قد خلت، بما لها وما عليها فنحن الآن ينبغي أن ندعو إلى الاجتهاد الحقيقي لتعويض الأمة ما فاتها، من أسباب النهوض والتقدم الفقهي الذي ينظم للناس حياتهم من جوانب شتى. واعترف التراي أن للاجتهاد محاذيره فقد يخشى الناس إذا فتحنا الباب على مصراعيه لكل ذي رأي وكل ذي هوى أن يتفرق بالمسلمين المذاهب وتتشتت بهم السبل وتتبدد وحدتهم... ومع ذلك يرى أنه مهما كان في ذلك من وجهة فإن الجمود الفكري يؤدي إلى ضلال أوسع من الاجتهاد في كل حال.¹⁶ ويوافق التراي على وضع شروط للاجتهاد أو للمجتهد، فلا بد أن يبلغ المجتهد درجة من علم القرآن والسنة ومن الإحاطة بالتراث الفقهي الاجتهادي، وبتاريخ الإسلام وفكر المسلمين من السلف بواقع الحياة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية، والتقنية ... ويلتمس معالجتها بمعيار الإسلام...¹⁷

وغاية الاجتهاد عند التراي هي "أن نرد المجتمع إلى الأصول الأولى من القرآن والسنة مستنيرين ومسترشدين بتقاليدنا وتراثنا وتجارب سلفنا الصالح الذي طبق الإسلام تطبيقا معينا.¹⁸ من المعروف أن مجال الاجتهاد واسع جدا، وموضوعاته متعددة، ولذلك وجدنا أن نصيب بعض المسائل الفقهية من الاجتهاد أكثر من مسائل فقهية أخرى. فعند ما نجد ثراء فقهيًا في أبواب العبادات والعلاقات الأسرية مثلا نواجه بندرة اجتهادية في مجال السياسة والحكم والعلاقات بين الدول. بناء على ذلك يرى حسن التراي أن مجال الحكم والسياسة أحوج إلى الاجتهاد في عصرنا من بقية مجالات الفقه، ومنازل الفتوى المعاصر. فهو يقول بهذا الصدد: "ولكن المرأ لا يعرف اليوم كيف يعبد الله في التجارية أو السياسة أو كيف يسوق عربية (سيارة) أو يدير مكتبا ولكن الكتب القديمة تفتيك حتى كيف تقضى حاجتك..."¹⁹

¹⁵ حسن التراي ، المرجع السابق، ص 44.

¹⁶ التراي المرجع السابق، ص 45-46.

¹⁷ المرجع نفسه، ص 47.

¹⁸ التراي ، تجديد الفكر الإسلامي، ص 25.

¹⁹ التراي ، المرجع السابق، ص 45.

ويقول في موضع آخر: "... فنجد آداب النوم وآداب الأكل في كتب الفقه ولكن قليلا ما نجد آداب الاجتماع، فأصبحنا اليوم إذا عقدنا اجتماعا نقلد ونستورد حتى المصطلح مثل فتح النقاش استدعاء الاقتراحات وتثنية الاقتراحات..."²⁰

فالذي ينشده الترابي هو توسيع دائرة الاجتهاد لتشمل أهم جانب في الحياة المعاصرة، شؤون الدولة، وأمور السلطان ... فإن الفقهاء السابقين عالجوا بالفقه دقائق أمور الحياة حتى الأكل والنوم ودخول الخلاء فما بالك بمسألة حساسة مثل الدولة وكيفية إدارتها؟

لقد كان حسن الترابي - بحكم معلوماته الواسعة وثقافته المتنوعة - مهتما بموضوع الاجتهاد - لأنه أهم الوسائل إلى تحقيق التجديد.

فالتراث الإسلامي حافل بقواعد كلية ومبادئ عامة جاهزة لمن يجتهد في الاستنباط منها والقياس عليها لتقديم حلول لمشكلات العصر المتجددة.

ولم يحاول الترابي أن يتفرد بعملية الاجتهاد ولم ينسب إلى نفسه خصوصية التجديد بل إن نوع الاجتهاد الذي يفضله الترابي هو الاجتهاد الجماعي، كما أن أفضل تجديد وأنسبه لهذا العصر - في رأيه - هو التجديد الشوري الناتج من مدوالات عامة للمسلمين وخاصتهم، ثم الوصول في النهاية إلى ترجيح الأفضل والأعدل من بين الآراء والاجتهادات المطروحة وفي ذلك يقول: "إن المسلمين اليوم في حاجة إلى اجتهاد متجدد يسهم فيه كل المجتمع متخلقا بالجد حتى يبلغ أصول الشريعة..."²¹

المبحث الثالث

جهود الترابي في الفقه السياسي

قدم الترابي الكثير للفقه السياسي في وطنه السودان وفي العالم ككل. لقد اعتزل الوظيفة الرسمية، وتخلّى عن منصبه الأكاديمي (عميد كلية القانون بجامعة الخرطوم) ليتفرغ للعمل السياسي منذ سنة 1964م حتى وفاته سنة 2016م. ففي مدة زادت على نصف قرن من الزمن تنوعت عطاءات الترابي وإسهاماته في السياسة فهو مفكر، ومنظر، ومحاضر ومؤلف ووزير ورئيس برلمان وقائد ... وتنوعت تجاربه كذلك بين الأسفار وحضور الاجتماعات ولقاء القادة، ودخول السجن والتعرض للإمتحانات بدأ من الانتقادات اللاذعة إلى محاولة التصفية الشخصية والإغتيال. ولقد استفاد الترابي من هذه التجارب المتنوعة إذ تحولت إلى رافد مهم من روافد ثقافته ومعلوماته الكثيفة. فجعلت منه مفكرا عمليا ومنظرا واقعيا وعالما حقيقيا.

²⁰ حسن الترابي، "خواطر في الفقه السياسي لدولة إسلامية معاصرة"، عالم العلانية، الخرطوم، ط (1)، ص: 20.

²¹ الترابي، السياسة والحكم "دار الساقى، بيروت لبنان، ط (1) سنة 2003م، 1110.

الغاية من السياسة

ينظر التراي إلى الحياة بمنظار توحيدي تحقيقا لقول الله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ الذاريات: ٥٦ قَالَ تَعَالَى: ﴿ قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (١٦٢) الأنعام: ١٦٢

فينبغي للمسلم إذا أن يستهدف توحيد الله وطاعته وعبادته في كل ما يزاوله في حياته. ولقد تعلمنا من الرسول صلى الله عليه وسلم أنه من أنواع العبادات التبسم، وإمالة الأذى عن الطريق ورفع اللقمة إلى فم الزوجة والعدالة في الحكم والسياسة ... فعلى هذا الأساس لا يليق بمسلم أن يستهدف من السياسة والحكم مجرد الجاه أو الشهرة أو تحقيق رغباته المادية فالسلطان وسيلة للاقتراب إلى الله زلفى من خلال الخدمة العامة والخاصة للناس.²²

إن هذا المبدأ - وإن كان بديهيا - مهم للغاية، فبالتركيز عليه ويتكراره على السياسة مرارا وتكرارا نعالج مشكلة الخطوة، والأناية وغيرهما مما تعاني منه نظمنا السياسية.

الحزب. تأسيس الحزب عبارة عن تجمع أصحاب فكرة سياسية متقاربة للمشاركة أو المنافسة في تقديم ما هو الأفضل للأفراد والمجتمع. ومن المبادئ العامة المرشدة للعمل الحزبي في الإسلام مبادئ مهمان:

أ- قصد الخير والدعوة إليه: قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (١٠٤) آل عمران: ١٠٤ السعي إلى تحقيق المصلحة للناس: قَالَ تَعَالَى: ﴿ لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (١١٤) النساء: ١١٤
الدعاية: الدعوة والدعاية ومحاولة التأثير على الرأي العام صفة لازمة لأي حركة سياسية ولكنها تنطوي على كثير من المخالفات الشرعية - ما لم تطوق بضوابط فقهية - كالتشهير وتمويه الحقائق، والخداع. ونشر الإشاعات وغير ذلك. فعلى السياسي المسلم أن يجاهد نفسه التي بين جنبيه ليتنزه من هذه الآفات كي تسلم نشاطاته السياسية والتي يحاول التوسل بها إلى طاعة الله تعالى، لأن الله تعالى "طيب لا يقبل إلا طيبا"²³ فالترابط بين

²² التراي ، المرجع السابق، ص 191.

²³ طرف من حديث أخرجه مسلم في كتاب الزكاة (2393).

نظريات الحكم وتطبيقاتها عمليا ضروري جدا، ولا يتيسر ذلك إلا بمراعات أخلاق السياسة والسلطان²⁴ ومجانبة شيطان حب السلطة ومكر السياسة.

أحل الإمارة

يقول حسن الترابي حول مدة السلطة والأجل المحدد للرئيس: "ينبغي للأمر ألا يترك في ولايته حتى الموت... إن مد المكث في الولاية وطول التمتع بها وسلطتها هو ما يكثف الفتن ويراكمها عليها..."²⁵ يرى أن يحدد الدستور الإسلامي مدة معينة للحاكم قابلة للتجدد إذا اقتضت المصلحة لذلك، وإلا فيعضى عنها وينتخب غيره من أهل الكفاءة. ولقد أسس فكرته هذه على الآية القرآنية التي تنص على كتابة العهد ووضعها على المتعهد إلى أجل قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُب بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ﴾ البقرة: ٢٨٢

فإذا كان تحديد الأجل المسمى للعهد بوفاء الدين أمرا مهما، فما بالنأ بشأن عظيم كشؤون السلطة والسياسة. وينبغي أن تتوسط مدة الحكم كي لا تكون قصيرة كسنتين أو أربع سنوات، ويؤدي اقتراب نهاية الحكم إلى انشغال الحاكم بهوم تجديد الولاية.. وألا تكون مديدة فتلهيه أو يضعف عن النهوض بحقوق السلطة. فاقترح الترابي أن تكون مدة الحكم على الأكثر عشر سنوات قياسا على الفترة التي عاشها النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة. وعلى الآية القرآنية في قوله تعالى: ﴿قَالَ تَعَالَىٰ: قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَنْكِحَ إِحْدَىٰ أَبْنَتِي هَتَيْنِ عَلَيَّ أَنْ تَأْجُرْنِي نَسْتَفِي حَجَجٍ فَإِنْ أَتَمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ القصص: ٢٧ هكذا ظل الترابي في حياته متحركا ومحركا، يثير الموضوعات، ويطرح التساؤلات ويدعو إلى الإصلاح والاجتهاد والتجديد... أنفق في ذلك الغالي والثمين من ريعان شبابه، ومهجة نفسه، مبتغيا ذلك رضا الله سبحانه وتعالى.

الخاتمة

خلصت هذه الورقة إلى أن حدة النقاش حول موضوع الاجتهاد وشخص المجتهدين لم يعد أمرا غريبا في تاريخ الحضارة الإسلامية، وقد استمر النقاش حوله إلى يومنا هذا فلا تزال بقية من رافضي الاجتهاد والدعاة إليه. وبالمقابل يوجد من العلماء من يرى ضرورة الاجتهاد وحتميته في عصرنا الراهن. أما الشيخ حسن الترابي لم يكتف بالتنبؤ بالاجتهاد بل خصص جانبا منه فأولاه كل الأهمية، ألا وهو الاجتهاد في شؤون السلطة وقضايا الحكم. فالإسلام غني بمبادئ أساسية، وأحكام كلية ليستنبط منها جميع أحكام الملك في عصرنا الراهن.

²⁴ الزاير، السياسة والحكم، ص 159.

²⁵ الترابي، المرجع السابق، ص 307.

وركز الترابي على ضرورة ارتباط النظرية بالواقعية، والسلطة بالقيم الأخلاقية، في الفكر السياسي الإسلامي. ولقد توصل الباحث إلى ضرورة مواصلة جهد الترابي في تأصيل الحياة وبناءها على أصول الإيمان وأسس الأخلاق فعل الحكام والساسة وقادة الأحزاب في إفريقيا بصفة خاصة أن يبذلوا قصارى جهدهم لتبني المنهج السياسي الذي يخدم المجتمع وينميه روحا وجسدا سلوكا وحضارة! كي يسهل القضاء على مشاكل إفريقيا الثلاث الجهل والفقر والمرض نسأل الله تعالى التوفيق.

المصادر

- الشاطبي، الموافقات، تحقيق أبي عبيدة، الناشر دار بن عفان، ط 1، 1997م، ج 5.
- الغزالي، المنخول، ط 3، درا الفكر المعاصر، سنة 1998م، ج 1.
- زيدان عبد الكريم، المدخل لدراسة الشريعة الإسلامية، دار الوفاء، بغداد العراق، ط 1، 1992م.
- البغدادي أبو الحسن، الاجتهاد والتقليد في الفقه المالكي.
- القرضاوي، يوسف بن عبد الله، الاجتهاد في الشريعة الإسلامية، دار القلم، كويت، ط 2، 1989م.
- الترابي، حسن عبد الله
- السياسة والحكم، دار الساقى، بيروت لبنان، ط 1، 2003م.
- في الفقه السياسي، الدار العربية للعلوم، بيروت، لبنان، ط 1، 2010م.
- الحركة الإسلامية في السودان، الدار العربية للعلوم، ط 2، 2009م.
- خواطر في الفقه السياسي لدولة إسلامية معاصرة، طبعة عالم العلانية، ط 2، 2000م.



محمد عبده وجهوده في التفسير

إعداد : د تجاني زبير رابع
قسم الدراسات الاسلامية والشريعة

جامعة بايروكنو

tzrabiui.isl@buk.edu.ng / 08027747287

مستلخص البحث

يتمحور البحث حول جهود الإمام محمد عبده وأثره التفسيري. وقد جعل فهم كتاب الله من حيث هو دين يرشد الناس إلى ما فيه سعادتهم في حياتهم الدنيوية والأخروية أساسا في تفسيره، وما وراء ذلك من مباحث فهو تابع له أو وسيلة لتحصيله، وكان تلميذه السيد محمد رشيد رضا يكتب مذكرات في أثناء إلقاء الشيخ الإمام دروس التفسير ويمده إليه وقت الفراغ ليطلع عليه، حتى قال عنه "صاحب المنار ترجمان أفكارى". وقد سلك الباحث منهج التحليلي والوصفي مستعينا في ذلك بأمهات المصادر والمراجع. وتلخصت رسالته في الدعوة إلى تحرير الفكر من قيد التقليد. وعُدَّ محمد عبده من كبار رجال الإصلاح والتجديد في القرن الرابع عشر الهجري. وعرف بدعوته للتحرر من كافة أشكال الاستعمار الأجنبي و محاولاته المستمرة من أجل الارتقاء بالمؤسسات الإسلامية و التعليمية.

الشيخ محمد عبده (1266 - 1323 هـ = 1849 - 1905 م)

مفكر وعالم وفقه وقاضي وكاتب ومجدد. وهو محمد عبده بن حسن خير الله مفتي الديار المصرية، ومن كبار رجال الإصلاح والتجديد في عصره.

• ولادته ونشأته :

ولد عام 1266 - 1323 هـ ونشأ في قرية صغيرة من ريف مصر هي قرية "محلة نصر" بمحافظة البحيرة. وأحب في صباه الفروسية والرماية والسباحة. وتعلم بالجامع الأحمدى. بطنطا، ثم بالأزهر. وتصوف وتفلسف. وعمل في التعليم، وكتب في الصحف ولا سيما جريدة (الوقائع المصرية) وقد تولى تحريرها. وأجاد اللغة الفرنسية بعد الأربعين. ولما احتل الإنكليز مصر ناوأمهم. وشارك في مناصرة الثورة العربية، فسجن ثلاثة أشهر للتحقيق، ونفي إلى بلاد الشام، سنة 1299 هـ (1881) وسافر إلى باريس فأصدر مع صديقه وأستاذه جمال الدين الأفغانى جريدة (العروة الوثقى) وعاد إلى بيروت

فاشتغل بالتدريس والتأليف. وسمح له بدخول مصر، فعاد سنة 1306 هـ (1888) وتولى منصب القضاء، ثم جعل مستشاراً في محكمة الاستئناف، فمفتياً للديار المصرية (سنة 1317 هـ واستمر إلى أن توفي بالإسكندرية، 1905 م عن عمر بلغ ستة وخمسين عاماً. ودفن في القاهرة.²⁶

● شيوخه:

ومن شيوخه : الشيخ الصوفي "درويش خضر"²⁷- خال أبيه والشيخ "حسن الطويل"²⁸ الذي كانت له معرفة بالرياضيات والفلسفة، وكان له اتصال بالسياسة، وعُرف بالشجاعة في القول بما يعتقد دون رياء أو مواربة. وقد حركت دروس الشيخ حسن الطويل كوامن نفس محمد عبده، ودفعت إلى البحث عن المزيد، وقد وجد ضالته أخيراً عند السيد جمال الدين²⁹ الأفغاني.³⁰

²⁶ انظر : مصطفى بن محمد بن مصطفى أصول وتاريخ الفرق الإسلامية 1424 هـ - 2003 م

²⁷ قال عنه الأستاذ الإمام : ولم أجد إماماً يرشدني إلى ما وجهت إليه نفسي إلا ذلك الشيخ الذي أخرجني في بضعة أيام من سجن الجهل إلى فضاء المعرفة ، ومن قيود التقليد إلى إطلاق التوحيد.

²⁸ حسن الطويل (1250 - 1317 هـ) (1834 - 1899 م) حسن بن أحمد بن علي الطويل المالكي (أبو محمد) مفسر مشارك في أنواع من العلوم ولد في مدينة شهالة بالمنوفية في مصر حوالي سنة 1250 هـ ، والتحق بالجامع الأزهر. من تصانيفه: عنوان البيان في تفسير القرآن الكريم. ومن موافق هذا الرجل العظيم الشيخ حسن الطويل، فقد طلب منه أن يرتدي ملابس خاصة ليقابل بها الخديو توفيق، وحن الموعد المرتقب، فجاء بملابسه المعتادة ومعه منديل يضم الملابس الرسمية، ثم قدمها للخديو قائلاً في بساطة: إن كنت تريد الجبة والقفطان فهامها ذان، وإن كنت تريد حسن الطويل فما أنذا حسن الطويل!! ثم قال الشيخ لجلسائه: كيف أتجمل لتوفيق بلباس لا أتجمل به لربي في الصلاة؟ وهذا العمري منطلق اليقين الجازم والإيمان العجيب. انظر : الزركلي : الأعلام 183/2

²⁹ جمال الدين الأفغاني: محمد بن صفدر، ولد عام 1838/1254. نشأ نشأة علمية، وكان يعرف لغات متعددة منها الأفغانية والفارسية والعربية والتركية والفرنسية ويلم بالإنكليزية والروسية. جال في العالم الإسلامي محاولاً التهوض بالمسلمين، ومحارباً الاستبداد. أصدر جريدة العروة الوثقى سنة 1301/1884 م. وكان مضرب المثل في الجرأة والشجاعة، وله مؤلفات منها: الرد على الدهريين، و تتممة البيان في تاريخ الأفغان، وغيرها، توفي في 1314 هـ 1897 م انظر: المرجع نفسه 6/168

³⁰ انظر : رشيد رضا: مجلة المنار- 8/379

• دوره في الإصلاح الاجتماعي

ورث علماء الإسلام ومفكروه في نهاية القرن التاسع عشر والنصف الأول من القرن العشرين تركة تاريخية ثقيلة من تخبط عقدي، وجمود فقهي، وتعصب مذهبي، وتأخر علمي وتربوي، وكساد اقتصادي، وفساد واستبداد سياسي، واحتلال أجنبي لكثير من الأقاليم، و عاشوا هم أنفسهم أحداثاً تاريخية عصبية، وداميةً يمكن وصفها بأنها أحداث ارتهنت لحسابها، بشكلٍ أو بآخر، مجمل أحوال الأمة الإسلامية منذ ذلك التاريخ حتى أيامنا هذه.

إزاء هذه التركة التاريخية، والتحديات الخطيرة، شمّر عددٌ من رجال الإصلاح عن سواعد الجدِّ، وخاضوا بكل ما يستطيعون من قوة، كلٌّ حسب رؤيته وظروفه، ومرجعياته الخاصة به، معركة إصلاح، وإنهاض الأمة، وتجديدها من داخلها، كي تستطيع بسواعد أبنائها، وجهودهم المخلصة أن تستعيد روحها الإسلامية الحقّة، وشخصيتها الحضارية الفدّة، وتمتلك من جديد القدرة على الفعل التاريخي، وكي تتمكن في نهاية الأمر من دفع الاحتلال الأجنبي عن أراضيها، وتحقيق استقلالها، وسيادتها الفعلية الناجزة على كل الصُّعد والمستويات في حياتها، وتعود من جديد إلى مسرح التاريخ لتستأنف دورها الإنساني، والحضاري المتميّز على مستوى العالم بأسره³¹.

انطلاقاً من هذه الوضعية تمكن محمد عبده من أن يفتح طريقاً جديدة للعلاقة بالنصّ القرآني. هذه العلاقة تحدّد للتفسير هدفاً مغايراً لما استقر عليه المفسرون، إنّه: «ذهاب المفسّر إلى فهم المراد من القول وحكمة التشريع في العقائد والأحكام على وجه يجذب الأرواح ويسوقها إلى العمل والهداية المودعة في الكلام»³².

وعن إصلاح الفكر السياسي، فكان يرى وجوب إصلاح الخلافة، ويقول: "إن المحافظة على الدولة العلية العثمانية ثالثة العقائد بعد الإيمان بالله ورسوله".

الجوانب الاجتماعية والاقتصادية: يتحدث عن النظام الاقتصادي في الإسلام، يقول عن علة تحريم الربا: "يؤدي إلى انتزاع الثروة من أيدي أكثر الناس، وحصرتها في أيدي الذين يجعلون أعمالهم قاصرة على استغلال المال بالمال، فينمو المال ويربوا عندهم، ويخزن في الصناديق والبيوت المالية

³¹ معصومة حسيني ميرصفي: الدكتوراة: العلامة الشيخ محمد عبده و الإتجاه الاجتماعي في

تفسير المنار. الوكة تاريخ النشر 20 December 2011 ساعة 15:52 رقم 75933: ص 2

³² انظر: المرجع السابق

المعروفة بالبنوك، ويخس العاملون قيم أعمالهم لأن الريح يكون معظمه من المال نفسه وبذلك يهلك الفقراء³³ .

• جهوده في التفسير وأثاره

ولم يؤلف الإمام تفسير من أوله إلى آخره، وإنما يوجد له بعض انتاجات في التفسير كتفسيره المشهور لجزء عم وتفسير سورة العصر مطولا، وكذلك له بعض بحوث في التفسير عالج فيها بعض مشكلات القرآن، كشرحه لقوله تعالى {وَإِنْ تُصِيبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِيبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا}، النساء الآية 78 وقوله في الآية: {مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنَ نَفْسِكَ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا} النساء الآية 79 وجمعه بينهما. وتوفيقه بين ماذا يُظنّ فيهما من تناف وتضاد، وهو نسبة أفعال العباد تارة إلى الله تعالى، وتارة إلى العبد.³⁴

³³ المرجع نفسه

³⁴ قال محمد رشيد بن علي رضا في المنار: 5/ 217 " ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك ، قيل : إن الخطاب هنا لكل من يتوجه إليه من المكلفين ، وقيل للنبي - صلى الله عليه وسلم - ; والمراد به كل من أرسل إليهم ، والمعنى مهما يصبك من حسنة فهي من محض فضل الله الذي سخر لك المنافع التي تحسن عندك لا باستحقاق سبق لك عنده ، وإلا فبماذا استحققت أن يسخر لك الهواء النقي الذي يطهر دمك ، ويحفظ حياتك ، والماء العذب الذي يمد حياتك وحياة كل الأحياء التي تنتفع بها، وهذه الأزواج الكثيرة من نبات الأرض وحيواناتها ، وغير ذلك من مواد الغذاء وأسباب الراحة والهناء ، ومهما يصبك من سيئة فمن نفسك ، فإنك أوتيت قدرة على العمل واختيارا في تقدير الباعث الفطري عليه من درء المضار وجلب المنافع ، فصرت تعمل باجتهادك في ترجيح بعض الأسباب والمقاصد على بعض فتخطى فتقع فيما يسوؤك ، فلا أنت تسير على سنن الفطرة وتتحرى جادتها ، ولا أنت تحيط علما بالسنن والأسباب وضبط الهوى والإرادة في اختيار الحسن منها ، وإنما ترجح بعضها على بعض في حين دون حين بالهوى أو قبل المعرفة التامة بالمنافع والمضار منها فتقع فيما يسوؤك ، ولولا ذلك لما عملت السيئات .

وتفصيل القول أن هنا حقيقتين متفتحتين : إحداهما : أن كل شيء من عند الله ، بمعنى أنه خالق الأشياء التي هي مواد المنافع والمضار ، وأنه واضع النظام والسنن لأسباب الوصول إلى هذه الأشياء بسعي الإنسان ، وكل شيء حسن بهذا الاعتبار ؛ لأنه مظهر الإبداع والنظام .

وكذلك التفسير الذي يلقيه في الأزهر الشريف على تلاميذه ومريديه، وكان ذلك بمشورة تلميذه السيد محمد رشيد رضا، وإقناعه به.³⁵

وقد ابتداء بأول القرآن في عُرة المحرم سنة 1317 هـ وانتهى عند تفسير قوله تعالى ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطًا﴾ النساء الآية 126 .. وذلك في منتصف المحرم سنة 1323 هـ، إذ توفي - رحمه الله - لثمان خلون من جمادى الأولى من السنة نفسها.

وإذا كان الأستاذ الإمام قد ألقى هذه الدروس في التفسير على طلابه ولم يدون شيئاً، فلا حرج من جعلها أثراً من آثاره في التفسير، وذلك لأن تلميذه السيد محمد رشيد رضا كان يكتب في أثناء إلقاء هذه الدروس مذكرات يودعها ما يراه أهم أقوال الأستاذ الإمام، ثم يحفظ ما كتب ليمنه إلى الشيخ محمد عبده الفراغ، ثم قام بعد ذلك بنشر ما كتب في مجلة "المنار" وربما يُنقح فيه بزيادة قليلة، أو حذف كلمة أو كلمات. قال: "ولا أذكر أنه انتقد شيئاً مما لم يره قبل الطبع، بل كان راضياً بالمكتوب، معجباً به".³⁶

هذا هو كل ما كان إنتاج الأستاذ الإمام محمد عبده في التفسير، وكان لذلك أثر بالغ في تطور التفسير واتجاهاته.

والثانية: أن الإنسان لا يقع في شيء يسوؤه إلا بتقصير منه في استبانة الأسباب وتعرف السنن ، فالسوء معنى يعرض للأشياء بتصرف الإنسان، وباعتبار أنها تسوؤه وليس ذاتياً لها ولذلك يسند إلى الإنسان .

"ولهذا النوع من التعبير نظائر في عرف التخاطب ، فإنك لو كنت فقيراً وأعطاك والدك مثلاً رأس مال فاشتغلت بتنميته والإستفادة منه مع حسن في التصرف وقصد في الإنفاق وصرت بذلك غنياً، فإنه يحق لك أن تقول: إن غناك إنما كان من ذلك الذي أعطاك رأس المال وأعدك به للغنى، أما لو أسأت التصرف فيه وأخذت تنفق منه فيما لا يرضاه، واطلع على ذلك منك فاسترد ما بقي منه وحرمتك نعمة التمتع به، فلا ريب أن يقال: إن سبب ذلك إنما هو نفسك وسوء اختيارها، مع أن المعطي والمسترد في الحالين واحد وهو والدك، غير أن الأمر ينسب إلى مصدره الأول إذا انتهى على حسب ما يريد، وينسب إلى السبب القريب إذا جاء على غير ما يحب؛ لأن تحويل الوسائل عن الطريق التي كان ينبغي أن تجري فيها إلى مقاصدها إنما ينسب إلى من حولها وعدل بها عما كان يجب أن تسير إليه.

³⁵ الذهبي: التفسير والمفسرون 113/3

³⁶ المرجع نفسه

والجديد في رؤية الشيخ محمد عبده، هو التوصل إلى الاهتداء بالقرآن أي أن وظيفة النصّ القرآني تتحدد في إصلاح المجتمع؛ وأنه لا تعارض بين القرآن و العلم و من الحاجة إلى نقد للتراث التفسيري القديم.

وفي دروسه كان يقرأ الآية فإذا اتصلت بالعقيدة شرحها شرحاً وافياً، عارضاً ما ورد في القرآن في موضوعها، مبيناً ما دخل على المسلمين في هذه العقيدة من فساد ودخيل، وإذا اتصلت الآية بالأخلاق أبان أثر هذا الخلق في صلاح الأمم وضياعه في فسادها، وإذا اتصلت بحالة اجتماعية أوضح أثر هذه الحالة الاجتماعية في حياة الأمم، مسترشداً بالواقع، مستشهداً بما يجري في العالم. ويشير دائماً إلى دور الإسلام في تحرير الفكر من أغلاله وقيوده حيث «أطلق (الإسلام) سلطان العقل من كل ما كان يقيد، وخلصه من كل تقليد كان يستعبده، ورده إلى مملكته يقضي فيها بحكمه وحكمته»، «وهكذا تم للإنسان بمقتضى دينه أمران عظيمان طالما حرم منهما وهما: استقلال الإرادة واستقلال الرأي والفكر، وهما كملت إنسانيته.³⁷

• منهجه ومصادره في التفسير

وقد خالف جماعة من المفسرين المتقدمين فيما اتخذ وفهمه لنفسه في تفسير القرآن ، وهو جعل فهم كتاب الله من حيث هو دين يرشد الناس إلى ما فيه سعادتهم في حياتهم الدنيوية والأخروية ، وما وراء ذلك من مباحث فهو تابع له أو وسيلة لتحصيله، ولذلك يوجه اللوم إلى كثير من المفسرين الذين غفلوا عن هذا الغرض وراحوا يتوسعون في نواحي أخرى ضروب المعاني ووجوه النحو وخلافات الفقه³⁸.

وقد قسم الإمام محمد عبده التفسير إلى قسمين :

أحدهما: جاف مبعد عن الله وكتابه، وهو ما يقصد به الألفاظ، وإعراب الجمل، وبيان ما ترمى إليه تلك العبارات والإشارات من النكت الفنية. قال: وهذا لا ينبغي أن يُسمى تفسيراً. وإنما هو ضرب من التمرين في الفنون، كالنحو، والمعاني، وغيرهما.

وثانيهما: ذهاب المفسر إلى فهم المراد من القول، وحكمة التشريع في العقائد والأحكام، على الوجه الذي يجذب الأرواح، ويسوقها إلى العمل والهداية المودعة في الكلام، ليتحقق فيه معنى قوله تعالى:

³⁷ معصومة حسيني ميرصفي : العلامة الشيخ محمد عبده و الإتجاه الإجتماعي فى تفسير المنار

{وَهْدَىٰ وَرَحْمَةً} ونحوهما من الأوصاف .. وقال "وهذا هو الغرض الأول الذي أرمى إليه في قراءة التفسير".³⁹

هذا .. وإن الأستاذ الإمام لا يريد من كلامه السابق أن يُهمل الناحية البلاغية أو النحوية مثلاً في تفسير القرآن، ولكنه يريد أن يأخذ المفسر من ذلك بمقدار الضرورة، فيبين المفسر - مثلاً - من وجوه البلاغة، وضروب الإعراب بقدر ما يحتمله المعنى، وعلى الوجه الذي يليق بفصاحة القرآن وبلاغته. وذلك بدون أن يتجاوز مقدار الحاجة.

وكان كثيراً ما يتوكؤ على عبارة تفسير الجلالين الذي هو أوجز التفاسير كما قال تلميذه الأستاذ رشيد رضا رحمه الله⁴⁰

وقال الإمام "إن الله تعالى لا يسألنا يوم القيامة عن أقوال الناس وما فهموه، وإنما يسألنا عن كتابه الذي أنزله لإرشادنا وهدايتنا، وعن سنة نبينا الذي بين لنا ما نزل إلينا: {وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ} النحل الآية 44. -" وقال صلى الله عليه وسلم: "ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه"⁴¹ - يسألنا هل بلغتكم الرسالة؟ هل تدبرتم ما بُعِثْتُمْ؟ هل عقلتم ما عنه هُيْتُمْ وما به أُمِرْتُمْ؟ وهل عملتم بإرشاد القرآن، واهتديتم بهدي النبي، واتبعتم سنته؟ عجباً لنا نتظر هذا السؤال ونحن في هذا الإعراض عن القرآن وهديه، فيا للغفلة والغرور".⁴²

وذات يوم أبدى الإمام رأياً طريفاً في تفسير بعض الآيات، قال له أحد المستمعين: إن ما قلته لا يوافق عليه الجمل - يعني بالجمل أحد المؤلفين ممن كتبوا الحواشي على تفسير الجلالين - فقال الأستاذ: "إنني أقرر ما يدل عليه المعنى الجليل، والكلام البليغ، ولا يعنيني أوافق عليه الجمل أو الحمار".⁴³

³⁹ انظر: رشيد رضا: تفسير المنار 22/1

⁴⁰ المصدر نفسه.

⁴¹ أبو داود: سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني الأزدي سنن أبي داود دار الفكر، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد 2/610 باب في لزوم السنة.

⁴² انظر: رشيد رضا: تفسير المنار 23/1

⁴³ انظر: الذهبي: التفسير والمفسرون 2/116

ويرى الإمام: أن القرآن الكريم هو الميزان الذي تُوزن به العقائد لتعرف قيمتها، ويقرر أنه يجب على من ينظر في القرآن أن ينظر إليه كأصل تؤخذ منه العقيدة، ويُستنبط منه الرأي، وينعى على ما كان من أكثر المفسرين، من تسلط العقيدة عليهم، ونظرتهم للقرآن من خلالها، حتى تأولوا القرآن بما يشهد لعقائدهم، وتتمشى معها، وفي هذا يقول: "إذا وزنا ما في أدمغتنا من الاعتقاد بكتاب الله تعالى، من غير أن ندخلها أولاً فيه، يظهر لنا كوننا مهتدين أو ضالين. وأما إذا أدخلنا ما في أدمغتنا في القرآن، وحشرناها فيه أولاً، فلا يمكننا أن نعرف الهداية من الضلال، لاختلاط الموزون بالميزان، فلا يُدرى ما هو الموزون به." "أريد أن يكون القرآن أصلاً تُحمل عليه المذاهب والآراء في الدين، لا أن تكون المذاهب أصلاً والقرآن هو الذي يُحمل عليها. ويُرجع بالتأويل أو التحريف إليها، كما جرى عليه المخدولون، وتاه فيه الضالون".

ومثلاً عند قوله تعالى: {إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ} الانفطار الآية 13 نراه يوضح معنى البر وما يكون به الإنسان من الأبرار، ثم يقول: "فلا يُعد الشخص براً ولا باراً حتى يكون للناس من كسبه ومن نفسه نصيب، فلا يغترن أولئك الكسالى الخاملون، الذين يظنون أنهم يدركون مقام الأبرار بركعات من الخشية خاليات، وبتسبيحات وتكبيرات وتحميدات ملفوظات غير معقولات، وصيحات غير لائقات بأهل المروءة من المؤمنين والمؤمنات، ثم بصوم أيام معدودات، لا يجتنب فيها إيذاء كثير من المخلوقات، مع عدم مبالاة الواحد منهم بشأن الدين قام أم أسقط، ارتفع أو انحط، ومع حرصه وطمعه لما في أيدي الناس، واعتقاده الإستحقاق لما عندهم، لا لشيء سوى أنهم عاملون في كسب المال وهو غير عامل، وهم يجرون على سُنَّة الحق وهو مستمسك بسُنَّة الباطل، وهم يتجملون بحلية العمل وهو منها عاطل، فهؤلاء ليسوا من الأبرار، بل يجدر بهم أن يكونوا من الفجار".⁴⁴

وكان من عادة الأستاذ الإمام في دروسه: أنه يراعى حال من يستمعون إليه، فإذا حضره جماعة من البلداء الخامل الفكري شرح لهم المعنى بكلمات قليلة، وإذا كان هناك من يتنبه ويُلقى له بالاً، يفتح الله عليه بكلام كثير.⁴⁵ وكان لا يعتمد في التفسير كتاب معين وإنما يقرأ في المصحف ويعتمد على عقله الحر وما يفيض الله على قلبه". وكان من دأبه أنه لا يرجع إلى كتاب من كتب التفسير قبل إلقاء دروسه حتى لا يتأثر بفهم غيره، وقد حدّث عن نفسه بذلك فقال: "إنني لا أطلع عندما أقرأ، لكنني ربما أتصفح كتاب تفسير إذا كان هناك وجه غريب في الإعراب، أو كلمة غريبة في اللُغة".⁴⁶

⁴⁴ المرجع السابق: 125/3

⁴⁵ انظر: محمد رشيد رضى: تفسير المنار 1/ 59

⁴⁶ انظر: المصدر نفسه 1/ 14

والأستاذ الإمام لا يكاد يمر بأية من القرآن، يمكنه أن يأخذ منها علاجاً للأمراض الاجتماعية، إلا أفاض في ذلك بما يُصَوِّر للقارئ خطر العلة الاجتماعية التي يتكلم عنها، ويُرشده إلى وسيلة علاجها والتخلص منها، كل هذا يأخذه الأستاذ الإمام من القرآن الكريم، ثم يُلقى به على أسماع المسلمين وغير المسلمين، رجاء أن يعودوا إلى الصواب، ويثوبوا إلى الرشاد. قال أحد من كتبوا عنه: (تتلخص رسالة حياته في أمرين: الدعوة إلى تحرير الفكر من قيد التقليد، ثم التمييز بين ما للحكومة من حق الطاعة على الشعب وما للشعب من حق العدالة على الحكومة)⁴⁷

● تلاميذه :

والشيخ رشيد رضا⁴⁸ أكبر تلامذة الأستاذ الإمام محمد عبده، وخليفته من بعده، وقال عن نفسه : كنت من قبل اشتغالي بطلب العلم في طرابلس الشام مشغولاً بالعبادة ميالاً إلى التصوف، وكنت

⁴⁷ انظر : معصومة حسيني ميرصفي : العلامة الشيخ محمد عبده و الإتجاه الإجتماعي في تفسير المنار ص 4

⁴⁸ ولد "محمد رشيد بن علي رضا" في (27 من جمادى الأولى 1282هـ = 23 من سبتمبر 1865م)، في لبنان، وينتمي إلى أسرة شريفة ، حيث يتصل نسبها بأل "الحسين بن علي" (رضي الله عنها). وكان أبوه "علي رضا" شيخاً للقلمون وإماماً لمسجدها، فعُني بتربية ولده وتعليمه؛ فحفظ القرآن وتعلم مبادئ القراءة والكتابة والحساب، ثم انتقل إلى طرابلس، ودخل المدرسة الرشيدية الابتدائية، وكانت تابعة للدولة العثمانية، وتعلم النحو والصرف ومبادئ الجغرافيا والحساب، وكان التدريس فيها باللغة التركية، وظل بها رشيد رضا عامًا، ثم تركها إلى المدرسة الوطنية الإسلامية بطرابلس سنة (1299هـ = 1882م)، وكانت أرقى من المدرسة السابقة، والتعليم فيها بالعربية، وتهتم بتدريس العلوم العربية والشرعية والمنطق والرياضيات والفلسفة الطبيعية، وقد أسس هذه المدرسة وأدارها الشيخ "حسين الجسر" أحد علماء الشام الأفاضل ومن رواد النهضة الثقافية العربية، وكان يرى أن الأمة لا يصلح حالها أو ترتقي بين الأمم إلا بالجمع بين علوم الدين وعلوم الدنيا على الطريقة العصرية الأوروبية مع التربية الإسلامية الوطنية. ولم تطل الحياة بتلك المدرسة، فسرعان ما أُغلقت أبوابها، وتفرّق طلابها في المدارس الأخرى، غير أن رشيد رضا توثقت صلته بالشيخ الجسر، واتصل بحلقاته ودروسه،

نشأ السيد محمد رشيد رضا في طرابلس الشام كما مر، وفيها تلقى العلم عن شيوخها وعلمائها، وجلس بفيدهم بعلمه، ويرشدهم بنصحه ووعظه، وفي هذه الأثناء وقع في يده نسخة من جريدة "العروة الوثقى"، التي كان يقوم بإخراجها والكتابة فيها رجل الإصلاح جمال الدين الأفغانى، وتلميذه الشيخ محمد عبده، فقرأ الشيخ رشيد ما في الجريدة، فأعجب بالرجلين

أنوي بقراءة القرآن الاتعاظ بمواعظه لأجل الرغبة في الآخرة، والزهد في الدنيا ، ولما رأيت نفسي أهلاً لنفع الناس بما حصلت من العلم - على قلته - صرت أجلس إلى العوام في بلدنا أعظمهم بالقرآن مغلباً الترهيب على الترغيب، والخوف على الرجاء، والإنذار على التبشير، والزهد في الدنيا على القصد والاعتدال فيها، وفي أثناء هذه الحالة الغالبة علي ظفرت يدي بنسخ من جريدة " العروة الوثقى"⁴⁹ في أوراق والدي ، فلما قرأت مقالاتها في الدعوة إلى الجامعة الإسلامية، وإعادة مجد الإسلام وسلطانه وعزته، واسترداد ما ذهب من ممالكه، وتحريم ما استعبد الأجانب من شعوبه - أثرت في قلبي تأثيراً دخلت به في طور جديد من حياتي، وأعجبت جد الإعجاب بمنهج تلك المقالات في الاستشهاد والاستدلال على قضاياها بآيات من الكتاب العزيز، وما تضمنه تفسيرها مما لم يحوم حوله أحد من المفسرين على اختلاف أساليبهم في الكتابة، ومداركهم في الفهم. وأهم ما انفرد به منهج " العروة الوثقى " في ذلك ثلاثة أمور:-

- 1 - بيان سنن الله تعالى في الخلق ونظام الاجتماع البشري ، وأسباب ترقى الأمم وتدهورها ، وقوتها وضعفها
- 2 - بيان أن الإسلام دين سيادة وسلطان ، وجمع بين سعادة الدنيا وسعادة الآخرة ، ومقتضى ذلك أنه دين روحاني اجتماعي ، ومدني عسكري ، وأن القوة الحربية فيه لأجل المحافظة على الشريعة العادلة ، والهداية العامة ، وعزة الأمة ، لا لأجل الإكراه على الدين بالقوة.
- 3 - أن المسلمين ليس لهم جنسية إلا دينهم ، فهم إخوة لا يجوز أن يفرقهم نسب ولا لغة ولا حكومة

وكان الشيخ رشيد - رحمه الله - ألزم الناس لهذه الدروس، وأحرصهم على تلقيها وضبطها.⁵⁰ وكان الشيخ رشيد أكثر إنتاجاً في التفسير من بين تلاميذ هذه المدرسة ، وذلك أنه كتب ما سمعه من تفسير وسماه بتفسير القرآن الكريم، والمشهور بتفسير المنار.. ابتداءً بأول القرآن وانتهى عند قوله

إعجاباً شديداً، ورغب في الإتصال بالسيد جمال الدين الأفغانى فلم يسعده الحظ، ثم تعلق أمله بالإتصال بخليفته الشيخ محمد عبده، فأسعده الحظ في هذه المرة، واتصل بالشيخ في رجب سنة 1315 هـ انظر: المعجم الجامع 74/1. وتامر محمد محمود متولي: منهج الشيخ محمد رشيد رضا في العقيدة ، الناشر: دار ماجد عسيري الطبعة الأولى 1425هـ-2004م . ص 41. وعلي بن نايف الشحود: مشاهير أعلام المسلمين . الشاملة ص 67 .

⁴⁹ جريدة "العروة الوثقى" يقوم بإخراجها والكتابة فيها جمال الدين الأفغانى، وتلميذه الشيخ محمد عبده،

⁵⁰ محمد رشيد رضى: تفسير المنار 1 / 59

تعالى ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مَا تَأْوِيلُ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحَقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ سورة يوسف الآية 101. ثم عالجت المنية قبل أن يتم تفسير القرآن كله. وقد حمل هو أيضا راية الإصلاح والتجديد، وبعث في الأمة روحًا جديدة، تُحَرِّكُ الساكن، وتنبه الغافل، ولا يجد وسيلة من وسائل التبليغ والدعوة إلا اتخذها منبرًا لأفكاره ودعوته ما دامت تحقق الغرض وتوصل إلى الهدف.⁵¹ وقال عنه الشيخ محمد عبده: "صاحب المنار ترجمان أفكارى"⁵². كما أنه ليس غريباً ما يُحَدِّثُ به أحد تلاميذ الشيخ رشيد، من أن الأستاذ الإمام وصف الشيخ رشيد بأنه "متحد معه في العقيدة، والفكر، والرأى، والخُلُق. والعمل".⁵³

وقد فسَّرَ الشيخ رشيد رضا من القصار: سورة الكوثر، والكافرون، والإخلاص، والمعوذتين، وهذا القدر من التفسير تتجلى فيه روح الأستاذ الإمام ممزوجة بروح تلميذه، فالمصادر هي المصادر، والهدف هو الهدف، والمنهج هو المنهج، والأفكار هي الأفكار، ولا فرق بين الرجلين إلا فيما هو قليل نادر. وللسيد محمد رشيد رضا كتاب جمع فيه آثاره وأخباره وما قيل في رثائه سماه (تاريخ الأستاذ الإمام - ط) في ثلاثة أجزاء كبيرة.

ومن تلاميذ الشيخ محمد عبده شيخ الأزهر محمد مصطفى المراغي - شيخ الأزهر مصطفى عبد الرازق - الشيخ الشهيد عز الدين القسام والذي كان أول من نادى بالثورة على الإنجليز والصهاينة وتحرير فلسطين من بين أيديهم - شيخ العروبة محمد محيي الدين عبد الحميد - سعد زغلول - قاسم أمين - محمد لطفي جمعة.

● المآخذ عليه وعلى مدرسته

ويبدو الحديث عن الامام محمد عبده صعبا نوعا ما، لشدة خلاف المؤرخين حول هذه الشخصية الفذة، فمنهم من جعله عميلا للإنجليز ومنهم من جعله إماما مصلحا ومنهم وسطا بين الفئتين تجد من يحذر منه ومن دروسه، كالشيخ أسامة الرفاعي الدمشقي، والبوطي، ومنهم من أثنى عليه كالشيخ يوسف القرضاوي.

⁵¹ انظر: عثمان أمين، كتاب (محمد عبده - ط) ومثله لأحمد الشايب، وللشيخ مصطفى عبد الرازق (سيرة الإمام الشيخ محمد عبده - ط) ولعبد المنعم حمادة (الأستاذ الإمام محمد عبده).

⁵² انظر: المرجع السابق

⁵³ المرجع نفسه

إذ يقول بضرورة الاطلاع على كامل إنتاجه الفكري، قبل الحكم عليه من خلال واقعة تروى عنه أو خطأ ينسب إليه، ويشير إلى أمثلة مما يجب الاطلاع عليه، ككتابه "رسالة التوحيد" والمفكر الإسلامي الكبير محمد عمارة في كتابه "محمد عبده مجدد الدنيا بتجديد الدين". بل تجد من علماء الشام من يثني ثناءً طيباً عليه، كالشيخ علي الطنطاوي في عدة مواضع من "ذكرياته"، بقوله: "والذين أيقظوا النُّوم في مصر والشام جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده".⁵⁴ ومن أهم ما أخذ عليه وعلى مدرسته اعتماده المبالغ على العقل في تفسير القرآن وتقليله من شأن المأثورات، ما جعله يفسر بعض آيات الغيبيات تفسيرات مخالفة لما اتفق عليه المفسرون. حاول تقديم نظرات تجديدية إصلاحية في علم الحديث، من خلال نقد المتن، لكنه لم يكن ضليعاً في هذا العلم فأتى بأراء فيها مخالفات لأصول علوم الحديث.

فتح باب دراسات السياسة الشرعية، فقدّم آراء فيها تجديد للفقهاء السياسي في الإسلام لم يفهمها فريق من الناس فاعتبروه علمانياً، حيث تحدث وشرح وفصل حول طبيعة الحكم في الإسلام، وأصل السلطة، وأنه لا يوجد للحاكم سلطان ديني، وأن الخليفة حاكم مدني من جميع الوجوه، وأن تكون علاقة الحاكم بالمحكوم علاقة تعاقدية، يسأل فيها الحاكم عن التزامه بمقتضيات العقد. وهذا ما يضع حداً للاستبداد السياسي الذي يعطل ويدمر طاقات ومقدرات الأمة، ويفتخر بسبقه إلى ذلك بقوله: "نعم كنت فيمن دعا الأمة المصرية إلى معرفة حقها على حاكمها، وهي هذه الأمة التي لم يخطر لها هذا الخاطر على بال من مدة تزيد على 20 قرناً"⁵⁵

التقريب بين الأديان، وهذه الفكرة مما قد يفهم فهمًا خاطئاً إن لم يقرأ المرء كلامه بتفصيل، فلا يريد من التقريب بين الأديان ما قد يطرح من صياغة دين جديد من خلال دمج الأديان المختلفة، بل جعل التقريب بين الأديان وسيلة للدعوة إلى الإسلام، ووسيلة لتأسيس مجتمع المواطنة بحيث يكون الكتابي مواطناً يتمتع بحقوق المواطنة في الدول المسلمة، وهو بذلك يريد قطع الطريق على الفتن الطائفية⁵⁶

الخاتمة :

⁵⁴ انظر: رامي السقا: رائد المدرسة الإصلاحية وجهوده التجديدية: نشر في 29 نوفمبر 2022،

www.islamonline.net/8925

⁵⁵ المرجع السابق

⁵⁶ المرجع نفسه

الحمد لله الذي بعثته تتم الصالحات والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين. وبعد : يُعد محمد عبده من كبار رجال الإصلاح والتجديد في القرن الرابع عشر الهجري ومفكر وعالم وفقه وقاضي وكاتب ومفتي الديار المصرية في عصره.

تمكن محمد عبده من أن يفتح طريقاً جديداً للتفسير وهدفاً مغايراً وهو ذهاب المفسر إلى فهم المراد من القول وحكمة التشريع في العقائد والأحكام على وجه يجذب الأرواح ويسوقها إلى العمل والهداية المودعة في الكلام. وكان لإنتاجات الأستاذ الإمام في التفسير أثراً بالغاً في تطور التفسير واتجاهاته. ومنه التوصل إلى الاهتداء بالقرآن وأن وظيفة النصّ القرآني تتحدد في إصلاح المجتمع؛ وأنه لا تعارض بين القرآن والعلم

عرف بشمول نظراته الإصلاحية والتجديدية ودعوته للتحرر من كافة أشكال الاستعمار الأجنبي ومحاولاته المستمرة من أجل الارتقاء بالمؤسسات الإسلامية والتعليمية وسعيه الدائم للإصلاح والتطوير في الأزهر والأوقاف والمحاكم الشرعية، فبذل الكثير من الجهد من أجل تحقيق ذلك على الرغم مما تعرض له من سجن ونفي.

وتلخصت رسالة الأستاذ الإمام في الدعوة إلى تحرير الفكر من قيد التقليد، ثم التمييز بين ما للحكومة من حق الطاعة على الشعب وما للشعب من حق العدالة على الحكومة وكان الشيخ محمد رشيد علي رضا أكثر إنتاجاً في التفسير من بين تلاميذ هذه المدرسة، وقد حمل هو أيضاً راية الإصلاح والتجديد، وبعث في الأمة روحاً جديدة، تُحرِّك الساكن، وتنبه الغافل.

وفي هذا القدر من التفسير الذي أثر تجلّى فيه روح الأستاذ الإمام ممزوجة بروح تلميذه، فالمصادر هي المصادر، والهدف هو الهدف، والمنهج هو المنهج، والأفكار هي الأفكار، ولا فرق بين العالمين إلا فيما هو قليل نادر. إن هداية القرآن تشمل جميع الجوانب والأبعاد في الحياة البشرية الفردية والاجتماعية، الدنيوية منها والأخروية، وإن من أهم تعاليم الدين الإسلامي، هو مواجهة الخرافات والقضاء عليها، وأنصح إلى قراءة تاريخ أمثال الإمام محمد عبده والانتفاع بما خلفه لنا من فكر وما جسده شخصيته من كفاح طويل، فذلك كله يشكل بداية الطريق لكل نهضة ومفتاح التقدم أمام كل أمة.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم مصحف المدينة المنورة للنشر الحاسوبي المملكة العربية السعودية

- أبو داود : سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني الأزدي سنن أبي داود دار الفكر ، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد 2/ 610 باب في لزوم السنة .
- جمال الدين الأفغانى، والشيخ محمد عبده: جريدة "العروة الوثقى"
- رامي السقا: الإمام محمد عبده.. رائد المدرسة الإصلاحية وجهوده التجديدية :
- www.noonpost.com
- الزركلي: خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الدمشقي (ت 1396هـ) الأعلام : الناشر: دار العلم للملايين الطبعة: الخامسة عشرة - أيار / مايو 2002 م
- علي بن نايف الشحود : مشاهير أعلام المسلمين . الشاملة
- متولي وتامر محمد محمود : المعجم الجامع منهج الشيخ محمد رشيد رضا في العقيدة ، الناشر : دار ماجد عسيري الطبعة الأولى 1425هـ-2004م .
- محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني (المتوفى: 1354هـ): تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار) الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة النشر: 1990 م
- محمد رشيد رضا : مجلة المنار أنشئت سنة 1315 هـ
- مصطفى بن محمد بن مصطفى أصول وتاريخ الفرق الإسلامية 1424 هـ - 2003 م
- ميرصفي : معصومة حسيني : الدكتورة : العلامة الشيخ محمد عبده و الإتجاه الإجتماعي في تفسير المنار . موقع ألوكة



دعوة الشيخ جعفر محمود آدم في ولاية بَرُنُو:

مجلس تفسير القرآن الكريم نموذجاً

د. إسماعيل هاشم أبوبكر

Advancing Education and Research Center (AERC)

Rabat - Morocco

الملخص

تتناول هذه الورقة دعوة أحد الأعلام المشهورين في نيجيريا الشيخ جعفر محمود آدم في ولاية بَرُنُو في شمال نيجيريا، وتركز بشكل أخص على مجلسه الشهير الذي كان يقدم فيه تفسير القرآن الكريم في مركز إندمي الإسلامي، وقد امتد هذا المجلس إلى أكثر من عقد وكتب الله له قبولاً فأقبل عليه القاصي والداني وقصده الراغبون من كل فج عميق. لقد أدى هذا المجلس دوراً عظيماً في احتضان دعوة الشيخ جعفر وإيصالها إلى أبعد الأرجاء وأنأى الأقطار في شمال نيجيريا وما جاورها. تقوم هذه الورقة بتسليط أضواء سريعة على تاريخ تأسيس هذا المركز وإنشاء مجلس التفسير فيه والتحديات التي واجهها المفسر في البداية وكيف استطاع أن يتغلب عليها، كما ألمحنا إلى بعض العوامل التي ساعدت في رفع كعب المجلس وجعله مميّزاً عن غيره من المجالس التفسيرية، منها الاستعداد التام للمفسر والعناية البالغة التي يولمها لتلك المهمة وجرأته في الصدع بالحق وسلكه منهجاً مرناً وأسلوباً سلساً يختلف بدرجة كبيرة من الأساليب التي ينتهجها كثير من المفسرين في نيجيريا، وكذلك مما ساهم في تعلق الناس بالمجلس معالجة المفسر للقضايا الحساسة والمعاصرة التي تتعلق بأوضاع الناس ومآلهم ومصير الإسلام والمسلمين في مختلف المستويات وشتى البيئات في نيجيريا وغيرها. اعتمد الباحث على تسجيلات التفسير للشيخ جعفر وبعض المؤلفات المتعلقة بالورقة، إضافة إلى العمل الميداني الذي قام به الباحث في سنة 2019 حيث احتكك والتقى بعدد من الأشخاص وقابلهم واستقطب منهم معطيات مفيدة وثمينة.

الكلمات المفتاحية: جعفر، تفسير القرآن الكريم، مركز إندمي الإسلامي، مَبْدُغْرِي



المقدمة

تتميز ولاية بزنو بأهمية خاصة كونها أول بقعة حظيت بظهور الإسلام فيها قبل سائر المناطق في شمال نيجيريا وغرب إفريقيا، فقد دخل الإسلام إلى إمبراطورية كانم بزنو منذ أكثر من عشرة قرون وترسخ في عهد السيفاويين الذين حكموا الإمبراطورية لمدة طويلة، وتمتد سلطتها إلى جنوب تشاد وشرق النيجر وشمال الكاميرون وجنوب ليبيا، إضافة إلى شمال نيجيريا. وقد تأسست الدولة برسوخ الإسلام فيها على دعائم سياسية قوية كما تطورت علوم القرآن والشريعة فيها، واستمر الأمر على هذا الحال طويلا حتى بعد فترة الاستعمار وأصبحت الإمبراطورية قبلة لحفاظ القرآن الكريم يقصدها القاصي والداني. وكذلك قد ترسخ التصوف في الدولة حيث أن تاريخ الإسلام في هذه البقاع لا ينفك عن رجال وأعلام التصوف الذين قاموا بنشر تعاليمه، وظل الأمر هكذا حتى بعد الاستقلال. فمن أشهر علماء بزنو الذين طلعت شمسهم وذاع صيتهم في الداخل والخارج في القرنين العشرين والواحد والعشرين وساهموا في دفع عجلة العلم والتعليم وتأثر الناس بهم الشيخ أبوبكر المسكين، والشيخ أبو الفتح والشيخ أبوبكر غونبي والشيخ الشريف إبراهيم صالح الحسيني والشيخ عبد السلام والشيخ أحمد وبتشما والشيخ محمد أب آجي. فكل هؤلاء العلماء باستثناء الأخير، رؤساء وسادة في التصوف، ولهم الكلمة المسموعة وإلهم ترجع أمور الدين من الفتوى والصدارة في العلم، ولهم تأثير ونفوذ في سياسة بزنو ودولة نيجيريا على وجه شامل.

يتميز الشيخ أب آجي (ت.2009) عن بقية المشايخ بعدم انتمائه إلى أي طريقة صوفية وبالتالي يخلوا تعليمه من آراء وألغاز الصوفية وتأويلات كلامية، وكما لاحظ الباحث محمد عبدالله، فإن منهج آجي في تفسير القرآن الكريم يتسم بغرس العقيدة الصحيحة ونقد خرافات الأقوال وشطحاتها وتقاليد غير إسلامية مثل ظاهرة السحر والكهنة والتطير وغيرها.⁵⁷

غير أنه لم تزل تقاليد غير المسلمين والبدع والمفاهيم والطقوسات والشعوذات وغيرها شائعة بين المجتمع البرناوي لزمان طويل، وقد سعت "جماعة الإزالة" منذ بزوغها إلى محاربة هذه العادات في شمال نيجيريا، فقد أشار الباحث زمزي بن أمارا إلى محاولة نصب راية الحرب لهذه العادات في بزنو حيث قرر رئيس جماعة الإزالة الشيخ إسماعيل إدريس أن ينتقل إلى ميدغري ويستقر هناك كي

Muhammad, "A Study of Contributions of Selected Muslim Scholars to The ⁵⁷ Development of Tafsir", 150 & 101.



يواصل أعماله الدعوية كعقد مجالس التعليم ومنابر الوعظ،⁵⁸ إلا أن هذه الخطة فشلت، فلم تستطع "الإزالة" أن تفرض نفسها على بزنو بهذه الوسيلة. فظهر جعفر في مدينة مئدغري يعتبر تطورا ومعلما من معالم النجاح بالنسبة للسلفية في نيجيريا، وإن كان لا بد أن يتوقع أن هذا التطور سيثير مقاومة من طرف الصوفية وقد يعقبه شجار وصراع مثل ما لو نجح إسماعيل إدريس في نقل نشاطاته الدعوية إلى مئدغري.

تميزت دعوة جعفر في مدينة مئدغري بولاية بزنو لكونها ابتدأت بنشاط واحد علمي وهو تفسير القرآن الكريم الذي يقدمه جعفر في مركز إنديمي الإسلامي كل رمضان، فاشتهر جعفر وانتشرت دعوته وازدهرت في أرجاء وأنحاء بلاد بزنو وما جاورها. فيمكن القول إذا بأن مركز إنديمي الإسلامي هو منشأ دعوة الشيخ جعفر في بلاد برنو والقرى المحيطة بها في شمال شرق نيجيريا منها ولاية يوبي وغيرها.

تسعى هذه الورقة في دراسة دعوة الشيخ جعفر محمود آدم في ولاية بزنو، مشيرة بشكل أخص إلى مجلسه الشهير الذي كان يقدم فيه تفسيرا للقرآن الكريم في مركز إنديمي الإسلامي. تتوزع الورقة على محاور مهمة التي في الخلاصة تدور حول الحديث عن تأسيس المركز وإنشاء مجلس التفسير فيه، ومنهج الشيخ جعفر في التفسير وإقبال الناس على المجلس وتعلقهم به وعناية أهل بزنو بالمجلس وبعض القضايا التي يعالجها المفسر ورسالات التي ترسل إلى المجلس للاستفتاء وطلب تدخل العالم في مسألة ما وغيرها من الأمور التي اتصف بها المجلس.

Ramzi Ben Amara, "Shaykh Ismaila Idris (1937-2000), the Founder of the Izala⁵⁸ movement in Nigeria", *Annual Review of Islam in Africa*, Issue No. 11 (2012), 76; 74-78.



لقد قام عدة من الباحثين في دراسة زوايا مختلفة في دعوة الشيخ جعفر في نيجيريا، منهم من كتب نبذة عن حياته العلمية⁵⁹ والدعوية⁶⁰ وشجاعته⁶¹ وإسهاماته في نشر السنة،⁶² ومنهم من اقتصر على خطبه المنبرية⁶³ أو مجالسه التفسيرية⁶⁴ أو منهجه في تفسير القرآن الكريم،⁶⁵ ومنهم من ركز

⁵⁹ محمد الثاني عمر ريجير ليمو، أيامي مع داعية الجيل ومفسر التنزيل: الشيخ جعفر محمود آدم (كَنُو: مركز الإمام البخاري للبحوث والترجمة، 2011).

⁶⁰ Jameel Labaran, *Bankwana da Gwani: Sheikh Ja'afar Mahmoud Adam* (Rahimahullah) (Kano: al-Hikma Ventures, 2008).

⁶¹ Hussain Yusuf Mabera, *The Life and Times of a Hero: A Profile of Sheikh Ja'afar Mahmud Adam* (Lagos: Dan-Kawu Bureau de Change, 2008).

⁶² Abdulhadi Nadir Nasidi, "The Contributions of Late Sheikh Ja'afar Mahmud Adam to Sunnah Da'awah in Kano 1993-2007" B.A Project, (Kano, Nigeria: Bayero University, Kano, 2013).

⁶³ عبد الله غريب إبراهيم، "خطب الشيخ جعفر محمود آدم": دراسة موضوعية وفنية، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في جامعة المدينة العالمية بماليزيا، 2016.

⁶⁴ عبد الله عثمان غدن قيا، "الشيخ جعفر محمود آدم، حياته العلمية وإسهاماته في مجال التفسير: عرض وتحليل"، مجلة الماهر في الدراسات القرآنية 2:1، 2017، ص. 1 إلى 9.

⁶⁵ مصطفى عبد الله محمد، "منهج الشيخ جعفر محمود آدم"، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في جامعة بايرو، كَنُو، نيجيريا، 2018.



على أفكاره وتصوراتهِ لبعض المسائل⁶⁶ وتناوله بعض القضايا⁶⁷ أو تفاعله مع خصمه⁶⁸ أو هجومه على زعيم حركة الإرهاب⁶⁹ وغيرها من الجوانب المهمة في حياة هذا العالم، ولهذا السبب ولضيق المساحة لا نتطرق إلى سرد تاريخ حياة هذا المفسر ولا حتى علاقته مع زعيم حركة بوكو حرام أو المشاريع الدعوية والنشاطات الدينية التي قام بها في بَرُنُو، وسنكتفي فقط بتناول مجلسه الرمضاني في مركز إنديمي الإسلامي، مبسطين الحديث عنه ومحاولين ملاً كثير من الفراغ التي تركته الدراسات السابقة.

مجلس التفسير في مركز إنديمي الإسلامي

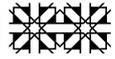
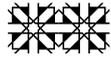
يمثل مركز إنديمي الإسلامي مسجداً جامعاً كبيراً يقع في شارع دَمْبُوَا في مدينة مَيدُغُري. أسسه الحاج محمد إنديمي، تاجر متميز ومن أشهر الأثرياء في نيجيريا. وقد أصبح المسجد من أشهر المراكز الإسلامية في شمال نيجيريا لأجل النشاطات الدعوية التي تقام فيها، لا سيما المجلس الرمضاني لتفسير القرآن الكريم. وقد أخبرني عثمان محمد إيا، الكاتب الإداري للمسجد ومساعد خاص للحاج إنديمي أنه لما تم مشروع بناء المسجد في التسعينيات، صادف أن زار مدينة مَيدُغُري تاجر من

Abubakar, Ismail Hashim, "Shaykh Ja'far Mahmud Adam (d. 2007) and His⁶⁶ Visions and Philosophical Thoughts on Education: An Inductive Approach," *Interdisciplinary Journal of Education*, Vol. 5. No. 2. December 2022; <https://journals.iuiu.ac.ug/index.php/ije/article/view/102>.

Abubakar, Ismail Hashim Abubakar, "The Thoughts and Views of Ja'far Mahmud⁶⁷ Adam on Marriage, Family Institution and Women Issues", *Al-Manhaj Journal of Indonesian Islamic Family Law* 5(1), June 2023; https://www.researchgate.net/publication/372048109_The_Thoughts_and_View_s_of_Ja'far_Mahmud_Adam_on_Marriage_Family_Institution_and_Women_Issues.

Andrea Brigaglia, "A Contribution to the History of the Wahhabi Dawah in West⁶⁸ Africa: The Career and the Murder of Shaykh Ja'far Mahmoud Adam (Daura, ca.1961/1962-Kano 2007", *Islamic Africa* 3:1 (Northwestern University Press, 2012): 1-23.

Andrea Brigaglia, "Ja'far Mahmoud Adam, Mohammed Yusuf and Al-Muntada⁶⁹ Islamic Trust: Reflections on the Genesis of the Boko Haram Phenomenon", *ARIA Annual Review of Islam in Africa* 11 (University of Cape Town, 2012).



كُنُو اسمه الحاج ثالث كَبْرَ لِيَهْنِي صديقه محمد إنديمي في إتمام مشروعه لبناء الجامع، فمن ثم اقترح ثالث كَبْرَ لمحمد إنديمي أن يسلم زمام المسجد ويسند شؤون تسييره إلى جماعة أهل السنة، ويشمل هذا مسؤولية الإمامة وإلقاء الخطبة يوم الجمعة وتنسيق الدروس والمجالس التي ستقام فيه، وقد أشار كبر على صديقه المتبرع أيضا أن يستدعي جعفرًا وهو شاب متحمس وعالم معروف في ساحة الدعوة، بل لم يلبث كثيرا أن تخرج من الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ليعقد مجلس التفسير في الجامع الجديد، معللا بأن الرجل له مستقبل شيق وسيساهم في إحياء المسجد وإعلاء كعبه ونشر علمه الغزير في أوساط المجتمع. فانصاع إنديمي لهذا الاقتراح، وفي المقابل أرسل طائرته الخاصة لنقل جعفر جواً من كُنُو إلى مِيدُغْرِي.⁷⁰

وقد ساهم مؤسس المسجد في نشر سمعة المجلس حيث اشترى ساعات البث في إذاعات سمعية ومرئية منها القناة التلفزيونية الوطنية (NTA)، ومحطة الإذاعة التلفزيونية البرناوية التابعة لولاية بَرْئُو، فكان التفسير يبث في كل يوم طول شهر رمضان وفي كل أسبوع بعد رمضان حتى ألفه وعلق به أصناف من الناس منهم السيدات في المنازل والطلبة والشباب والرؤساء والساسة والعلماء بل حتى أتباع الطرق الصوفية الذين يستمعون للتفسير أو يشاهدونه من الإذاعات والقنوات، وقد جذب عرض جعفر للتفسير حسب إفادة عبد القادر أحمد حتى أتباع الطائفة القرآنية المعروفون بـ "قَال قَاتُو"،⁷¹ وعلى ما يبدو ليس لأجل توسعة المفسر في معالجة القضايا بل لقوة ذاكرته التي يستعين بها في الاستشهاد وربط العلاقات بين الآيات بسهولة وطريقة رائعة جذابة.

إلا أن من القضايا التي يتطرق إليها جعفر مثل مسألة "الاستواء" التي وردت في عدة آيات في القرآن تختلف من التفسير المؤلف الذي اشتهر على السنة جمهور العلماء في مِيدُغْرِي، وبغض النظر عن كون هذه المسألة علمية محضة التي ينبغي أن تحل بطريقة علمية وخلال نقاش نظري، أثار ضجة في المدينة وجعلت بعض المتصوفة يتهمون جعفرًا بإحداث تفرقة وشقاق في الأمة.⁷²

⁷⁰ مقابلة شفوية مع عثمان محمد إيا، مارس 2019، 22.

⁷¹ مقابلة شفوية مع أحمد عبدالقادر، مارس 2019، 20.

⁷² Abubakar Garba & Abdulrahman B. Hamid, "Challenges of Scholars and Scholarship within the Lake Chad Basin: The Way Forward", 15 in Conference Proceedings of the National Conference on Islamic Scholarship and Scholars in



خدمة الإسلام هي الهدف الأساسي والغاية القصوى لجعفر وأندمي، والوسيلة الناجحة لتحقيق ذلك حسب رؤية إندمي هي عقد مجلس يلقي فيه تفسير بمنهج يختلف عما ألفه الناس من تأويل كلام الله بصيغة من صبغات طائفية أو مذهبية وسرد أخبار وروايات لا صحة لها من قريب ولا من بعيد. وقد ذكر الكاتب آدم عثمان الننجيري في مؤلفه عن اتجاهات المفسرين في شمال نيجيريا سبعة علماء اشتهروا في سير مجلس التفسير في مملكة كانم بَرُنُو، ومنهم عالم يسمى مالم مصطفى مندرا مَي جالين وكان يلقي تفسيره بلغتي الهوسا والكانوري.⁷³

وإن دل هذا كله على شيء فإنما يدل على أن التفسير عادة مألوفة في مَيْدُغْرِي ولا يتوقع بحكم الطبيعة أن يغمض لها جفن، كما حدث بخصوص مجلس التفسير لجعفر حتى أدى الأمر إلى محاولة إيقاف كرسي التفسير في مرحلته المبكرة، ورغم تألم جعفر بكل ما جرى، فقد تجلت له أشياء تجعله يسلك مسلكا دبلوماسيا في ترسيخ دعوته في مَيْدُغْرِي، والأمر الذي لا يكاد جعفر وشيعته في جامع إندمي يعرفون تأويله (ولا يهم هنا أن جعفرا مفسر بارع) هو عدم انشغال بال هؤلاء المشايخ الكبار بمجلس جعفر الخاص ويتعمون على مسائل مهمة وقضايا حساسة تتعلق بالأمة الإسلامية في نيجيريا، لا شك أن هذه الضجة التي اقتضرت على جعفر لا تنفك في أن جعفرا وهو في الثلاثينيات من عمره ليس كالشيخ أب أجي وإن كان منهجهم ومشرهم المذهبي والعقدي واحد، ومن هو جعفر على هذا السن أن ينافس أو يحذوا منكبه بين مناكب أعلام بارزين في ولاية بَرُنُو؟ ولا أحد يعرف مدى التأثير الذي سيكون لدعوة جعفر على الناس، وإن كان معروفا أن معارضة بعض مفاهيم التصوف وطقوساته خاصة من خصائص تفسيره ودعوته. أنشأ جعفر وأتباعه في مركز إندمي زيارات تكريمية لكبار ومشاهير العلماء منهم الرؤساء والمقدمون في الطرق الصوفية في مَيْدُغْرِي، فيقدم جعفر نفسه أمامهم يعترف أنه أحد أبنائهم وتلاميذهم، وهو يريد أن يتعلم منهم، ثم يؤكد لهم أنه سيُلَبِّي دعوتهم في أي وقت دعوه لكي يصححوا له أي خطأ في تفسيره للقرآن الكريم، وطلب منهم أن يتفضلوا بتقديم النصائح والتوجيهات التي ستساعده في أداء واجبه في التفسير.⁷⁴

Modern Nigeria from 1900 –Date, organized by the Department of Islamic Studies and Shari'ah, Bayero University, Kano and held from 24th to 25th of February, 2018.

⁷³ الننجيري، مجالس التفسير في شمال نيجيريا، ص. 49.

⁷⁴ مقابلة شفوية مع الحاج بنو مصطفى، مارس 22، 2019.



ويقال أن الشيخ غُونِيي، أحد هؤلاء العلماء تعجب كثيرا بمقدم جعفر إليهم، وفي بعض تلك الزيارات سأل جعفرا عن السر الذي جعله يزور العلماء الذين يعارضون دعوته في مَيْدُغْرِي، فأجابه جعفر بأن والده أوصاه بأن يتمسك بالعلماء وأن لا يبتعد عنهم في أي مكان وجد نفسه، ثم مازح الشيخ الصوفي ضيفه وقال إن جعفرا ينشر نوعا من العلم للعوام، وكان بالأحرى أن ينشره لفئة خاصة من الناس، وحسب رؤية الرجل، هذا بمثابة إطعام الكلاب بقطع من الذهب. كانت هذه الزيارات تقام في كل سنة إما قبل بداية التفسير أو بعد ختمة التفسير، وكان جعفر وأتباعه يزورون - إضافة إلى العلماء - أعيانا متميزين في بَزْئُو منهم الرؤساء وأولوا الأمر وغيرهم.⁷⁵

وقد نجح هذا الأسلوب في تخفيف الخوف الذي علق بالمشايخ والشعور بأن جعفرا جاء إلى بَزْئُو لينافسهم في مناصبهم ومكانتهم العلمية، وأكدت الزيارات التكريمية أن وجود جعفر في المدينة قد لا يشكل خطرا كبيرا في هيمنتهم على المجتمع، وتجلت ثمرة هذه الزيارات في تقليل الخوض في نقد أو معارضة ظاهرة تفسير جعفر ووجوده في مَيْدُغْرِي، والذين لم يركنوا إلى السلم والمفاوضة منهم سلكوا وسائل سرية في التعامل مع الظاهرة وتجنبوا المواجهة العلنية.

وفي سنة من السنوات الأولى للتفسير، أشيع خبر في مَيْدُغْرِي بأن هناك عصابة من الناس الغاضبين على مجلس تفسير جعفر، وأنهم قد هياؤا وخططوا لهاجموا المسجد لإيقاف عرض التفسير، وأنهم مستعدون لملاقاة حتفهم و"شهادتهم" إن أدى الأمر إلى ذلك. وصادف أن في ذلك الوقت قد سافر محمد إندمي إلى السعودية للعمرة، وربما لأجل هذا رأته العصابة أن الوقت قد حان لتتحرك. وأثناء ذلك الوقت قام بعض الكبار منهم أقرباء إندمي ووالد زوجته بلقاء جعفر في سكنه، ونصحوه بأن يوقف مجلسه للتفسير موقتا حتى لا تتسنى للعصابة فرصة الهجوم، فلم يجادل جعفر مع الكبار لأنهم ليسوا أساسا من خصمه ولا معارضي دعوته، بل إنهم محبوبوا الخير له والراغبون في منع حدوث الفتنة التي قد تنتهي بخسارة النفس وإتلاف الأموال.

لكن رغم ما بذله هؤلاء الرجال من النصيحة الخالصة، لم يرى جعفر المصلحة في إيقاف مجلس التفسير، لأن هذا قد يعتبر هزيمة من طرفه ولجماعة أهل السنة كافة في بَزْئُو، ثم التجأ جعفر إلى تحقيق الخبر المشاع، واتصل بالضابط العام للشرطة في الولاية وسأله إن بلغه خبر عصابة تُبَيَّت خطة لإثارة الفتنة في الجامع، ففند الضابط هذا الخبر وقال لا سند له حسب تحقيقات جهاز

⁷⁵ مقابلة شفوية مع الحاج بنو مصطفى، مارس 22، 2019.



الشرطة، وهذا التطور زاد في قناعة جعفر لموقفه وإصراره على ما عزم عليه من إلقاء تفسيره، وقبل بضعة دقائق لبدأ التفسير جاء رجل يسعى وجعفر في الطريق إلى المسجد وقدم نفسه كأنه واحد الممثلين من قطاع الأمن وهو يحاول أن يقنع جعفرا أن لا يستمر بتقديم هذا التفسير، وجعفر يأمره بأن يعود لملاقاته في وقت لاحق لأنه مشغول في تلك اللحظة. وهكذا استمر جعفر وعقد مجلسه دون خوف ما قد يعقبه على ضوء الأراجيف التي تداولت في البلد.⁷⁶ وهذا مثال واحد من عشرات الأمثلة في محاولة منع إقامة مجلس التفسير ومنها تهديدات وجهت على جعفر نفسه، إلا أنه لا يهتز ولا يلتفت إليها غالبا.

وبمرور الأيام والليالي اشتهر مجلس التفسير، ولا يخفى أن للثب التلفزيوني والإذاعي يدا في هذا، إضافة إلى الأشرطة المسجلة والموزعة بين الناس. فازداد اشتياق الناس إلى المجلس شيئا فشيئا في داخل وخارج مَيْدُغُرِي، وأصبح الذين في البداية يخافون من الحضور حتى لا تأخذهم الكاميرات من أشد العاشقين للتفسير، يحتلون الصفوف الأمامية في كل يوم ولا يعباؤون بما قد يعقب ذلك، وفي وقت قصير كما قال كاتب من مَيْدُغُرِي، أصبح مجلس جعفر "حديث البلاد واستقطب جما غفيرا من الناس. فيأتيه الناس من [مكان] بعيد وقريب للاستماع إلى تفسيره".⁷⁷ وفي تعبير حسين مَبِيرا، "كان الناس من مختلف المستويات وفي مختلف أقطار الدولة يهرعون إلى مَيْدُغُرِي في شهر رمضان ليستمعوا إلى تفسيره للقرآن المتميز بغزارته العلمية وحكمه المفيدة".⁷⁸ أخبرني طالب من كُنُو اسمه حزب الله الحسن أنه كان يسافر في كل بداية شهر رمضان من كُنُو إلى مَيْدُغُرِي ليستفيد من تفسير جعفر ولا يعود إلا في نهاية الشهر.⁷⁹ وهذا غيض من فيض من مئات الأشخاص الذين كانوا يسافرون من بلدان أخرى إلى مَيْدُغُرِي للاستماع إلى التفسير، وهناك من لا يهيمه التفسير أصلا، بل

⁷⁶ بيان اختتام التفسير في مَيْدُغُرِي، شهر يناير 2002، 05

Ali Alhaji Ibrahim, "SHEIKH JA'AFAR MAHMUD ADAM: MARTYRDOM OF AN ERUDITE ISLAMIC SCHOLAR", *WordPress*; accessed via

<https://abufadima.wordpress.com/sheikh-jaafar-mahmud-adam-martyrdom-of-an-erudite-islamic-scholar/>. Last checked December 2, 2021.

Mabera, *The Life and Times of a Hero*, 30.⁷⁸

⁷⁹ مقابلة شفوية مع حزب الله الحسن، أبريل، 2019، 02.



يرغب فقط في الذهاب لرؤية ذاك المفسر الذي جرى ذكره على ألسنة كثير من الناس، ومن ثم لا يكاد يفوته المجلس.⁸⁰

كان المجلس ينعقد في الساعة الرابعة مباشرة بعد صلاة العصر، لكن المسجد يمتلئ ويكتظ بالحضور منذ الساعة الثانية نهارا، وكان التجار والعمال والموظفون يغلقون محلاتهم ودكاكينهم ومكاتبهم ليحضروا المجلس،⁸¹ فصار المسجد في فاتح القرن الواحد والعشرين فريدا لا يوجد له مثيل بالنسبة لإقبال الناس عليه وتفاعلهم مع التفسير في شهر رمضان.⁸² وقد أطلعني أحد أعضاء مسجد إندمي على ما تفوه به الأمير شيخ بَرُنُو الحاج مصطفى الكنيبي أنه لا يلجأ إلى مضجعه في كل ليلة إلا بعد مشاهدة تفسير جعفر في التلفاز.⁸³

منهج الشيخ جعفر في التفسير

منهج جعفر في التفسير هو نفس المنهج المعروف بالتفسير بالمأثور، وهو تفسير القرآن بالقرآن وبالسنة وتفسير القرآن بأقوال الصحابة وأقوال التابعين،⁸⁴ وكان يعتمد كثيرا على اللغة العربية ويستشهد بأشعار الجاهلية وأشعار صدر الإسلام وما بعدهما، ولا يخفى ذوق جعفر في اللغة العربية على المستمع خلال استشهاده بالشعر الذي يؤديه بصوت جهوري ونغمة مرتفعة، ويتجلى فيهما نشاطه واستمتاعه بالنكتة اللغوية التي يريد أن يشير إليها، كما كان جعفر يتطرق إلى مسائل نحوية ليشير إلى اختلافات إعرابية. وكل هذا يزيد رونقا للتفسير، لكن التعمق في مثل هذه المسائل يصعب على بعض الحضور لعدم امتلاك مقدمات هذا الفن، وكان جعفر ينصح الطلبة بأن يقتنوا كتب اللغة ليكونوا ملمين بدقائقها، وكان يحذرهم عن اقتناء قاموس المنجد في اللغة العربية، لأن مؤلفه مسيحي والغرض في كتابته له هو التنصير.⁸⁵

⁸⁰ مقابلة شفوية مع الحاج ناصر لادن، مايو، 2019، 17.

⁸¹ Ali Alhaji Ibrahim, "Sheikh Ja'afar Adam: Three Years On", *Gamji* (undated); available on <http://www.gamji.com/article9000/NEWS9076.htm>; accessed December 2, 2021.

⁸² الننعيري، مجالس التفسير في شمال نيجيريا، ص. 86.

⁸³ مقابلة شفوية مع الحاج بنو مصطفى، مارس 22، 2019.

⁸⁴ محمد، "منهج الشيخ جعفر محمود آدم"، ص. 128 إلى 174.

⁸⁵ ورد ذلك في تفسيره في مجلس إندمي، شهر رمضان 1424، 24 (2003).



يرى جعفر أن تفسير آية أو جملة أو كلمة في القرآن بالاعتماد على اللغة العربية أمر مقبول، لكن بشرط أن لا يخالف تفسير السلف الذي صح سندا ومثنا.⁸⁶ وقد أيد هذا الرأي كثير من المفسرين والمتخصصين في التفسير وعلوم القرآن في الماضي والحاضر. ذكر الدكتور مساعد الطيار في كتابه فصوص في أصول التفسير أنه لا يقبل ولا يعتبر أي نقد أو تعقيب على تفسير السلف بمجرد الاعتماد على اللغة العربية، والدليل الواضح هو أن السلف عربيتهم سليقة ولم تختلط بالعجمة وما شابهها لحن، كما وجد في العصور المتأخرة.⁸⁷ وما يهمننا في هذا وهو الأمر المستغرب، نرى جعفرا في مناسبة أخرى، يخالف هذا الشرط، وإن كان هو أيضا معروفا بإصراره وتشدده على أن لا يخالف المفسر تفسير السلف. والسؤال هل جعفر نفسه التزم بهذا الشرط مائة بالمائة؟

فقد فسر جمهور المفسرين من السلف كعبدالله بن عباس وتلامذته كلمة "فوم" الواردة في الآية رقم 61 في سورة البقرة بمعنى "القمح"، وذهب قليل منهم على أنها "الثوم"،⁸⁸ وأخذ جعفر مذهب الجمهور ومكث زمنا طويلا يفسر "الفوم" بـ "القمح"، وفي سنة 2002 تراجع جعفر عن هذا المذهب أي مذهب جمهور السلف في تفسير الكلمة وصار يفسرها بالثوم. يتذكر جعفر أنه زار في السنة نفسها الجامعة الإسلامية في المدينة ليحضر مناقشة زميل له من دولة مالي الذي أنجز أطروحة الدكتوراه في تخصص التفسير، وفي أثناء الدفاع، اشتدت المحاوراة بين اثنين من أعضاء اللجنة (وهما الأستاذان الدكتور فهد رومي من جامعة الإمام محمد بن سعود برياض والدكتور براق من كلية القرآن بالجامعة الإسلامية في المدينة) عن المعنى الدقيق والتأويل الأرجح لكلمة "فوم". فالأخير أصر على أنه رغم ورود أثر صحيح عن ابن عباس الذي فسر الفوم بالقمح - وهو اجتهاده الشخصي وليس حديثا مرفوعا -، فالأصح أن تؤول الكلمة بالثوم. والدليل كما حكى جعفر هو أن كافة القواميس فسرت "فوم" بـ "الثوم"، ومن ثم تراجع جعفر عن تفسير الكلمة من القمح إلى الثوم،⁸⁹ وهو لحسن الحظ رأي الطاهر بن عاشور، المفسر المشهور ومؤلف التحرير والتنوير، وقد

⁸⁶ ورد ذلك في تفسيره في مجلس إندي، شهر رمضان 1423، 22 (24/10/2002).

⁸⁷ مساعد بن سليمان الطيار، فصول في أصول التفسير (رياض: دار النشر الدولي، 1993)، 145-146.

⁸⁸ انظر إسماعيل بن عمر بن كثير، تفسير القرآن العظيم (بيروت: دار الكتب العلمية، 1419 هجري)، ج 1، ص 179-180.

⁸⁹ ذكر ذلك في تفسيره في مجلس إندي، شهر رمضان 1423، 05 (09/10/2002).



استدل ابن عاشور لموقفه هذا على أن هناك لغة من العرب شاع فيها استبدال حرف الثاء بالفاء، وقد استعمل القرآن لغتهم في تلك الكلمة.⁹⁰

مهما يكن الأمر، فميل جعفر إلى هذا الرأي الأخير وإن كان قد تمسك به قليل من علماء السلف، ولكن لم يأخذ موقفهم منذ البداية حتى تبين له من خلال مناقشة أطروحة الدكتوراه لهذا الأمر وإصرار الأستاذ براق الذي استدل أيضا بالقواميس، فيمكن أن يقال قد انثنى جعفر عن تفسير السلف في هذه المسألة بالذات، وقد يقول القائل أن هذا الانعطاف انعطاف يسير لغوي فقط، وهذا صحيح، فقد كان جعفر لا يسمح بأي زيغ عن رأي السلف إلى خلافه في المسائل العقديّة والفقهية والتاريخية وغيرها.

لا يمنع استناد جعفر إلى تفسير السلف من توسيع معرفته في التفسير والاطلاع على مصادر ومؤلفات مختلفة في التفسير، ومن أهم المصادر التي يعتمد عليها جامع البيان عن تأويل آي القرآن للإمام ابن جرير الطبري، والجامع لأحكام القرآن "لأبي عبد الله القرطبي، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير، ومختصره لأحمد شاكر، والتحرير والتنوير" لابن عاشور، و محاسن التأويل لجمال الدين القاسمي، ورد الأذهان إلى معاني القرآن لأبي بكر محمود غومي، و أضواء البيان لمحمد الأمين الشنقيطي، وتفسير الصحيح الموسوعات الصحيح المبصّر من التفسير بالمأثور لحكمت بشير ياسين وغيرها.

وهذه ليست المصادر التي يعتمد عليها جعفر فقط في تفسيره، لكن يكثر جعفر ذكرها في مجلسه، ويعتمد عند العرض على كتاب رد الأذهان للغومي ويقرأ نصه في شرح الآيات، ولا يقتصر عليه، بل يرجع إلى نقاط مكتوبة استخراجها من المصادر المذكورة وغيرها ويستشهد بها غالبا ويحيل عليها. وكان جعفر يخالف بعض آراء غومي في رد الأذهان وينتقدها على ضوء آراء مفسرين آخرين لاسيما فيما يتعلق بصحة الروايات، وفي بعض الأحيان ينتقد جعفر مواقف غومي واختياراته التفسيرية بدون ذكر اسمه أو الإشارة إليه. وأسلوب جعفر هذا وإن كان فيه تعظيم وإجلال لغومي في بيان ما أخذ وأوجه خلافه معه، يثير غضب بعض أتباع غومي (رغم أن جعفرا هو أيضا من أتباع غومي)، ويتساءلون من هو جعفر هذا حتى يعقب على الشيخ غومي المشهود له بغزارة العلم والصدارة في

⁹⁰ محمد طاهر ابن عاشور، التحرير والتنوير (تونس: دار التونسية للنشر، 1984)، ج. 1، ص. 522.



الدعوة السلفية في نيجيريا؟ لكن لا يمنع هذا كله جعفر مما هو عليه، فكثيرا ما لا يلتفت إلى تلك الأقوال.

وكان جعفر في بعض الأوقات يستشهد بأقوال فخر الدين الرازي صاحب تفسير مفاتيح الغيب المعروف أيضا بالتفسير الكبير، الذي انتقده بعض العلماء ووصفوه بأنه "تفسير فيه كل شيء إلا التفسير"،⁹¹ فأما جعفر وإن كان هو أيضا يعترف بأن الكتاب له قصور منهجي كعمل كل بشر، يرى أن وصفه بخلو الفائدة في التفسير خطأ فاحش ومسبة على العلم، وهذا غير مقبول،⁹² وقد لاحظ أن تفسير الرازي مفيد جدا يصلح الاعتماد عليه، وهو كنز لا يستغنى عنه في فهم الآيات الكونية وتفسيرها،⁹³ بل وصف جعفر تفسير الرازي بأنه حجة. وكان جعفر في أحيان أخرى يستشهد بتفسير البيضاوي أنوار التنزيل وأسرار التأويل الذي أُلّف على منوال تفسير الرازي.

لاحظ جعفر أن البيضاوي فسر الآية الأخيرة في سورة البقرة من قوله تعالى { يأبى الذين ءامنوا اصبروا } تفسيرا إشاريا، حيث قال أن معنى الآية هو

"اصبروا على مشاق الطاعات وما يصيبكم من الشدائد. { وصابروا } وغالبوا أعداء الله بالصبر على شدائد الحرب وأعدى عدوكم في الصبر على مخالفة الهوى، وتخصيصه بعد الأمر بالصبر مطلقا لشدته. { وربطوا } أبدانكم وخيولكم في الثغور مترصدين للغزو، وأنفسكم على الطاعة كما قال عليه الصلاة والسلام « من الرباط انتظار الصلاة بعد الصلاة

" 94 "

⁹¹ انظر مناع بن الخليل القطان، مباحث في علوم القرآن (مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، 2000)، ص.356.

⁹² ذكر ذلك في مجلس شرح الورقات في كُنُو، فبراير 13، 2005.

⁹³ ورد ذلك في تفسيره في مجلس إندي، شهر رمضان 1424، 24 (2003).

⁹⁴ عبد الله بن عمر البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل (بيروت: دار إحياء التراث العربي، 1418)، ج. 2، ص.56-57.



ورغم أن التفسير الإشاري - حسب تقرير جعفر- غير مقبول لاختلاطها برموز غلاة الصوفية، فتفسير البيضاوي وإن كان ضعيفا في ذاته نظرا إلى المؤول له، فلا يندرج تحت التفسير الإشاري الذي يعتبر غلوا وانحرافا، بل يحمل على لطائف التفسير.⁹⁵

وذهب جعفر إلى أن التأويل - وهو وأبوابه بطبيعة الحال محل خلاف بين المتكلمين وأصحاب الحديث - ليس بذاته مذموما قطعاً ولا يرفض كله، بل التأويل كالتفسير بالرأي الذي قد يكون حسب مضمونه محموداً أو مذموماً.⁹⁶ وإن كان الأمر كذلك، فيمكن القول بأن منهج جعفر في قراءة التطورات والمستجدات المعاصرة والوقائع بخلاف أنواعها ومكان نزولها على ضوء النصوص القرآنية من القصص والأحداث والقضايا ومحاولة إيجاد الحلول من اجتهاده الشخصي أنه تفسير بالرأي، وكان أسلوبه هذا من دوافع إقبال الناس على تفسيره.

لا يألوا جعفر جهداً في الجمع بين الآيات التي ظاهرها التعارض، ويستعين في هذا بمصادر عدة منها تفسير الآيات بآيات أخرى مثلها، وتفسيرها بالسنة ثم أقوال المفسرين. وكان يعطي اهتماماً بالغاً في وصف الأحداث والوقائع التي يحكمها القرآن لاسيما المغازي والسرايا بطريقة تجذب عقول السامعين والمشاهدين، فيرتج المجلس بالتكبير بعد سرد قصة واستخراج الدروس المستفادة منها وربطها بالواقع. وعلى سبيل المثال، عند تفسير سورة الأنفال في الآيات التي تتحدث عن غزوة بدر، لما وصل إلى الآية التي يأمر فيها الله المؤمنين بقوله "فاضربوا فوق الأعناق"، وضع جعفر ما قاله المفسرون، فمنهم من ذهب إلى أن الأمر بضرب أعلى العنق بأنه لفظ زائد، ولا يقصد به حقيقة، وذلك أن المسلمين يحاربون بالسيوف ويقطعون بها رؤوس الأعداء، فعلى هذا يرى بعض المفسرين أن الأمر الإلهي مقصود به قطع الرؤوس فقط، إلا أن جعفر استمر وحاول الجمع بين الملفوظ في الآية والمفهوم في السياق دون إهمال أي منهما، فقال، المعنى هو "يضرب ناصية العدو حتى يفقد وعيه وينسى أين هو، ثم يقطع عنقه".⁹⁷

فالأمر المشار إليه هنا ليس فقط محاولة الجمع بين الآيتين، وقد يكون جعفر قرأه في مصنفات من سبقه، بل الأسلوب الجذاب الذي سلكه في وصف المشهد. لكن انطلاقاً من خوف أن لا يحمل الأمر

⁹⁵ ذكر ذلك في تفسيره في مجلس إندي، شهر رمضان 1424، 13 (07/11/2003).

⁹⁶ ذكر ذلك في تفسيره يوم الجمعة شهر ربيع الثاني 1424، 20 (07/06/2003).

⁹⁷ ذكر ذلك في تفسيره في مجلس إندي، شهر رمضان 1426، 26 (2005).



في الآية على الإطلاق، بدون اعتبار الجزئية التاريخية التي ورد فيها، أحس جعفر كأن الآية قد تُستغل وتُستعمل في غير معناها، فعلل قبل أن يواصل بالآية التالية:

مثل هذه الآيات – لا شك – تخوّف كل عدو لله، لكن إذا نظرتم فيها جيدا [ستلاحظون أن] الأمر قد وجه إلى الذين ظلموا، أي أن الله يرشدهم إلى سبيل الانتقام، فليس هذا أمرا بالاعتداء أو الظلم على من لم يظلمهم، وليس أمرا لأحد أن يهجم على شخص بريء، بل هو أمر لمن أُلحق بالضرر، الذي أُخرج وأُحرق دياره ومسجده، وقبل أن تأمر الآيات بالجهاد، سبق أن ورد "أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير"⁹⁸. وهذا يعني أنهم لم يُأمروا [أصلا بالقتال]، إلا بعد أن بلغ الاعتداء القمة، حيث حرقت ديارهم، وحرقت مدارسهم وأغلقت مؤسساتهم الدينية، و[فعل بهم] كذا وكذا.... عندئذ قال الله "أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا"⁹⁹.

وكان مسجد إندي في موسم التفسير يتميز عن غيره كما يلمح الرواد إليه أو المارون به، ويزيد في رونقه كامل الانتباه الذي يتمتع به من قبل المفسر والحضور، ويقلل جعفر المزاح والفكاهة عند عرض التفسير، وكان يظهر بمنظر جدي لا يعرف الهزل، ولا يسمح للذين أمامه بالتشويش أو فعل شيء يصرف الآخرين عن الانتباه.

تعلق الناس بالتفسير

إضافة إلى الجَم الغفير الذين يحضرون المجلس شخصيا، يشاهد التفسير ألوف الناس عبر القنوات، ويحكى أن هناك إخوة كانوا يحبون الاستماع إلى التفسير ولديهم أخ كبير يعارض دعوة جعفر في مَيدُغُري، وكانوا دائما يتشاجرون معه إذا شغلوا التلفاز لمشاهدة تفسير جعفر وأخوهم يطفئها، وفي الأخير قرروا أن يستعملوا العنف ويجلدوه، لأنه أصبح عائقا بينهم وبين ما يرغبون، ولحسن حظه بدأوا بكتابة رسالة إلى مسجد إندي يستفتون فيها جعفرا ويطلبون منه أن يُقرهم على ما أجمعوا عليه، لكن جعفرا أجابهم بأن لا يتخذوا ذلك الموقف، وأشار عليهم بأن يستعملوا الرفق كوسيلة دبلوماسية في معاملة أخيم، منها تذكيره بأن لديهم الحق والحرية في ما يفعلون،

⁹⁸ سورة الحج الآية 39.

⁹⁹ ذكر ذلك في تفسيره في مجلس إندي، شهر رمضان 1426، 26 (2005).



وليقولوا له إذا شاء أن يأتي بتفسير أي عالم يريد أن يشاهد في الوقت الذي يريد، ويتركهم بالذي يريدون.¹⁰⁰

يحضر مجلس تفسير جعفر ويشاهده عن بعد أناس من مختلف المستويات ومن شتى مجالات الحياة منهم المثقفون وأساتذة الجامعات والمعاهد العليا والكليات، والإداريون والموظفون في القطاعات والمؤسسات الحكومية، والأمراء، والرؤساء والسياسيون وأصحاب المناصب العليا في الدولة، والتجار، والطلبة والشباب والسيدات وغيرهم.

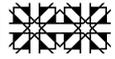
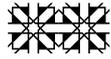
تعلق جماعة بَرُنُو بمختلف قبائلهم على شكل عام بتفسير جعفر أمر لا يختلف فيه اثنان، ويحتل الكَانُورِيُون (أي القبيلة الكبرى في بَرُنُو) مكان الصدارة في الظهور بالمجلس في مسجد إندمي، وقد تعلقت بالمجلس أيضا الأمة الهوساوية في مَيْدُغْرِي، وحسب إفادة بعض المصادر، أصبح المجلس ملتقى يجمع بين القبائل الذين لا يكادون يتفوقون مع غيرهم من قبل. والجدير بالذكر تحتوي ولاية بَرُنُو على عدة لغات وقبائل منها قبيلة كُنُورِي، وشُوي (وهم من أصول عربية) و بَابُور، وكَرِي-كَرِي، ومَرُغِي، ومِنْتَشِيكا وَمَنْدَرَا، وهوسا وتَشِيْبُوكُ، وغيرهم، أخبرني أحد سكان مَيْدُغْرِي أن كل قبيلة كانت في غابر الزمان تتحيز في أمورها إلى أبناءها، وبلغ بهم الأمر أن لا تقبل قبيلة إماما في الصلاة من غير بني جلدتها، وأما بعد مجيء جعفر إلى بَرُنُو وإنشاء مجلسه، اتحدت الصفوف وساد روح الأخوة الإسلامية وتلاشت أغلال العنصرية والعرقية.¹⁰¹

يستقبل مجلس التفسير كل يوم مئات الرسائل مكتوبة من قبل حتى غير المسلمين للاستفتاء والشكوى وطلب التوسط والتدخل في قضية شخصية (مثل الفصل أو الصلح بين المتخاصمين كالمتروجين) أو عموما (كتوجيه دعوة إلى الحكومة) أو حتى للنقد عن رأي أو قول تفوه به جعفر في إحدى جلساته، لكن بحكم الضرورة لا يسمح الوقت وهو الدقائق الافتتاحية أو الختامية للمجلس بالإجابة على كل رسالة.

وخلال المدة التي مكث جعفر يقدم التفسير وهي نحو أربع عشرة سنة في مَيْدُغْرِي، قد حدثت تطورات حساسة في نيجيريا منها انقلاب الحكم من الحكم العسكري إلى نظام سياسي ديمقراطي، وكانت حرية التعبير في عهد العسكر منحصرة ويقضى على محاولات التلطف بالآراء السياسية المعارضة لرغبة الحكام، فسدت المنابر والمجالس الدينية تلك الثغرة - وقد كان الحكام العسكريون يحترمون المنابر والمجالس الدينية لقداستها -، فالنقد والآراء المعارضة لهم تُدَسّ في الخطابات

¹⁰⁰ ورد ذلك في تفسيره في مجلس إندي، شهر رمضان 1426، 24 (2005).

¹⁰¹ مقابلة شفوية مع الحاج ناصر لادن، مايو، 2019، 17.



الدينية، وقد زال كله بالتحول إلى النظام الديمقراطي، وقد استغل العلماء هذه الفرصة بالتعبير عن رأيهم تحت رعاية القانون والمعترف به في دستور الدولة، ومن هذا المنطلق، يقرأ جعفر الرسائل التي يتلقاها بدون خوف أو اضطراب، ويعالج ما تتطلب من إبداء رأيه الذي في بعض الأحيان لا ينسجم مع رغبة أولياء الأمور، لكن بطريقة يفهم منها أنه عالم حر غيور على أمته ووطنه وليس سياسيا صاحب هوى أو غرض شخصي.

جاءت رسالة في إحدى الجلسات المنعقدة سنة 2004 من رجل يتوسط بجعفر في شأن مطلقة، وكانت تحضر المجلس ولا يفوتها، اعترف الرجل بأنه قد ظلم المرأة، وهذا ما أدى إلى فراقهما، وقد ندم الآن ويريد أن يراجعها، وعندما ذهب إليها واعتذر واستصفح أبت أن ترجع إليه، ولأجل هذا يتوسل بجعفر أن يتدخل ويصلح بينهما. بدأ جعفر باستعطاف المرأة ومناشدتها أن تعفوا عن الرجل وتعود إليه، ثم استشهد ببعض الآيات ليقنعها أن تقبل عذر الرجل بعد أن اعترف بذنبه وتحسر عليه وندم.¹⁰²

فالمشاكل الزوجية من القضايا التي يتطرق إليها جعفر في تفسيره ويبسط الكلام فيها حسب السياق أو في حال الاستفتاء، وكانت الزوجات يرأسن المجلس كثيرا ويشتكين أزواجهن كما يرأسن الفتيات يطلبن تدخل المفسر في قرار آبائهن أن يكرهوهن على زواج من لا يحببن، وفتيات أخريات يكتبن لطلب تدخل العالم في إقناع آبائهن بأن يزوجهن بدلا من الإصرار بعدم تزويجهن إلا بعد انتهاء دراستهن في الجامعات، بل حتى هناك من يريد أن يتزوج فيكتب ويطلب مساعدة مالية من جعفر ومن حوله.

أرسلت طالبة من جامعة مئدغري سنة 2003 رسالة أودعت فيها عبارات قاسية وألفاظا غليظة لتشكوا موقف والدها الذي يرفض أن يزوجهما لخطيبتها المعروف بالتدين والأخلاق الجميلة بدافع أنه فقير، يمارس تجارة بسيطة، وقد أصر والدها أن لا يزوجهما إلا بعد إكمال دراستها الجامعية، ثم حكّت قصة الأوضاع البشعة التي يعيشها زميلاتها في رحاب الجامعة، منها الاعتداءات الجنسية التي يعانينها من طرف جمعية سرية تتكون من أساتذة وطلبة، همهم إخضاع الفتيات الطالبات لتحرشاتهم الشهوانية بكل طريقة ووسيلة منها العنف والسحر والمغريات. وحسب تقرير الطالبة أغلب الفتيات قد صرن ضحايا اعتداءات هذه الجمعية، والطالبات العفيفات اللواتي يمتنعن ويقاومن تلك الاعتداءات ويتعرضن لألوان من الأخطار منها خذلن في الامتحانات وإعطائهن درجات قليلة، بينما من جانب آخر يبذل الأساتذة المنتمون إلى تلك الجمعية درجات عاليات لشريكاتهم من الطلبة، وختمت الرسالة بالاعتراف بأنها واحدة من مئات الطالبات اللاتي يعانين في الجامعات

¹⁰² ورد ذلك في تفسيره في مجلس إندي، شهر رمضان 11، 1425 (24/10/2004).



والمعاهد العليا والكليات، وقد رفعت الشكوى إلى من له صيت ذائع وكلمة مسموعة في المجتمع وترجو أن يساهم في إيقاف استغلال وضع الطالبات الضعيفات العفيفات. أجاب جعفر عن هذه الرسالة بأسلوب لا يخفى على السامع أنه غضب غضبا شديدا ويكاد يميز من الغيظ من ما سمع من المرأة، وقال قد بلغ السيل الزبي وبلغ الأمر مبلغا لا يسمح بالسكوت ولو كان إبليس هو الذي يتأس على الأمة. ثم تذكر أنه شارك في ندوة نظمها منتدى المسلمين في بزنو في مسجد الشيخ أب آجي قبل سنتين وألقى هو والبروفيسور أبوبكر مصطفى (رئيس جامعة مئدغري في ذلك الوقت) مداخلة تمحورت عن نفس الموضوع، ويرى جعفر أن إيقاف استغلال الفتيات في الجامعات والمدارس العليا يتطلب تدخل جهات مختلفة ومساهمتهما والتي ينبغي أن تتعاون وتشارك بعضها بعضا.

ثم وجه الخطاب إلى نائب حاكم ولاية بزنو وأصحاب المناصب العالية في الولاية وبعضهم يحضرون المجلس، وذكرهم أن الأمر ليس هينا لأنه إذا استمر هكذا سيعرقل دراسات الإناث ويكون حجر عثرة في مساراتهن العلمية في الجامعات والمعاهد العليا.¹⁰³ فأساسا كان جعفر كغيره من المسلمين لا يثق بتحركات منظمات حقوق الإنسان ويشك في أهدافها تجاه المسلمين، لكن يستنبط من كلماته النقدية أن للمنظمات أدوارا إيجابية لو انشغلت في إخراج المستضعفين الحقيقيين من المآزق والمشاكل.

ومن الرسائل التي يتلقاها المجلس رسائل تطلب من جعفر أن يتوسط في إيجاد القبول لأصحابها في الجامعة، فالانخراط في الجامعات في نيجيريا كما هو معروف أمر صعب لأن عدد الراغبين دائما يتزايد بأضعاف عن الفرص المتاحة للولوج، فيضطر الراغبون إلى من يتدخل في شأنهم لأجل التنافس والتفضيل والمحابة التي يتميز بها الفوز بهذه الفرص، وقد صرح بهذا في إحدى الرسائل التي وصلت المجلس من أحد المستمعين في سنة 2004، قرأ جعفر الرسالة ثم بلغها إلى الجامعة، لكن علل عن هذه المسألة وقال لا داعي للتوسط لمن لا يحصل على المؤهلات ولا تتوفر لديه الشروط المطلوبة، بل من كانت حاله هكذا يجب أن يُنصح ويُشجّع ويُحث على العمل بالجد ليحصل على المتطلبات هو أيضا، وعندها ينبغي أن يُتدخل لأجله ويوجد له قبول في الجامعة لاسيما إذا انحدر من أصول وأسرة متواضعة.¹⁰⁴

¹⁰³ ورد ذلك في تفسيره في مجلس إندي، شهر رمضان 1425، 04 (21/11/2003).

¹⁰⁴ ورد ذلك في تفسيره في مجلس إندي، شهر رمضان 1425، 26 (08/11/2004).



يستنتج مما أشرنا إليه من الرسائل أن المستمعين والحضور قد اعتبروا المجلس وسيلة لإيصال شكاياتهم إلى الجهة المعنية بقضيتهم، فلم تقتصر الرسائل على الاستفتاء فقط، بل يستقبل المجلس رسائل فيها مشاكل شخصية، وبلغ الأمر إلى حد أن من تعرض لإهانة أو استغلال من رجال الشرطة أو عزل عن وظيفته لسبب من الأسباب يشعر أنه ستحل مشكلته بمجرد إرسال ورقة إلى جعفر يوضح فيها وضعه، ومثل هذه الشكايات بالأحرى أن توجه إلى مكتب الشرطة أو المحكمة أو أي مؤسسة لها سلطة قانونية في تناول قضايا الشكايات والمظالم، غير أن أصحاب هذه الرسائل غالبا يقولون أنهم استقصوا كل الوسائل في محاولة استعادة حقهم أو إيجاد الحل لمشاكلهم دون جدوى، ولم يبق لهم خيار سوى اللجوء إلى المجلس، على الأقل شهرة المفسر ونفوذ كلمته في الدولة إضافة إلى الموسم الرمضاني الذي يتميز من غيره قد يؤدي إلى معالجة قضيتهم.

مهما يكن الأمر لا يبالي جعفر بأن يقرأ تلك الرسائل بأسلوب بليغ مؤثر على السامعين يناشد بلين ورفق تارة وبشدة وغلظة طورا حسب ما يقتضيه الوضع والسياق. ولا تقتصر غلظة جعفر على الأخطاء والفساد والجرائم التي يرتكها الحكام وولاة الأمور كما هو مألوف في دعوته، بل لا يسمح لأتباعه ولا يبيح للمواطنين أن تصدر منهم تحركات فيها اختلال بالنظام ومخالفة القانون والشريعة، كانتهاك أنظمة المرور وعدم احترام قواعد السير وضوابط السياقة، وقد رأت هيئات حكومية مختلفة مثل الشرطة أن تركز إلى المجلس في بعض الأحيان وتستعين بالمفسر ليوجه نداء لأتباعه الحاضرين للتفسير والناس عموما لأن يحترموا القانون ويتجنبوا خرق الأنظمة، فلا يألوا جعفر أن يبذل نصائح ويؤكد على أن مخالفة النظام ليست من أخلاق المسلم، وكيف بمتدين يحضر مجلس التفسير ويستمع إلى معاني كلام الله؟¹⁰⁵

ويفهم خلال هذه الرسائل مدى تأثير دعوة جعفر في مَيدُغُري وشمال نيجيريا، ويصرح بهذا بعض أصحاب الرسالة، فيعترفون أنهم من قبل كانوا يتبعون النهج الفلاني أو يفعلون الفساد الفلاني، وبواسطة استماعهم إلى التفسير أدركوا أنهم على خطأ وقد ظهر لهم الحق ويريدون أن يتوبوا. وعلى سبيل المثال، قرأ جعفر رسالة من شخص (أخفى جعفر اسمه حفاظا على عرضه) موظف في إحدى المحافظات أي الحكومات المحلية في ولاية يوبي، وكان يستغل منصبه كمحاسب في الانغماس في فساد مالي، وكان يتآمر مع رئيس قسم المحاسبة ويضيفان عددا مزيفا للعمال لا وجود لهم حقيقة في قسيمة توزيع الرواتب الشهرية، فتنتهي رواتب ثمانية أو عشرة أشخاص في جيبيهما، وقد استطاع الرجل - كما وضح - أن يبني بيتا ويشترى مركبا بالمال الذي يقترفه من هذه الطريقة، لكن بعد

¹⁰⁵ ورد ذلك في تفسيره في مجلس إندي، شهر رمضان 1423، 15 (19/11/2002).



مرور الأيام استمع إلى تفسير جعفر للقرآن فعلم أنه هو شريكه كانا يرتكبان ذنبا عظيما، وقد عزم الآن على التوبة.

والجدير بالذكر، في الوقت الذي تصل جعفرا هذه الرسائل قد انتشرت دعوة جعفر في كافة أنحاء شمال نيجيريا وذاعت شهرته في دول غرب إفريقيا، وقد انضم إليه آلاف الأشخاص الذين كانوا يعارضون دعوته من قبل لاسيما من الصوفية كما أشارت إلى هذا ورقة أخرى سطرها نفر من أتباع الطرق الصوفية ووقع عليها ممثلهم المسمى بـ "الذاكر عُمراري"، ومضمون الرسالة هو اعتراف الرجال بأنهم كانوا من معارضي جعفر ودعوته ومكثوا عشر سنين ولم يستمعوا قط إلى تفسيره لتمسكهم بالتصوف، وقد كُتب لهم أن يستمعوا إلى التفسير قبل عشرة أيام (أي في رمضان سنة 1425 الموافق لسنة 2004)، وخلال ما سمعوا، قد ظهر الحق وتبين لهم الرشد من الغي، ويريدون أن يرشدهم جعفر إلى ما ينبغي أن يفعلوا بعد أن عرفوا الحق وقبلوه. وهكذا قرأ جعفر الرسالة وانتظر هنيئة قبل أن يستأنف الكلام لهدأ المجلس الذي اندلع بالتكبير بأصوات مرتفعة من طرف الحضور، ثم استمر جعفر بالكلام عن هذا التطور وقال

عناية أهل بَرُنُو بالمجلس

تتجسد أبرز الانتصارات التي حققها مجلس التفسير بمسجد إندمي في ختم ترجمة القرآن وشرحه الذي استغرق ثماني سنوات (من 1994 إلى 2001)، وقد مر المجلس بمراحل عويصة كما أشرنا إلى ذلك، وقد أدت التحديات التي واجهها جعفر في بَرُنُو إلى إحساس أتباعه بأنه قد يلغي التفسير في مَيْدُغْرِي وينتقل إلى مكان آخر وهو بطبيعة الحال مطلوب من جهات عدة، ومن جانب آخر لم يزل معارضوا دعوته في تلك الولايات يعتبرونه حجر عثرة يقف أمام نفوذهم ومكانتهم في المجتمع، فلا تمر نهاية كل رمضان والشهور التي تليه إلى رمضان آخر إلا وأشيع بأنه لا يعود جعفر للتفسير في الموسم الموالي، وقد اشتد تداول هذه الأراجيف بعد ختمة التفسير في 2001، وقد أصبح هذا الخبر مصدر قلق لجماعة بَرُنُو لسبب أمارات تشير إلى مصداقية الإشاعات، على الأقل إن لم ينفصل جعفر عنهم في السنوات الماضية فختمة التفسير الآن مبرر واضح للمفسر أن يتوقف من المعجاء ويتحول إلى مكان آخر. فاجتمع ملتقى جماعة المسلمين في بَرُنُو (وهو مجلس تأسس بإشارة وإشراف من جعفر)، ولجنة إدارة مسجد إندمي ومنظمات ومؤسسات أخرى وناقشوا موضوع توقف جعفر عن الحضور وإبقاء درس التفسير في رمضان، وانتهى الاجتماع بتكوين حركة انفعالية عملها منع خطة توقف المجلس ومحاولة إعادة جعفر للاستمرار بتفسيره في بَرُنُو.

وفي شهر يناير لسنة 2002 نظمت الحركة سفارة وجهتها إلى مستقر جعفر في مدينة كَنُو في موكب يتضمن مائة وعشرين نقيبا منهم العلماء والكبراء وأصحاب المناصب العالية ونواب البرلمان لولاية



بزنو، وخبراء ومتخصصون في شتى المجالات، والقصد وراء هذه السفارة هو التعبير برفض جماعة بزنو عن نقل مجلس التفسير ومحاولة إقناع جعفر بالعودة في الموسم المقبل. وبعد وصولهم إلى كَنُو رفضوا أن يُستضافوا في الفنادق واختاروا أن يبيتوا في جامع المُنتَدَي في حارة طُوَزي. لم يستطع جعفر أن يكتف فرحته بالزيارة لما تكمنه من التقدير والتثمين لتفسيره الذي يقدم في بلدهم، وقد اعترف جعفر أمامهم أن هناك بالفعل خطة توقف المجلس في بزنو بعد ختمة تفسير القرآن، إلا أن ضميره لا يطاوعه أن يخذل هؤلاء النقباء الذين تجشموا عناء المسير من مكان بعيد ويعودوا بخيبة الرجاء، لكن رغم هذا لم يقرر جعفر شيئا بل أحالهم إلى بعض أساتذته وزملائه الكبار في كَنُو، وسلّم لهم زمام الحل والعقد في القضية وقال سيرضى بكل ما قرروا وحكموا به.

ومن هؤلاء الأعلام الشيخ الدكتور أحمد بَمبَا، المحدث الشهير ومؤسس هيئة دار الحديث، وهو أيضا صرح في لقائه مع الوفد أنه أساسا يرفض عودة جعفر إلى بزنو، لكن اندُهِش بهذه الزيارة وتفاعل جماعة بزنو مع التفسير، وقد غير موقفه لما رأى ولاحظ بعد لقائه معهم، ثم أكد لهم أن القرار الأخير سيكون في ما يحبون ويرضون.¹⁰⁶ وعلى أية حال، لم يتوقف التفسير، ولهذه الزيارة – بعد قضاء الله وقدرته – أثر في هذا، وقد حظي المجلس بين تلك الأزمناة إلى غاية سنة 2007 بعناية فائقة من طرف كبراء بزنو وأصحاب الكلمة في المجتمع كما زاد تمسك الناس بالنشاط والاقتراب من مسجد إندمي عموما. وقد سعى أهل بزنو في رعاية المجلس وساهموا في استمراريته هو وسائر الأنشطة الدعوية التي تأسست بمجيء جعفر إلى مَيَدُغُري.

وهذا يتجلى في أعمال طواقم التنظيم ولجان التنسيق التي لا تزال تشتغل منذ بداية رمضان إلى آخره للثبوت بأن الأمور جرت على ما يرام، تحل المرتبة الأولى في تنسيق مجلس تفسير جعفر لجنة مسجد إندمي التي ينفق عليها مؤسس المسجد الحاج إندمي، وكذلك يشارك في التنظيم ملتقى جماعة المسلمين في بزنو ومركز الإمام مالك الإسلامي وهو أيضا تأسس بفكرة ومشورة من جعفر. فالملتقى أسس ليكون مظلة للمسلمين كافة، ومن أهدافه توحيد الصفوف بين المسلمين وإحياء روح الأخوة والمحبة بينهم والدفاع عن الإسلام وحماية حقوق المسلمين ومصالحهم في بزنو. أما مركز الإمام مالك الإسلامي الذي أسسه الحاج تجاني بُولُوري، فمؤسسة دينية تستهدف نشر العلوم الإسلامية والوعي الديني خلال عقد دروس ومحاضرات وندوات ودورات تكوينية، وقد كان المركز يهتم بتقديم إرشادات مبدئية لمن دخل الإسلام سواء بطريق دعوة جعفر أو أي وسيلة أخرى.

¹⁰⁶ بيان اختتام التفسير في مَيَدُغُري، شهر يناير 2002، 05.



الخاتمة

يتجلى خلال هذه الصفحات أن مساهمة الشيخ جعفر في نشر رسالة القرآن الكريم شكلت ثورة علمية تفسيرية استنهضت ثلة من المفسرين وجعلتهم يراجعون مناهجهم وأساليبهم في التفسير، بل أصبحت معلما من معالم تطور علوم القرآن الكريم في غرب إفريقيا. لقد ابتداء الشيخ جعفر المسار التفسيري في ميدغري بصعوبات وتحديات ساعده الله أن يتغلب عليها بتبني وسائل الإدارة والاحترام والألفة لمعارضتي دعوته، كما مر المجلس بمراحل مختلفة انتهت بعلو كعب المجلس وتدفق الناس أفواجا للاستماع إلى التفسير الذي صار مؤتمرا رمضانيا لا ينافس مجلس. أشرنا إلى تعلق الناس بهذا المجلس كما يبرهن لهذا إسراع الناس إليه وسرعة انتشار الأشرطة المسجلة وتداولها في كافة أنحاء العالم الهوساي، بل شكل المجلس ملجأ يأوي إليه أصناف الناس ابتغاء تدخل العالم في شأن أو قضية تخصهم على مستوى الأفراد أو الجماعات. تكمن عناية أهل برنو بالمجلس في وضعهم لخطة وطيدة لحماية المجلس من التوقف بعد مضي مدة لمحوها فيما ملامح انسحاب جعفر من بلدهم وإمكانية انتقاله إلى مكان آخر. لا شك أن لمركز إندمي فضلا كبيرا على بزوغ دعوة الشيخ جعفر وتطورها وانتشارها، فقد اكتملت دور المجالس والمراكز والمواقع الأخرى التي أسهمت أيضا في تنسيق دعوة الشيخ جعفر واستضافتها واحتضانها. ساهم مجلس التفسير في ميدغري بدرجة كبيرة في دفع عجلة الصحوة الإسلامية إلى الأمام والتنويه بعنصر التمسك بالسنة وإحياء التمدد بمنهج السلف الصالح ومحاربة البدع والخرافات.

المصادر والمراجع

- ابن كثير، إسماعيل بن عمر. تفسير القرآن العظيم. بيروت: دار الكتب العلمية، 1419 هجري.
- ابن عاشور، محمد طاهر. التحرير والتنوير. تونس: دار التونسية للنشر، 1984.
- المنغيري، آدم عثمان آدم. مجالس التفسير في شمال نيجيريا. مركز البحوث والدراسات القرآنية، جامعة ولاية يوبي، دمارو، 1440/2018.
- الطيبار، مساعد بن سليمان. فصول في أصول التفسير. رياض: دار النشر الدولي، 1993.
- القطان، مناع بن الخليل. مباحث في علوم القرآن. مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، 2000.
- ريجير ليمو، محمد الثاني عمر. أيامي مع داعية الجيل ومفسر التنزيل: الشيخ جعفر محمود آدم. كَنُو: مركز الإمام البخاري للبحوث والترجمة، 2011.



غدون قيا، عبد الله عثمان. "الشيخ جعفر محمود آدم، حياته العلمية وإسهاماته في مجال التفسير: عرض وتحليل"، مجلة الماهر في الدراسات القرآنية 2:1، 2017.
غربا، عبد الله إبراهيم، "خطب الشيخ جعفر محمود آدم": دراسة موضوعية وفنية"، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماستر في جامعة المدينة العالمية بماليزيا، 2016.
محمد، مصطفى عبد الله. "منهج الشيخ جعفر محمود آدم"، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماستر في جامعة بايرو، كَنُو، نيجيريا، 2018.

المراجع باللغة الأجنبية

- Abdullahi, Muhammad. "A Study of Contributions of Selected Muslim Scholars to The Development of Tafsir in Northern Nigeria from 1970 – 2010". PhD Thesis. Zaria, Nigeria: Ahmadu Bello University, 2016.
- Abubakar Garba & Abdulrahman B. Hamid, "Challenges of Scholars and Scholarship within the Lake Chad Basin: The Way Forward", 15 in Conference Proceedings of the National Conference on Islamic Scholarship and Scholars in Modern Nigeria from 1900 –Date, organized by the Department of Islamic Studies and Shari'ah, Bayero University, Kano and held from 24th to 25th of February, 2018.
- Abubakar, Ismail Hashim, "Shaykh Ja'far Mahmud Adam (d. 2007) and His Visions and Philosophical Thoughts on Education: An Inductive Approach," *Interdisciplinary Journal of Education*, Vol. 5. No. 2. December 2022;
<https://journals.iuiu.ac.ug/index.php/ije/article/view/102>.
- Abubakar, Ismail Hashim Abubakar, "The Thoughts and Views of Ja'far Mahmud Adam on Marriage, Family Institution and Women Issues", *Al-Manhaj Journal of Indonesian Islamic Family Law* 5(1), June 2023;
https://www.researchgate.net/publication/372048109_The_Thoughts_and_Views_of_Ja'far_Mahmud_Adam_on_Marriage_Family_Institution_and_Women_Issues.
- Ben Amara, Ramzi. "Shaykh Ismaila Idris (1937-2000), the Founder of the Izala movement in Nigeria". *Annual Review of Islam in Africa*, Issue No. 11 (2012); 74-78.



- Mabera, Hussain Yusuf. *The Life and Times of a Hero: A Profile of Sheikh Ja'afar Mahmud Adam*. Lagos: Dan-Kawu Bureau de Change, 2008.
- Brigaglia, Andrea. "A Contribution to the History of the Wahhabi Dawah in West Africa: The Career and the Murder of Shaykh Ja'far Mahmud Adam (Daura, ca.1961/1962-Kano 2007)", *Islamic Africa* 3:1. Northwestern University Press, 2012, 1-23.
- Brigaglia, Andrea. "Ja'far Mahmud Adam, Mohammed Yusuf and Al-Muntada Islamic Trust: Reflections on the Genesis of the Boko Haram Phenomenon". *ARIA Annual Review of Islam in Africa* 11: 2012.
- Ibrahim, Ali Alhaji. "SHEIKH JA'AFAR MAHMUD ADAM: MARTYRDOM OF AN ERUDITE ISLAMIC SCHOLAR", *WordPress*; accessed via <https://abufadima.wordpress.com/sheikh-jaafar-mahmud-adam-martyrdom-of-an-erudite-islamic-scholar/>. Last checked December 2, 2021.
- Ibrahim, Ali Alhaji. "Sheikh Ja'afar Adam: Three Years On", *Gamji* (undated); available on <http://www.gamji.com/article9000/NEWS9076.htm>; accessed December 2, 2021.
- Labaran, Jameel. *Bankwana da Gwani: Sheikh Ja'afar Mahmud Adam (Rahimahullah)*. Kano: al-Hikma Ventures, 2008.
- Nasidi, Abdulhadi Nadir. "The Contributions of Late Sheikh Ja'afar Mahmud Adam to Sunnah Da'awah in Kano 1993-2007". B.A Project. Kano, Nigeria: Bayero University, Kano, 2013. تسجيلات الشيخ جعفر.
- مجلس التفسير في مركز إندمي، شهر رمضان 24,1424 (2003).
بيان اختتام التفسير في مَيْدُغْرِي، شهر يناير 05,2002، متوفر في
<https://www.web.darulfikir.com/dl/26718>; تم الاطلاع عليه في 4 December, 2021.
مجلس التفسير في مركز إندمي، شهر رمضان 22,1423 (24/10/2002).
مجلس التفسير في مركز إندمي، شهر رمضان 05,1423 (09/10/2002).
مجلس شرح الورقات في كَنُو، فبراير 13، 2005.
مجلس التفسير في مركز إندمي، شهر رمضان 13,1424 (07/11/2003).



مجلس التفسير ليوم الجمعة في مسجد عثمان بن عفان غدون قيا، شهر ربيع الثاني 1424, 20
(07/06/2003).

مجلس التفسير في مركز إندي، شهر رمضان 1424, 24 (2003). 26, 1426 (2005). 26, 1426
(2005) 24, 1426 (2005). 11, 1425 (2004). 04, 1425 (2003). 04, 1425 (2004)
(2004). 15, 1423 (2002). 23, 1426 (2005). 26, 1425 (2004)
(2004). 15, 1423 (2002). 22, 1426 (2005). 26, 1425 (2004)
(2004). 26, 1425 (2004).

مقابلات شفوية

مقابلة شفوية مع عثمان محمد إيا، مارس 2019, 22.
مقابلة شفوية مع أحمد عبدالقادر، مارس 2019, 20.
مقابلة شفوية مع الحاج بنو مصطفى، مارس 2019, 22.
مقابلة شفوية مع حزب الله الحسن، أبريل، 2019, 02.
مقابلة شفوية مع الحاج ناصر لادن، مايو، 2019, 17.



تخصيص المقطوع بالمظنون عند الأصوليين دراسة تطبيقية على تخصيص الكتاب بالقراءة الشاذة

إعداد

د. مصباح هادي تجاني

عضو هيئة التدريس بجامعة النهضة العالمية قسم الشريعة والدراسات

الإسلامية

أستاذ الفقه وأصوله

08068879646

musbahuhaditijani@gmail.com

المستخلص

تناولت الدراسة تخصيص المقطوع بالمظنون عند الأصوليين، المتمثلة في تخصيص الكتاب بالقراءة الشاذة. والهدف من الدراسة ابراز صلة الفقهاء بالقراءات من ناحية الاستنباط أحكامهم وتميز صحيحها وشاذها، وما يحتج به منها وما لا يؤخذ به؛ لأنه عمل شبيه بالذي يربط المحدث بالفقيه ، أو الفقيه بالمحدث. وأهمية الدراسة تظهر في ارتباط الموضوع بقواعد تفسير النص الشرعي، وأنه موضوع يتعلق بالدليل القطعي والظني، والمعروف أن القطعي مقدم على الظني، لكن الأمر لما يتعلق بالقطعي والظني في التخصيص فإنه قد يتم تخصيص المقطوع بالمظنون؛ ومنهج الدراسة هو المنهج الاستقرائي والاستدلالي، ومن نتائج الدراسة أن القطع يكون في الدليل من جهة وروده ومن جهة دلالاته، فمن من جهة وروده فإنه يكون قطعياً إذا كان متواتراً أو في حكم المتواتر إذا احتفت به القرائن، فالتواتر متحقق في القرآن لا شك، وأما الدليل الظني: فهو ما كانت دلالاته ظاهرة غير قطعية، أو كان ثبوته غير قطعي، وهو أغلب النصوص الشرعية. فكل قراءة وافقت أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالاً ووافقت العربية ولو بوجه، وصح سندها فهي القراءة الصحيحة. فالقراءة الشاذة هي التي فقدت أحد هذه الأركان. فللعلماء في حجيتها اتجاهات مختلفة. وهناك جملة من المسائل في الفروع الفقهية تم تخصيص عامها بالقراءات الشاذة عند الفقهاء.

الحمد لله الذي جعل التفقه في الدين خيراً ما يسعى إليه الإنسان المسلم، والصلاة والسلام على رسول الله القائل: "من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين".¹⁰⁷ ولما كان علم أصول الفقه هو منهج المتقدمين في استنباط حكم شرعي، قعدوا له قواعد بعضها ثبتت قطعية وهي أكثر، وأخرى ظنية، وهي مظنة لاختلاف العلماء، وعُرْضة للمحققين لترجيح ما يرون هو الراجح، فإن من جملة أبواب هذا العلم باب القطعي والظني والعام والخاص، وكذلك الحديث عن القراءات الشاذة عند الحديث عن الكتاب العزيز.

فالقَطْع في الشرع محله أمران: ثبوت الدليل وهذا مقطوع به في موضعين الأول القرآن، فهو من جهة الوجود مقطوع بقطعيته، والثاني الإجماع فإنه يقطع به في الثبوت، والأمر في القطعي والظني واضح، فالقطعي مقدم على الظني، لكن الأمر لما يتعلق بالقطعي والظني في التخصيص فإنه قد يتم تخصيص المقطوع بالمظنون، وإنه ليس يخفى أن القراءات محط جمهرة الفقهاء، يستعملونها لاستنباط الأحكام، وللإدلاء فيما يجب أن يقرأ به منها، وما لا يقرأ به، وكانت صلة الفقهاء بالقراء وطيدة، فالقراء يمدون الفقهاء بأوجه القراءات وطرق أدائها، معوزة إلى أصحابها، متكلمين على أسانيدها، ومميزين بين صحيحها وشاذها، والفقهاء يفوتهم فيما يجوز القراءة به وما لا يجوز، وما يحتج به منها وما لا يؤخذ به، وهو عمل شبيه بالذي يربط المحدث بالفقيه، أو الفقيه بالمحدث. ولتحقيق الهدف الدراسي للموضوع قسم الباحث الدراسة إلى النحو الآتي: المبحث الأول: المقطوع والمظنون والقراءة الشاذة عند الأصوليين. المبحث الثاني: اختلاف العلماء في حكم القراءة الشاذة وحجيتها. المبحث الثالث: التخصيص عند الأصوليين والفرق بينه وبين النسخ. المبحث الرابع: تخصيص الكتاب بالقراءات الشاذة وأثره في الفروع الفقهية.

المبحث الأول: المقطوع والمظنون والقراءة الشاذة عند الأصوليين.

فالأدلة الشرعية منها ما هو قطعي، ومنها ما هو ظني:

فالدليل القطعي: ما كان قطعي السند والثبوت، وقطعي الدلالة أيضاً.

¹⁰⁷ - الجامع الصحيح المختصر، البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، الناشر، دار ابن كثير، اليمامة، بيروت، ط3، سنة 1407 - 1987، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا أستاذ الحديث وعلومه في كلية الشريعة - جامعة دمشق، كتاب العلم، باب من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين، رقم الحديث، 71، ج1، ص39.

ويقصد الأصوليون في عرفهم بالدليل القطعي عدة أمور: "ما لا يقطع الاحتمال أصلاً كالمحكم والمتواتر"¹⁰⁸، وقيل: ما لا يكون فيه احتمال ناشئ عن دليل¹⁰⁹.

والقطع يكون في الدليل من جهة وروده ومن جهة دلالاته، فمن من جهة وروده فإنه يكون قطعياً إذا كان متواتراً أو في حكم المتواتر إذا احتفت به القرائن، فالتواتر متحقق في القرآن لا شك، ومتحقق في السنة المتواترة¹¹⁰.

والقطع يتفاوت في مراتبه كما دلت عليه النصوص، قال سبحانه حكاية عن موسى: {وَمَا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الْأَلْوَاخَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضَعُّوْنِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ} [الأعراف: 150]. فهذا موسى قد أخبره الله بفتنة قومه، وهو خبر يقين، لكن زاد عنده بالمشاهدة، وهذا معروف في مراتب اليقين.

وحكم هذا النوع من الأدلة وجوب اعتقاد موجهة علمياً وعملاً، وأنه لا يسوغ فيه الاختلاف، وهذا مما لا خلاف فيه بين العلماء في الجملة¹¹¹. قال الإمام الشافعي: "أما ما كان نص كتاب بين، أو سنة مجتمع عليها، فالعذر فيها مقطوع، ولا يسع الشك في واحد منها، ومن امتنع من قبوله استتيب"¹¹².

أما النوع الثاني وهو الدليل الظني: فهو ما كانت دلالاته ظاهرة غير قطعية، أو كان ثبوته غير قطعي. فقد عرفه الأصوليون بأنه: "تَرْجُحُ أَحَدِ الْإِحْتِمَالَيْنِ عَلَى الْآخَرِ فِي النَّفْسِ مِنْ غَيْرِ قَطْعٍ"¹¹³ وحكم هذا النوع: وفي حكمه يقول الإمام الشافعي: "فأما ما كان من سنة من خبر الخاصة الذي قد يختلف

¹⁰⁸ - شرح التلويح على التوضيح لمثن التنقيح في أصول الفقه، سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني الشافعي، المحقق: زكريا عميرات، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، الطبعة: الطبعة الأولى 1996 م، ج 1، ص 242.

¹⁰⁹ - شرح التلويح على التوضيح. 1/ 35

¹¹⁰ - ينظر : نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، المحقق: عبد الله بن ضيف الله الرحيلي، الطبعة: الطبعة الأولى، الناشر: مطبعة سفير بالرياض عام (1422هـ) ص 40، نثر الورود. 1/ 95

¹¹¹ انظر: مجموع الفتاوى، ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن تيمية الحراني تحقيق، أنور الباز - عامر الجزار، الناشر، دار الوفاء، ط 2، 1426 هـ / 2005 م. 257/20

¹¹² الأم، محمد بن إدريس الشافعي أبو عبد الله، الناشر دار المعرفة، سنة النشر 1393، مكان النشر بيروت، ص 46.

¹¹³ - الإحكام في أصول الأحكام، الأمدي ت: سيد الجميلي، بيروت، دار الكتاب العرب، 31/ 2

الخبر فيه، فيكون الخبر محتملاً للتأويل، وجاء الخبر فيه من طريق الانفراد فالحجة فيه عندي أن يلزم العالمين، حتى لا يكون لهم رد ما كان منصوباً منه، كما يلزمهم أن يقبلوا شهادة العدول¹¹⁴.

وأغلب نصوص الشريعة جار فيها ومحكوم به، وهذا الحد الذي مر معنا لا إشكال فيه، وإنما يقع الإشكال في مساحة الظني والقطعي، فبعضهم جعل العقائد من الباب الذي يطلب فيه القطع بمعناه المتقدم، فألجأه هذا القول إلى تأويل أخبار الأحاد أو ردّها في أبواب العقائد.

إفادة نصوص الكتاب والسنة القطع¹¹⁵:

نصوص الكتاب والسنة تفيد القطع، والمراد من إفادتها القطع:

أ- أن حصول العلم والقطع بها ممكن.

ب- أن العلم بها لا يحصل لكل أحد.

ج- أن العلم بها إنما يحصل لمن اجتهد واستدل لا للمقلدين.

د- أن العلم بها يحصل في غالب الأحكام، وأن الظن فيها إنما هو قليل جداً ولبعض المجتهدين، وذلك غالباً ما يكون في مسائل الاجتهاد والنزاع، أما مسائل الإيمان والإجماع فالعلم فيها أكثر قطعاً.

بيان أن الأدلة الظنية متفاوتة فيما بينها¹¹⁶:

الذي عليه الأئمة الأربعة والجمهور: أن الأدلة الظنية تتفاوت، وأن بعضها أقوى من بعض، وأن الأقوى عليه أدلة. فعلى المجتهد أن يطلب الدليل الأقوى وأن يعمل به، وإذا كان في الباطن ما هو أقوى منه فهو مخطئ معذور، وله أجر على اجتهاده وعمله بما ظهر له رجحانه، وذلك الباطن هو الحكم، لكن بشرط القدرة على معرفته، أما مع العجز عن معرفته بعد بذل الجهد فإن مخالفه لا يؤاخذ، وخطؤه مغفور له. قال الشافعي: "قل ما اختلفوا فيه إلا وجدنا فيه عندنا دلالة من كتاب الله، أو سنة رسوله، أو قياساً عليهما، أو على واحد منهما"¹¹⁷.

التعريف بالقراءة الشاذة وأركانها:

تعريف قراءة الشاذة:

114 "الرسالة" 461.

115 انظر: "الاستقامة" 1/55، 56، و"الصواعق المرسلّة" 2/740، 746، و"شرح الكوكب المنير" 292/1.

116 انظر: "مجموع الفتاوى" 13/123، 124.

117 "الرسالة" 562.

فالقراءة الشاذة هي التي لم يتوفر فيها أركان القراءة المقبولة، المراد بالقبول في قولنا قراءة مقبولة: هو الحكم بقرآنيتهما والقراءة بها في الصلاة وخارجها.

أركان القراءة المقبولة .

قال ابن الجزري في طيبة النشر :

فكل ما وافق وجه نحو وكان للرسم احتمالاً يحوي

وصح إسناداً هو القرآن فهذه الثلاثة الأركان

وحيثما يختل ركن أثبت شذوذه لو أنه في السبعة.¹¹⁸

فكل قراءة وافقت أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالاً ووافقت العربية ولو بوجه، وصح سندها في القراءة الصحيحة.

فالقراءة الشاذة هي التي فقدت أحد هذه الأركان.

المبحث الثاني: اختلاف العلماء في حكم القراءة الشاذة وحبسها:

اختلف العلماء في حجية القراءة الشاذة على مذهبين:

المذهب الأول: مذهب الحنفية والحنابلة: القراءة الشاذة يصح الاحتجاج بها على أنها حجة ظنية، لأنها مسموعة من النبي صلى الله عليه وسلم، ودليل السماع أن الناقل عدل، وعدالته تمنعه من الاختراع وإلا لما جاز له كتابة ذلك في مصحفه، وإذا ثبت أنه مسموع من النبي صلى الله عليه وسلم سنة والسنة يجب العمل بها.¹¹⁹

المذهب الثاني: المشهور من مذهب مالك والشافعي وتبعه ابن الحاجب وكذلك النووي.

أن القراءة الشاذة لا يحتج بها، ولا يكون لها حكم الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، لأن ناقلها لم ينقلها إلا على أنها قرآن، والقرآن لا يثبت إلا بالتواتر، وإذا لم يثبت قرآناً لم يثبت خبراً.¹²⁰ وهذا الاضطراب يمنع من الاحتجاج بها.¹²¹ قال بدر الدين الزركشي رحمه الله: وفصل بعضهم فقال: القراءة الشاذة إما أن ترد تفسيراً أو حكماً. -فإن وردت تفسيراً فهي حجة كقراءة ابن مسعود: أيمانها وقوله: وله أخ أو أخت من أم وقراءة عائشة: والصلاة الوسطى صلاة العصر.

¹¹⁸ - ابن الجزري، طيبة النشر في القراءات العشر، ص3

¹¹⁹ - ابن قدامة، المقدسي أحمد، روضة الناظر وجنة المناظر، ت: عبد العزيز عبد الرحمن السعيد، الرياض، جامعة الإمام محمد بن سعود، ص63-64، التحرير لابن الهمام ص299.

¹²⁰ - الزركشي، البحر المحيط في أصول الفقه، ت: محمد محمد تامر، بيروت، دار الكتب

العلمية، 1421هـ-2000م، ج1 ص477

¹²¹ - تقريب الوصول لابن جزي، ص114

- وإن وردت حكما فلا يخلو إما أن يعارضها دليل آخر أم لا؟
 - فإن عارضها دليل آخر فالعمل للدليل كقراءة ابن مسعود في صيام المتمتع: "فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام متتابعات"، فقد صح أنه عليه الصلاة والسلام قال: "إن شئت فتابع أو لا"¹²².
 - وإن لم يعارضها دليل آخر فللشافعي قولان:،
 قول علي أنها حجة وقول ليست حجة.
 وأما تحرير مذهب أبي حنيفة فإنه ينزلها منزلة خبر الواحد¹²³

المبحث الثالث: التخصيص عند الأصوليين والفرق بينه وبين النسخ.

معروف عند أهل العلم أن العام يستغرق جميع أفراد مفهومه، وأن الحكم المتعلق به يثبت لكل فرد من أفرادها ولكن قد يقوم دليل يفهم منه أن مراد الشارع من العام ابتداء ليس هو عمومها، ولا ثبوت الحكم لكل أفرادها، وإنما مراده ابتداء بعض أفراد العام، وثبوت الحكم لهذا البعض، وهذا الذي يسمي بالتخصيص.

اختلفت عبارات الأصوليين فيه، ولم يتفقوا على تعريف واحد له نظرا لاختلافهم في الدليل المخصص لهذا العام.

التعريف الأول:

أنه: "هو قصر العام على بعض أفراده بدليل مستقل مقترن"¹²⁴

ذكر صاحب كشف الأسرار عن أصول البزدوي عقب هذا التعريف:

احترزنا بقولنا: "مستقل" عن الصفة والاستثناء ونحوهما إذ لا بد عندنا للتخصيص من معنى المعارضة وليس في الصفة ذلك، ولا في الاستثناء لأنه لبيان أنه لم يدخل تحت الصدر.

واحترزنا بقولنا: "مقترن" عن الناسخ فإنه إذا تراخى دليل التخصيص يكون نسخا لا تخصيصا.¹²⁵

التعريف الثاني:

¹²² - أخرجه الدار القطني في كتاب الصيام، ج2، ص193. وقد صحح الحديث ابن الجوزي)

بيل الأوطار: ج4 ص233)

¹²³ - البحر المحيط للزركشي، ج1 ص388

¹²⁴ - كشف الأسرار عن أصول فخر الإسلام البزدوي، عبد العزيز بن أحمد بن محمد، علاء

الدين البخاري، المحقق: عبد الله محمود محمد عمر، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت،

الطبعة: الطبعة الأولى، 1418هـ/1997م

¹²⁵ - نفس المصدر

التخصيص "هو قصر العام على بعض أفراده، بإخراج بعضٍ مما يتناوله، بدليل متصلٍ بالنص، أو مستقلاً عنه.

التعريف الثالث:

"أنه: قصرُ العام على بعض أفراده، وإخراج بعضٍ ما يتناوله الخطاب عنه، وهو إما متصل، أو منفصل.¹²⁶

التعريف الرابع:

كما عرّف بأنه: بيانُ عدم شمولية حكم النص العام لبعض أفراده بدليل متصل أو منفصل¹²⁷؛ ولتوضيح فكرة التخصيص فإن قولنا: جاء القوم إلا زيداً، فيه إثبات المجيء للقوم، وإفراد زيد بعدم المجيء، وهذا معنى التخصيص.

ويظهر أن للتخصيص عناصرَ ينبغي توافرها، فيجب أولاً وجودُ لفظ عام يدل ظاهره على أن جميع أفرادَه ينطبقُ عليهم الحكم الوارد في النص، ثم يجب أن يكون الحكم قابلاً للتخصيص لبعض أفراد العام دون بعض؛ فالحكم الثابت لجميع أفراد العام بدليل قطعي نقلي أو عقلي لا يجوزُ قصرُه على بعضها بإخراج بعض؛ كما في قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ [النساء: 126]، فلا يجوزُ إخراجُ بعضٍ مما تشمله ما - (مما في السموات والأرض - من مُلك الله تعالى، ثم يجب أن يكون الدليلُ المخصَّص معترفاً به في الشرع¹²⁸.

الفرق بين التخصيص والنسخ:

والناظر في التخصيص والنسخ يجده أن هناك تشابهاً قوياً بين المعرفين: فالنسخ فيه ما يشبه تخصيص الحكم ببعض الأزمان والتخصيص فيه ما يشبه رفع الحكم عن بعض الأفراد، ذكر العلماء الفرق بينهما ليأمن القارئ من الخلط بينهما وهذه الفروق تتمثل في التالي:

أولها: أن التخصيص يجوز في الدليل السابق واللاحق والمقارن وأما النسخ فلا يكون إلا بدليل متراخ عن المنسوخ.

ثانها: أن حكم ما خرج بالتخصيص لم يك مراداً من العام أصلاً، بخلاف ما خرج بالنسخ فإنه كان مراداً من المنسوخ.

¹²⁶ - مبادئ الوصول إلى علم الأصول؛ للحلي أبي منصور الحسن بن يوسف ص. (129)

¹²⁷ - مختصر المزني، أبو إبراهيم إسماعيل بن يحيى المزني رحمه الله ص 369

¹²⁸ - المرجع نفسه ص 371

ثالثها: أن التخصيص لا يتأتى أن يأتي على الأمر لمأمور واحد ولا على النهي لمنهي واحد، أما النسخ فيمكن أن يعرض لهذا كما يعرض لغيره ومن ذلك نسخ بعض الأحكام الخاصة به.

رابعها: أن النسخ يبطل حجية المنسوخ إذا كان رافعا للحكم بالنسبة إلى جميع أفراد العام ويبقى على شيء من حجيته إذا كان رافعا للحكم عن بعض أفراد العام دون بعض، أما التخصيص فلا يبطل حجية العام أبدا بل العمل به قائم فيما بقي من أفراد بعد تخصيصه.

خامسها: أن النسخ لا يكون إلا بالكتاب والسنة بخلاف التخصيص فإنه يكون بهما وبغيرهما كدليل الحس والعقل هذا قوله الله سبحانه والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما قد خصصه قوله لا قطع إلا في ريع دينار وهذا قوله سبحانه تدمر كل شيء بأمر ربها قد خصصه ما شهد به الحس من سلامة السماء والأرض وعدم تدمير الريح لهما وهذا قوله تعالى إن الله على كل شيء قدير قد خصصه ما حكم به العقل من استحالة تعلق القدرة الإلهية بالواجب والمستحيل العقليين.

سادسها: أنه يجوز نسخ الشريعة بشرعية، ولا يجوز تخصيص الشريعة بشرعية.

سابعها: أن النسخ لا يقع في الأخبار بخلاف التخصيص فإنه يكون في الأخبار وفي غيرها¹²⁹

المبحث الرابع: تخصيص الكتاب بالقراءات الشاذة.

الحق أن الكثير من الأصوليين لم يتعرضوا للكلام عن تخصيص عام القراءان، بالقراءة الشاذة. غير أنه ينبغي تخريج الخلاف في هذه المسألة على الخلاف في حجية القراءة الشاذة، فإن قلنا: إنها حجة يحتج بها في إثبات الأحكام الشرعية فهي في هذه الحالة كخبر الواحد في الخلاف المتقدم. وإن قلنا إنها ليست بحجة امتنع التخصيص بها.¹³⁰

ومما ينبغي التنبيه عليه هنا أن الاحتجاج بالقراءة الشاذة على مذهبين كما سبق، وملخصه أن مذهب الأول: يرى أنها حجة ويجب العمل بها. والمذهب الثاني يذهب إلى أنها ليست بحجة ولا يجوز العمل بها.

والذي تستريح إليه نفس الباحث هو ما ذكره الإمام الزركشي فيما أورده الباحث في المبحث الثالث من هذه الورقة.

نماذج تخصيص الكتاب بالقراءات الشاذة وأثره في الفروع الفقهية:

¹²⁹ - مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبدالعظيم الزرقاني، الناشر: دار الفكر بيروت،

الطبعة الأولى، 1996، ج 2 ص 80

¹³⁰ - البحر المحيط للزركشي، ج 3، ص 369

إنه ليس يخفى أن القراءات محط جمهرة الفقهاء ، يؤمنونها لاستنباط الأحكام ، ولإدلاء فيما يجب أن يقرأ به منها، وما لا يقرأ به، وكانت صلة الفقهاء بالقراء وطيدة ، فالقراء يمدون الفقهاء بأوجه القراءات وطرق أدائها ، معوزة إلى أصحابها ، متكلمين على أسانيدها، ومميزين بين صحيحها وشاذها ، والفقهاء يفوتهم فيما يجوز القراءة به وما لا يجوز ، وما يحتج به منها وما لا يؤخذ به ، وهو عمل شبيه بالذي يربط المحدث بالفقيه ، أو الفقيه بالمحدث. فهذا الإمام مالك - رحمه الله - يسأل نافعاً عن البسمة ، فيجيبه أن السنة الجهر بها، فيسلم إليه مالك ويقول " : كل علم يسأل عنه أهله.¹³¹ ومن هنا نجد أنه ثمة جملة من المسائل في الفروع الفقهية تم تخصيص عامها بالقراءات الشاذة عند الفقهاء، ومنها علي سبيل المثال:

المسألة الأولى: اشتراط التتابع في صيام كفارة اليمين:

اختلف الفقهاء في اشتراط التتابع في صيام الكفارة اليمين: فعند الحنفية التتابع في صيام كفارة اليمين شرط لصحتها، قال المرغيناني رحمه الله: فإذا لم يقدر على أحد الأشياء الثلاثة - يعني: إطعام عشرة مساكين أو كسوتهم أو تحرير رقبة - صام ثلاثة أيام متتابعات القراءة ابن مسعود رضي الله عنه فصيام ثلاثة أيام متتابعات (¹³² ونفس الحكم نجده عند الحنابلة قال ابن قدامة : ... إن لم يجد إطعاماً ولا كسوة ولا عتقاً، انتقل إلى صيام ثلاثة أيام لقوله تعالى: فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشْرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ¹³³ . وهذا لا خلاف فيه إلا في اشتراط التتابع في الصوم ولنا أن في رواية أبي وعبدالله بن مسعود رضي الله عنهما: (فصيام ثلاثة أيام متتابعات) وهذا وإن كان قرآناً فهو حجة ... وإن لم يكن قرآناً فهو رواية عن النبي إذ يحتمل أن يكونا سمعاه من النبي ﷺ تفسيراً فطناه قرآناً فثبت له وتية الخير ... فهو حجة يجب المصير إليه ¹³⁴ .

والشافعية لم يتشروطوا التتابع لأن قراءة ابن مسعود قد عارضها ما هو أقوى منها، قال الزركشي كما ذكرنا ذلك سابقاً وإن وردت حكماً، فلا يخلو إما أن يعارضها دليل آخر أم لا، فإن عارضها

¹³¹ - ينظر: منجد المقرئين، ص: ٢

¹³² - الهداية للمرغيناني: ٢/٧٤

¹³³ - سورة المائدة الآية ٨٩

¹³⁴ - المغني في فقه الإمام أحمد بن حنبل الشيباني، عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي أبو محمد، الناشر: دار الفكر - بيروت، ط 1، ١٣/٥٢٨.1405

فالعمل للدليل كقراءة ابن مسعود فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام متتابعات فقد صح أنه عليه الصلاة والسلام قال: "إن شئت فتابع أولاً"¹³⁵.

قال ابن رشد: وأما المسألة الثالثة (وهي اختلافهم في اشتراط تتابع الأيام الثلاثة في الصيام فإن مالكاً والشافعي لم يشترطا في ذلك وجوب التتابع، وإن كانا، استحباها واشترط ذلك أبو حنيفة، وسبب اختلافهم في ذلك شيئان :

أحدهما: هل يجوز العمل بالقراءة التي ليست في المصحف وذلك أن في قراءة عبدالله بن مسعود: فصيام ثلاثة أيام متتابعات ...

والسبب الثاني: اختلافهم هل يحمل الأمر بمطلق الصوم على التتابع أم ليس يحمل ...¹³⁶

المسألة الثانية: فرضية السعي بين الصفا والمروة

قال ابن رشد رحمه الله تعالى: قال مالك والشافعي: السعي بين الصفا والمروة واجب بمعنى ركن وإن لم يسع كان عليه حج، قادم وبه قال أحمد وإسحاق وقال الكوفيون ومنهم أبو حنيفة هو سنة، وإذا رجع إلى بلاده ولم يسع كان عليه دم، وقال بعضهم: هو تطوع ولا شيء عليه.

وعمدة من أوجبة ما روي أن رسول الله ﷺ كان يسعى ويقول: اسعوا، فإن الله كتب عليكم السعي¹³⁷. وحديث صفية بنت شيبه أن امرأة أخبرتها أنها سمعت النبي ﷺ بين الصفا والمروة يقول: كتب الله عليكم السعي فاسعوا¹³⁸. قال ابن رشد وعمدة من لم يوجبه قال تعالى: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ سَعَاءِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٥٨﴾﴾ البقرة: ١٥٨ ١٥٩

¹³⁵ - البحر المحيط للزركشي: ١/٤٧٩

¹³⁶ - بداية المجتهد و نهاية المقتصد ابن رشد، أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن رشد القرطبي الشهير بابن رشد الحفيد، الناشر: مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، الطبعة: الرابعة، 1395هـ/1975م.

: ٨١٠ - ٢/٨٠٩

¹³⁷ - رواه الشافعي وأحمد والحاكم والدارقطني والبيهقي، وفي إسناده عبد الله بن المؤمل وهو ضعيف، لكن روي من طريق أخرى في صحيح ابن خزيمة والطبراني، وإذا انضمت الطرق الأولى إلى الثانية قويت: (بداية المجتهد: ٢/٦٦٩)، السيل الجرار للشوكاني: (٢/١٩٧).

¹³⁸ - أخرجه أحمد، وفي إسناده موسى بن عبيدة وهو ضعيف السيل الجرار (٢/١٩٧)

¹³⁹ - سورة البقرة الآية ١٥٨

قالوا : معناه أن لا يطوف وهي قراءة ابن مسعود¹⁴⁰ ، قال ابن عبد البر رحمه الله : قال الله عز وجل : **قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوَّاعًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ حَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٥٨﴾ البقرة: ١٥٨** . فإن احتج محتج بقراءة ابن مسعود وما في مصحفه وذلك قوله : فلا جناحَ عَلَيْهِ أن لا يطوف بهما قيل له: ليس فيما سقط من مصحف الجماعة حجة ، لأنه لا يقطع به عن الله عز وجل ، ولا يحكم بأنه قرآن إلا بما نقله الجماعة بين الوجهين¹⁴² .

المسألة الثالثة: وجوب قطع اليد اليمنى ، إذا ثبتت السرقة الأولى.

من المتفق عليه - عند الفقهاء - وجوب قطع اليد اليمنى ، إذا ثبتت السرقة الأولى . لقراءة عبد الله بن مسعود : " فاقطعوا أيماهما" . وهي قراءة مشهورة عنه¹⁴³ ولم يجمع على أنها قرآن لمخالفتها للمصحف الإمام ، فكانت خبراً مشهوراً ، فخصص عام اليد باليمنى . وذكرت بلفظ : والسارقون والسارقا فاقطعوا أيماهما : قال ابن قدامة : لا خلاف بين أهل العلم في أن السارق أول ما يقطع منه يده اليمنى من مفصل الكف وهو الكوع ، وفي قراءة عبد الله : فاقطعوا أيماهما¹⁴⁴ .

السرقة بعد القطع :

اختلف الفقهاء في حكم السارق ، إذا قطعت يمينه ثم عاد للسرقة ، على النحو التالي : ذهب عطاء بن أبي رباح إلى أن : من قطعت يمينه في السرقة الأولى ، ثم سرق بعد ذلك ، فإنه يضرب ويحبس ، إذ لا قطع إلا في السرقة الأولى . لقول الله تبارك وتعالى : **﴿ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جِزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾ المائدة: ٣٨** أي اليد اليمنى ،

140 - بداية المجتهد لابن رشد ٢/٦٦٨ - ٦٦٩

141 - سورة البقرة: الآية ١٥٨

142 - التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية - المغرب، 1387، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي، محمد عبد الكبير البكري. 98\2

143 - طرح التثريب بشرح التقريب 8 / 23 .

144 - المغني، ج 10، ص ٢٦٤

145 - سورة المائدة / 38

كما جاء في قراءة ابن مسعود: " فاقطعوا أيماهما ولو شاء الله لأمر بقطع الرجل قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴾ ٦٤ ﴿ مريم: ١٤٦ 146

وذهب ربيعة وبعض الفقهاء إلى أن: من قطعت يمينه في السرقة الأولى، ثم سرق مرة ثانية، تقطع يده اليسرى، فإن عاد إلى السرقة بعد ذلك، فليس عليه قطع، بل يعزر، وذلك لأن الله تعالى أمر بقطع الأيدي، وهي تشمل اليمنى واليسرى، وإدخال الأرجل في القطع زيادة على النص¹⁴⁷.

الخاتمة:

فالحق أن الكثير من الأصوليين لم يتعرضوا للكلام عن تخصيص عام القراءان، بالقراءة الشاذة. غير أنه ينبغي تخريج الخلاف في هذه المسألة على الخلاف في حجية القراءة الشاذة، فإن قلنا: إنها حجة يحتج بها في إثبات الأحكام الشرعية. وإن قلنا إنها ليست بحجة امتنع التخصيص بها. ومن أهم نتائج هذه الدراسة أن الاحتجاج بالقراءة الشاذة على مذهبين كما سبق، وملخصه أن مذهب الأول: يرى أنها حجة ويجب العمل بها. والمذهب الثاني يذهب إلى أنها ليست بحجة ولا يجوز العمل بها. والذي تستريح إليه نفس الباحث هو ما ذكره الإمام الزركشي في تقسيم الاحتجاج.

قائمة المصادر والمراجع:

- أحكام القرآن لابن العربي، أحكام القرآن لابن العربي، محمد بن عبد الله الأندلسي (ابن العربي)، الناشر: دار الكتب العلمية.
- الإحكام في أصول الأحكام، الأمدى ت: سيد الجميلي، بيروت، دار الكتاب العرب.
- الأم، محمد بن إدريس الشافعي أبو عبد الله، الناشر دار المعرفة، سنة النشر 1393، مكان النشر بيروت.

146 - سورة مريم / 64 .

147 - أحكام القرآن لابن العربي، أحكام القرآن لابن العربي، محمد بن عبد الله الأندلسي (ابن العربي)، الناشر: دار الكتب العلمية، 613/2، المحلى 354/11، المغني 265/10، فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، الناشر: دار المعرفة - بيروت، 1379، تحقيق: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، 106 - 105 / 15 .

- بداية المجتهد و نهاية المقتصد ابن رشد، أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن رشد القرطبي الشهير بابن رشد الحفيد، الناشر: مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، الطبعة: الرابعة، 1395هـ/1975م.
- التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية - المغرب، 1387، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي، محمد عبد الكبير البكري.
- الجامع الصحيح المختصر، البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، الناشر، دار ابن كثير، اليمامة، بيروت، ط3، سنة 1407 - 1987، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا أستاذ الحديث وعلومه في كلية الشريعة - جامعة دمشق.
- روضة الناظر وجنة المناظر، ابن قدامة، المقدسي أحمد، ت: عبد العزيز عبد الرحمن السعيد، الرياض، جامعة الإمام محمد بن سعود،
- الزركشي، البحر المحيط في أصول الفقه، ت: محمد محمد تامر، بيروت، دار الكتب العلمية، 1421هـ - 2000م.
- شرح التلويح على التوضيح لمتن التنقيح في أصول الفقه، سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني الشافعي، المحقق: زكريا عميرات، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، الطبعة: الطبعة الأولى 1996.
- فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، الناشر: دار المعرفة - بيروت، 1379، تحقيق: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي.
- كشف الأسرار عن أصول فخر الإسلام البزدوي، عبد العزيز بن أحمد بن محمد، علاء الدين البخاري، المحقق: عبد الله محمود محمد عمر، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الطبعة الأولى، 1418هـ/1997م.
- مبادئ الوصول إلى علم الأصول؛ للحلي أبي منصور الحسن بن يوسف.
- مجموع الفتاوى، ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن تيمية الحراني تحقيق، أنور الباز - عامر الجزار، الناشر، دار الوفاء، ط2، 1426 هـ / 2005 م.
- مختصر المزني، أبو إبراهيم إسماعيل بن يحيى المزني رحمه الله
- المغني في فقه الإمام أحمد بن حنبل الشيباني، عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي أبو محمد، الناشر: دار الفكر - بيروت، ط1، 1405.

- مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبدالعظيم الزرقاني، الناشر: دار الفكر بيروت، الطبعة الأولى، 1996.
- نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، المحقق: عبد الله بن ضيف الله الرحيلي، الطبعة: الطبعة الأولى، الناشر: مطبعة سفير بالرياض عام (1422هـ)
- الهداية شرح بداية المبتدي، أبي الحسن علي بن أبي بكر بن عبد الجليل الرشداني المرغياني، الناشر المكتبة الإسلامية.



مهنة المحاماة في منظور الشرع الإسلامي

عائشة محمد لوكوا

جامعة القلم، كشيئا، نيجيريا، كلية العلوم الإنسانية، قسم الدراسات الإسلامية

البريد الإلكتروني: aishamgobir@gmail.com

رقم الجوال: 08146174746

ملخص البحث:

إن هذه الورقة تستهدف إلى بيان المعلومات التالية; مضمون مهنة المحاماة وأصلها في الشريعة الإسلامية، حكمها ومراعات بعض الواجبات لمن تتولاها، والرد على الشبهات التي تثير حولها، ثم ذكر أهمية الموضوع التي تظهر في الكشف عن حقيقة مهنة المحاماة في الشريعة الإسلامية ومشروعيتها وأصلها ومكانتها وحكمها لكي تتغير تلك النظرة الخاطئة التي ينظر إليها بعض الناس، و في جانب آخر يعلم المحامي حكم الشريعة في مهنته هو كمسلم لينجو في الدنيا والآخرة. وأخيرا توصلت الباحثة إلى أن لمهنة المحاماة أصول في الحضارة الإسلامية، كما لها غاية الأهمية في تحقيق العدالة ونصرة الظالم في منعه من الظلم. ونصرة المظلوم في استرداده حقه. وقد سلكت الباحثة المنهج الوصفي التحليلي في كتابة هذه الورقة.

الكلمات المفتاحية: مهنة المحاماة، المحامي، حكم الشرع، واجبات المحامي.

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على النبي الكريم وعلى آله وصحبه الكرام ومن سلك سبيلهم بإحسان إلى يوم القيامة. أما بعد: فإن مهنة المحاماة من أشرف المهن عالمياً وفي شريعة الإسلام أيضاً، ففي دول العالم المتحضر ومنذ نشأة مهنة المحاماة كان للمحامين أدواراً رائدة في تحقيق العدالة والدفاع عن الحقوق والحريات. وفي الشريعة الإسلامية تكون المحاماة وسيلة فاعلة لنصرة الظالم والمظلوم معاً كما في الحديث النبوي العظيم: (انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً).¹⁴⁸ كما تكون المحاماة أيضاً من صور الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والاحتساب المشروع ضد أهل البدع والساعين بالفساد في الأرض، وهي أيضاً من التعاون على البر والتقوى. إلا أن المشكلة في مهنة المحاماة في نظرية الشعب إليها، يرى بعضهم بأن المحامي رجل قاس مبتعد عن العدل أو أن هذه المهنة ليس لها أصل في

¹⁴⁸ البخاري الجعفي، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله، صحيح البخاري ب، أ عن أخاك ظالماً

الشريعة الإسلامية لذلك لا يجوز ممارستها، من أجل هذا السبب شرعت الباحثة أن تكتب في هذا المجال بغية تقارب الأفكار في الموضوع.

• مشكلة البحث

تظهر مشكلة هذا البحث في أن بعض الناس في المجتمع الإسلامي يشكوف في صلاحية مهنة المحاماة كونها مهنة جديدة بهذه التسمية، ويرون بأنها لا تجوز شرعا، خصوصا إذا نظرنا إلى تصرفات بعض من يتولى تلك المهنة من مدافعة الظالم من المظلوم في حقه، الأمر الذي يسبب الكوارث في حياة المظلوم. وهذا البحث سيعمل في معالجة تلك المشكلات عن طريق بيان أصل المحاماة في الشريعة الإسلامية وأهميتها وحكمها ثم الإتيان بواجب من تولها لكي يعلم حكم الله فيها ويعمل به للنجاة دينا ودنيا.

• أهداف الدراسة:

تستهدف هذه الورقة إلى ما يلي:

- بيان مضمون مهنة المحاماة في الإسلام.
- توضيح أصل وتاريخ المحاماة في الإسلام.
- مشروعية مهنة المحاماة وحكمها، ثم ذكر واجبات من تولى مهنة المحاماة.

الدراسات السابقة:

- ❖ قبل المحاماة وفي ساحتها، محامي صلاح مطر، المؤسسة الحديثة للكتاب، 01 Jan 2016. ما يتعلق بالقضاء قبل توليها وبعدها.
- ❖ محامي المستقبل، محامي، لكبير جمال، 26 Mar 2024. كيف ينجح المحامي.
- ❖ دروس في المحاماة، محامي نجلى فلح، دار وائل للطباعة والنشر والتوزيع، 02 Nov 2012. أصلها وطبيعتها وإرشادات مهمة للمحامي

• منهج البحث:

المنهج المتبع في هذه الدراسة هو المنهج الوصفي التحليلي.

• محتويات الورقة:

تحتوي هذه الورقة على النقاط التالية:

- (1) التمهيد.
- (2) مضمون مهنة المحاماة.
- (3) أصل مهنة المحاماة وتاريخها في الشريعة الإسلامية.
- (4) مشروعيتها.

- (5) أهميتها في الإسلام.
 (6) الشبهات حول مهنة المحاماة والرد عليها.
 (7) واجبات المحامي والمندوبات.
 (8) الخاتمة، التي تشمل أهم النتائج والتوصيات فقائمة المصادر والمراجع والفهارس.

النقطة الثانية: مضمون مهنة المحاماة:

تعريف مهنة المحاماة لغة: الجملة مركبة من كلمتين وهما (مهنة) و(محاماة)، الكلمة الأولى: (مهنة) أصلها هو الْعَمَلُ بِالْيَدِ وَرَجُلٌ مَاهِنٌ مِنْ قَوْمٍ مَهِنَةٌ وَقُلَانٌ يَقُومُ بِمِهْنَةِ مَالِهِ، أَي بِإِصْلَاحِهِ، وَالْمُرَاةُ تَقُومُ بِمِهْنَةِ بَيْتِهَا، إِذَا قَامَتْ بِإِصْلَاحِهِ.¹⁴⁹ الكلمة الثانية (محاماة): أصلها حِمَاءٌ مِنْ قَوْلِهِمْ: أَنَا الْحِمَاءُ لَكَ وَالْفِدَاءُ، وَكَأَنَّهُ مَصْدَرٌ حَامَى عَنْهُ مُحَامَاةً وَحِمَاءً. والأحماء: جمع حَمُو، وأحماء المُرَاة: أهل زَوْجِهَا، حَمُوهَا مِثْلُ أَبَوَيْهَا، وَحَمَاهَا مِثْلُ قَفَاهَا، وَحَمُوهَا مِثْلُ عَدُوِّهَا. وَحَمَى الرَّجُلَ يَحْمِيهِ حِمَايَةً، إِذَا مَنَعَ عَنْهُ. وَأَحْمَيْتُ الْحَدِيدَ إِحْمَاءً.¹⁵⁰

مهنة المحاماة شرعا: إن مصطلح المحاماة غير معروف بهذا اللفظ في فقه الشريعة الإسلامية، وإنما يعرف بـ(الوكالة في الخصومة) وقد عرفها الإمام الغزالي الوكالة بالخصومة بقوله: (لجاج في الكلام ليستوفي به مال أو حق مقصود).¹⁵¹

• وعرف نظام المحاماة السعودي المحامي في المادة الأولى أنه هو «من يتراعى عن الغير أمام المحاكم وديوان المظالم واللجان المشكلة بموجب الأنظمة والأوامر والقرارات لنظر القضايا الداخلة في اختصاصها، ومزاولة الاستشارات الشرعية والنظامية»¹⁵²
 خلاصة القول: المحاماة مهنة ذات هدف سامٍ ونبيل وهو تطبيق الشريعة والأنظمة المرعية والتي هي أساس تقدم الأمم وركيزة نهضتها ويتجلى ذلك بالدفاع عن المظلوم ونصرتة وردع.¹⁵³

¹⁴⁹(الأزدي، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد، جمهرة اللغة، ن، رمزي منير بعلبكي، ت، بيروت، دار العلم للملايين، ط 1987، 1، ج 2، ص 992.

¹⁵⁰(الأزدي، المصدر السابق، ج 2، ص 1052.

¹⁵¹(المحاماة-حلال، <https://www.cojss.net/vb/showthread.php?5783 &p=26199>).

¹⁵²<https://laws.boe.gov.sa/BoeLaws/Laws/LawDetails/f42655be-79b0-4fd4->

text#:~:text=المادة%20الأولى%3.2024/4/1.

¹⁵³ http://alyahyalawyer.com.sa/ar/home/article_details/32?b=all

النقطة الثالثة: تاريخ المحاماة في الدول الإسلامية: يرجع ظهور مهنة المحاماة إلى عهد قديم في التاريخ. إن مهنة المحاماة وإن كانت جديدة على مجتمعنا بهذا المسمى إلا أن لها أصلاً في شريعتنا الإسلامية منذ صدر الإسلام وهو ما يسمى بالوكالة عن الغير فالمحامي أصلاً مجرد وكيل عن الغير سواء كان متهماً في قضية جنائية أو مدعياً أو مدعى عليه في دعوى مدنية وقد أفرد فقهاء الشريعة الإسلامية أبواباً كاملة في كتب الفقه تحمل عنوان "باب الوكالة" حيث يعرفون الوكالة بأنها "إستئابة جائز التصرف مثله فيما تدخله النيابة" ويقصدون بجائز التصرف الشخص البالغ العاقل بأن يوكل شخصاً مثله وقد أوضحوا في باب الوكالة كافة ما يتعلق بها من شروط وأحكام وما يجوز التوكيل فيه وما لا يجوز. ويرجع أول تنظيم للمحاماة في البلاد الإسلامية إلى عام 1292 هجرية 1876م حيث وضع في الدولة العثمانية نظام وكلاء دعاوى.¹⁵⁴

النقطة الرابعة مشروعية المحاماة: إن مهنة المحاماة الأصل فيها الجواز ما لم يدخل عليها مانع شرعي خارجي، لأن المحامي وكيل عن موكله، ويدل على ذلك نصوص من الكتاب والسنة منها: أولاً - من القرآن الكريم:

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِئْتُمْ قَالُوا لَبِئْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِئْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴿١٩﴾ الكهف: ١٩

قال الإمام القرطبي: (في هذه البعثة بالورق دليل على الوكالة وصحتها).¹⁵⁵ ثانياً- السنة النبوية الشريفة:

لا يخلو كتاب من كتب السنة إلا وبين في طيات صفحاته عدد حسن من الأحاديث التي تدل دلالة المفهوم أو المنطوق على شرعية المحاماة. قال الإمام الشوكاني - عليه رحمة الله -: (أما كون الوكالة

¹⁵⁴ [https://www.mohamoon-](https://www.mohamoon-ksa.com/default.aspx?action=PREVIEW_CONTENT&id=93643&TreeTypeID=4&N.odeID=90031)

[ksa.com/default.aspx?action=PREVIEW_CONTENT&id=93643&TreeTypeID=4&N.odeID=90031](https://www.mohamoon-ksa.com/default.aspx?action=PREVIEW_CONTENT&id=93643&TreeTypeID=4&N.odeID=90031)

¹⁵⁵ القرطبي أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين، الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، القاهرة، دارالكتبة المصرية، 1384هـ - 1964م، ج 10، ص 376.

تجوز في كل شيء ، فلأنه قد ثبت منه صلى الله عليه وسلم التوكيل في قضاء الدين)،¹⁵⁶ كما في حديث أبي رافع رضي الله عنه : (أنه أمره أن يقضي الرجل) وقد ثبت عنه صلى الله عليه وسلم التوكيل في استيفاء الحد كما في حديث : (واغد يا أنيس إلى امرأة هذا ، فإن اعترفت فارجمها).¹⁵⁷ وفيه قول الرسول الله صلى الله عليه وسلم أيضا : (إنما أنا بشر وإنكم تختصمون إلي ، ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض ، فأقضي له على نحو ما أسمع منه فمن قضيت له من حق أخيه بشيء فلا يأخذ شيئا فإنما أقطع له قطعة من النار).¹⁵⁸ بالنسبة للمرأة فلا مانع شرعا أن تكون المرأة وكيفا عن غيرها ما لم يكن هناك مانع شرعي خارجي كالإختلاط المحرم أو الخلوة بالأجنبي. ولذلك ، فإذا كان ما يحصل هو من الإختلاط المحرم الذي يؤدي إلى ما يمنع شرعا فإنه لا يجوز لها ، وبالتالي ، لا يجوز العمل فيما يؤدي إلى الحرام لأن وسيلة الشيء تأخذ حكمه - كما قال أهل العلم - فما أدى إلى الحرام فهو حرام.¹⁵⁹ ويؤكد ذلك قصة خولة رضي الله عنها.

نالت خولة ما استحقته من مكانة إسلامية رفيعة. بأن كانت سبباً في نزول آيات قرآنية تنال ما شاء الله. وقد بدأت هذه الآيات في أول سورة "المجادلة" بصورة عجيبة من صور هذه الفترة في تاريخ البشرية، حيث فترة اتصال السماء بالأرض في صورة مباشرة محسوسة، ومشاركتها في الحياة اليومية لجماعة من الناس مشاركة ظاهرة، فنشهد السماء تتدخل في شأن يومي للأسرة صغيرة مسلمة، لتقرر حكم الله في قضيتها، وقد سمع سبحانه وتعالى لهذه المرأة وهي تحاور رسول الله فيها، ولم تك تسمعها عائشة رضي الله عنها وهي قريبة منها، وهي صورة تملأ القلب بوجود الله وقربه وعطفه ورعايته.¹⁶⁰

النقطة الخامسة: أهمية المحاماة في الإسلام:

¹⁵⁶ القاري حمزة محمد قاسم، منار شرح مختصر صحيح البخاري، دمشق، مكتبة دار البيان، الجمهورية العربية السورية، مكتبة المؤيد، الطائف - المملكة العربية السعودية، 1410 هـ - 1990 م، ج 3، ص 319.

¹⁵⁷ البخاري، صحيح البخاري، دار طوق النجاة، 1422، رقم الحديث 2314، ج 3، ص 102.

¹⁵⁸ البخاري، صحيح البخاري، ج 9، ص 25. رقم الحديث: 6967.

¹⁵⁹ <https://www.islamweb.net/ar/fatwa/print.php?id=79940> 2024/4/1.

¹⁶⁰

خولة بنت ثعلبة أول محامية في الإسلام والمجادلة الأقوى لتحقيق العدالة
<https://jusoorpost.com/ar/posts/21615> 202/4/1.

إن المتمعن في آيات القرآن الكريم يدرك أنها توحى بفكرة المحاماة، حيث ورد في سورة القصص على لسان موسى عليه السلام قوله تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي قُلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ ۝٣٣ ﴾ وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسَلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي ۗ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَدِّبُونَ ۝٣٤ قَالَ سَنُنْذِرُ عَضْدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطٰنًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِأَيِّنَّا أَنْتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغٰلِبُونَ ۝٣٥ ﴾ القصص: ٣٣ - ٣٥

إن هذا النص الكريم يفصح عن حاجة الفرد إلى من هو أفصح منه لساناً وأقدر منه بياناً للحجة في سبيل الوصول إلى الحق. ولما جاء الإسلام تولى الرسول صلى الله عليه وسلم الفصل في الخصومات، والقيام بدور الافتاء استناداً إلى قوله تعالى: قَالَ تَعَالَى: اَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطٰنِ الرَّجِيمِ ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتٰبَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرٰنَكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنَ لِلْخٰيِبِينَ حٰصِمًا ۝١٠٥ ﴾ النساء: ١٠٥

والناظر في كتب الفقه على مختلف المذاهب يجد أن الفقهاء عنونوا أبواباً من أبواب الفقه بـ (باب الوكالة) حيث ذكروا أركانها وشروطها وأنواعها. ومن المحاماة فيما نصرة للمظلوم، وردع للظالم، وهذا أسى المقاصد الإسلامية فيما يتعلق بالشريعة الإسلامية.

مهنة المحاماة هي مهنة حرة تقوم بمشاركة القضاء في إظهار الحقيقة وتحقيق العدالة لضمان سيادة القانون في الدولة. وتقوم هذه المهنة على تقديم الدعم والمساعدة للأشخاص الاعتباريين أو الطبيعيين للحصول على حقوقهم ومساعدتهم على إنجاز أعمالهم القانونية وتوعيتهم القانونية بواجباتهم وحقوقهم. وتعتمد هذه المهنة على الشرف والأمانة والحفاظ على أسرار الموكلين¹⁶¹.

تكون حماية شر ودفاع عنه ، وقد تكون حماية خير ودفاع عنه .و بما تقدم يتبين لنا أن المحاماة كلمة أصيلة في اللغة العربية وهي مشتقة من فعل حمى ، وحماية المتهم و حقوقه الشرعية هي صلب مهمة المحامي الشرعي . أن مهنة المحاماة ليست وعاءً لكل راغب ، إذ أن لها حقوقاً والتزامات .وتعتبر مهنة المحاماة في جانب آخر أحد العناصر الأساسية التي تسهم في تحقيق العدالة . إن مهنة المحاماة لا تقتصر على علاقة المحامي بالموكل ، بل تتعداها لتقف في طليعة المهن التي تتميز

¹⁶¹ تعريف-محام/https://mohamie-jeddah.com/

بتأثيرها الواضح في الواقع الاجتماعي والوطني ، وفي تنمية الفكر الحقوقي والعدلي لدى أفراد المجتمع وتوعيتهم بحقوقهم وحثهم على أداء واجباتهم¹⁶².

تكون المحاماة أيضاً من صور الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والاحتساب المشروع ضد أهل البدع والساعين بالفساد في الأرض، وهي أيضاً من التعاون على البر والتقوى. والمحامي كما يقال هو القاضي الواقف، أو ينبغي أن يكون كذلك، لأنه من أعوان القضاء وأنصار العدالة ويؤدي رسالة سامية قبل أن يكون صاحب حرفة يأكل منها ويحصل رزقه عن طريقها. وإذا ما استحضر المحامي كل هذه المبادئ الجليلة وآمن بها والتزم بما تفرضه عليه من آداب وواجبات، فإن ذلك لن يكون عائقاً له عن الحصول على رزقه بالطريقة التي تتوافق مع سمو رسالته ولا تخدش ديانته ولا أخلاقه ولا أمانته التي أوتمن عليها. ويمكن تلخيص أهمية مهنة المحاماة في هذه السطور الآتية:

- المحاماة هي مهنة نبيلة، تسعى إلى تحقيق العدالة وسيادة القانون.
- المحامي هو جندي الحق والعدل، يقف في وجه الظلم، ويدافع عن المظلومين.
- مهنة المحاماة هي مهنة صعبة، ولكنها في نفس الوقت مهنة ممتعة، فهي تتطلب ذكاءً ومعرفة ومهارات تواصل قوية.
- المحامي هو الشخص الذي يتمتع بشخصية قوية وشجاعة، فهو لا يخشى الوقوف في وجه الظلم، حتى لو كان ذلك على حساب مصلحته الشخصية.
- مهنة المحاماة هي مهنة إنسانية، فهي تساعد الناس على تحقيق حقوقهم، وحماية مصالحهم¹⁶³.

النقطة السادسة: من الشبهات المثارة حول مهنة المحاماة والرد عليها:

* الشبهة الأولى : عدم معرفة هذه المهنة قبل القرن الثاني عشر من الهجرة ودخولها إلى بلادنا عبر أوروبا مع الاستعمار الأوربي .

* الرد على الشبهة الأولى : إن المحاماة أو ما يطلق عليها الفقهاء الوكالة بالخصومة قديمة في بلاد المسلمين قدم المحاكم الشرعية ، بيد أن هذه المهنة لم تتطور بهذا المفهوم إلا عند دخول الاستعمار

¹⁶² مقالات وأبحاث-قانونية/للمبتدئين-كيفية-تعامل-المحامي-معالموكل-والشرطة-والنيابة-والقضاة text:~:#/https://www.kurlye.com/ في20%اللغة20%العربية20%تعني20%3% .2024/4/1

¹⁶³ إلى20%تحقيق20%العدالة20%وسيادة20%القانونأجمل-ما-قيل-في-مهنة-المحاماة-ودورها-في-ت/#:~:#/https://muhamon.com=text:~:#/

الغربي إلى بلاد المسلمين والمسلمون قادرون على تطوير المهنة بالمفهوم الشرعي والنظامي المتفق مع شريعتنا.

*الشبهة الثانية: إن الإسلام لا يبيح التوكيل بالخصومة أمام القضاء إلا في حالات اضطرارية.¹⁶⁴
*الرد على هذه الشبهة: تصح الوكالة العامة عند الحنفية والمالكية (2)؛ لأنها تجوز في كل ما يملكه الموكل وفي كل ما تصح فيه النيابة من التصرفات المالية وغيرها. وقال الشافعي والحنابلة (3): لا تصح الوكالة العامة؛ لما فيها من عظيم الضرر. واتفق الفقهاء على جواز الوكالة الخاصة، وهو الأصل الغالب فيها.¹⁶⁵

(الحقيقة هي أن الوكالة بالخصومة جائزة في كل القضايا كقاعدة عامة إذا كانت ضمن دائرة المساعدة على إظهار الحقيقة وتطبيق الشريعة.

وجود محامين لهم مكانة عالية في هذا الميدان ويتصفون بأعلى صفات الكفاءة والنزاهة والاعتدال وممن تعلق عليهم الآمال أن ينهضوا بمهنة المحاماة ويصلوا بها إلى المستوى المأمول والله تعالى ولي التوفيق وهو حسبي ونعم الوكيل.¹⁶⁶

النقطة السابعة: واجبات المحامي والمحاذير:

يجب على المحامي عند مباشرته لمهنته ما يلي:

✓ التقيّد بمبادئ الأمانة، والشرف، والاستقامة، والاعتدال، والصدق، والضمير المهني، والنزاهة، والكفاءة، واحترام واجبات الزمالة، والمحافظة على الواجبات المفروضة عليه بمقتضى القانون ومبادئ المحاماة وتقاليدها المتعارف عليها، ولالتزام بكافة القرارات الصادرة عن المجلس.¹⁶⁷

¹⁶⁴ =http://alyahyalawyer.com.sa/ar/home/article_details/32?b=all#:~:text

*الشبهة الثانية 20% الثانية 20% إن الإسلام 20% لا، على إظهار 20% الحقيقة 20% وتطبيع 20% الشريعة 20%. 2024/4/1.

¹⁶⁵ أ. د. وهبة الزحيلي، الفقه الإسلامي وأدلته، دار الفكر - سورية - دمشق، ج 5، ص 693.

¹⁶⁶ (جريدة اليوم - يوم الاثنين ٢٥ شعبان ١٤٣٥ هـ الموافق ٢٣ يونيو ٢٠١٤ م

¹⁶⁷ =https://www.google.com/search?q

يجب على المحامي عند مباشرته لمهنته والتقيّد بمبادئ الأمانة، والشرف، والاستقامة. 2024/4/1.

✓ أن يحامي عن صاحب الحق، أما من هو ظالم أو ليس له حق فلا يجوز أن يناصره على باطله.

قال الله تعالى ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْفَلَاحِيَّةَ وَلَا ءَامِينَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ يَنْبَغُونَ فَضلاً مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَاناً وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢﴾ المائدة: ٢ وقال الله تعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا ﴿١٠٧﴾ النساء: ١٠٧

وقال الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله تعالى: (لا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ) "الاختيان" و "الخيانة" بمعنى الجناية والظلم والإثم، وهذا يشمل النبي عن المجادلة عمن أذنب وتوجه عليه عقوبة من حد أو تعزير، فإنه لا يجادل عنه بدفع ما صدر منه من الخيانة، أو بدفع ما ترتب على ذلك من العقوبة الشرعية. (إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا) أي: كثير الخيانة والإثم، وإذا انتفى الحب ثبت ضده وهو البُغْض، وهذا كالتعليل للنبي المتقدم¹⁶⁸

وقال رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (مَنْ حَالَتْ شَفَاعَتُهُ دُونَ حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللَّهِ، فَقَدْ ضَادَّ اللَّهَ، وَمَنْ خَاصَمَ فِي بَاطِلٍ وَهُوَ يَعْلَمُهُ، لَمْ يَزَلْ فِي سَخَطِ اللَّهِ حَتَّى يَنْزِعَ عَنْهُ، وَمَنْ قَالَ فِي مُؤْمِنٍ مَا لَيْسَ فِيهِ أَسْكَنَهُ اللَّهُ رِذَّةَ الْخَبَالِ حَتَّى يَخْرُجَ مِمَّا قَالَ)¹⁶⁹

✓ والمحامي المسلم الذي يقوم بمهنته على بينة من الأمر ووفق أحكام الشرع، ويصلح نيته، وينصح موكله بتقوى الله تعالى وألا يطلبوا من الحقوق إلا ما يجوز لهم شرعا، وأن يقرروا بالحقوق لأصحابها، وأن يصدقوا في إقراراتهم وأقوالهم وشهاداتهم، ويرشدهم إلى أن تقوى الله تعالى هي الطريق إلى الحياة الطيبة في الدنيا والآخرة، ويرفق بأصحاب الحقوق من الفقراء والضعفاء.

¹⁶⁸ (السعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ن: مؤسسة الرسالة، ط1، 1420هـ-2000 م ب، 106، ج1، ص200.

¹⁶⁹ (الأزدي، أبو داود سليمان بن الأشعث تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد الناشر: بيروت، المكتبة العصرية، صيدا -3597- ب، فيمن يعين على خصمه، ج3، ص305.

✓ على المحامي ان يسعى إلى رضا الله قبل رضا الناس، لهذا واجب عليه تحري الحق والتمسك به ونبذ الباطل ولو كان عليه وعلى موكله، هذا لو كان بالتقاضي عن الناس او عن مصالح الدولة، جاء في الحديث الشريف ان النبي صلى الله عليه وسلم قال: «القضاة ثلاثة، قاضيان في النار وقاض في الجنة، رجل قضى بغير الحق فعلم ذلك فذاك في النار، وقاض لا يعلم فأهلك حقوق الناس فهو في النار، وقاض قضى بالحق فذلك في الجنة»،¹⁷⁰ ونحن نعلم ان المحامي له مثل منزلة القاضي من جهة الحكم على موكله بأنه مظلوم، وعلى الخصم بأنه ظالم، فعليه ان يتقي الله حين يترافع عن موكله، ويشهد له بانه مظلوم وصاحب حق، ويسعى الى صياغة المذكرات القانونية وتلمس الثغرات في صحيفة الخصم نصرة لقضية موكله، فهذا له مثل حكم القاضي الذي اوضحه لنا النبي صلى الله عليه وسلم بقوله:¹⁷¹ «قاضيان في النار وقاض في الجنة»¹⁷² فليختر أي صنف هو من أولئك الثلاثة.

المحاذير

➤ على المحامي أن يحذر من أن يقوده زخرف القول الى التطاول والافتراء بالجور في الحكم في سبيل جني المال والأتعاب، ولهذا نسمع من يشهد زورا وظلما لموكله بان الحق له فيفتري على الخصم بانه ظالم وأكل لحقوق الناس في صحيفة الدعوى من غير دليل، فعليه ان جاءته مثل هذه القضايا ألا يفرح بما كسب من مال، لأن هذا المال سيكون نعمة عليه لا نعمة له،¹⁷³ فعن أم سلمة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إنكم تختصمون إلي، ولعل بعضكم

⁽¹⁷⁰⁾ الترمذي، محمد بن عيسى بن سَؤرة بن موسى بن الضحّاك، أبو عيسى، سنن الترمذي تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر (ج 1، 2) ومحمد فؤاد عبد الباقي (ج 3) وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (ج 4، 5) الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي - مصر الطبعة: الثانية، 1395 هـ - 1975 م رقم 1322 ب، ما جاء عن الرسول صلى الله عليه وسلم. ج 3، ص 605.

⁽¹⁷¹⁾ <http://majles.alukah.net/t66552/>. 2024/4/1.

⁽¹⁷²⁾ الترمذي السابق.

⁽¹⁷³⁾ <https://www.alanba.com.kw/ar/kuwait-news/islamic-faith/720891/10-02->

2017-مهنة-المحاماة-حلال-حرام/#:~:text=20%على20%المحامي20%أن20%يحذر,من20%مال,20%لان20%هذا%20المال. 2024/4/1.

ألحن بحجته من بعض، فمن قضيت له بحق أخيه شيئاً بقوله فانما اقطع له قطعة من النار فلا يأخذها».¹⁷⁴

➤ وليحذر المحامي من قضية الكذب حين يترافع عن موكله باستخدام عبارات التدليس والتزوير، ومع تقادم الوقت واحترافه هذه المهنة نجده اصبح متقناً للكذب في مهنته وترافعه عن الناس وهذا الصنف من الناس له وعيد شديد من النبي صلى الله عليه وسلم.¹⁷⁵

➤ وعلى المحامي ألا يكون فرحاً وحريصاً على تفاقم واستمرار المشاكل والخصومات بين الناس، وعلى وجه الخصوص بين الأزواج، فيكون معلماً للمتخاصمين سبل دمار الاسرة بكيفية رفع القضايا على الطرف الاخر، والواجب عليه ان يصلح ويأمر بالمعروف وان استمر الأمر على الشقاق والنفرة بين الزوجين فعليه ان يكون باذلاً للجهد في الوصول للحق باعتدال وانصاف،¹⁷⁶ قال تعالى: (لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضاة الله فسوف نؤتيه أجراً عظيماً..). سورة النساء 114.



غضب الرب

وما الذي يجلب على المحامي غضب الله وسخطه؟

نسمع عن ذاك المحامي الذي جعل مهنته قنطرة الى بلوغ المحرمات وقضاء الشهوات في سبل كثيرة منها انه يتعمد تأخير النظر في القضية وعرضها على القاضي في سبيل اخذ الاموال او انه يبتز من اموال الناس لعلمه بأسرارهم الخاصة، او يتقاضى امواله من خلال الحرام فلا يأخذ اتعاباً لكنه يأخذ الحرام والفاحشة من تلك المرأة الشاكية، وهناك من يحث بعض الشهود على قول الزور أو يملي على موكله الأقوال الباطلة الكاذبة ليؤثر على مجريات القضية، كل ذلك في سبيل المال الباطل الذي هو سحت، او في سبيل الشهرة التي تعلي من ذكره بين الناس لكنها تحط من قدره ومكانته عند الله سبحانه¹⁷⁷.

¹⁷⁴ صحيح البخاري، ب: من أقام البيعة بعد اليمين، ج3، ص180، 2680.

¹⁷⁵ <https://www.alanba.com.kw/ar/kuwait-news/islamic-faith/720891/10-02->

2017

¹⁷⁶ <https://www.alanba.com.kw/ar/kuwait-news/islamic-faith/720891/10-02->

.2017

¹⁷⁷ <https://www.alanba.com.kw/ar/kuwait-news/islamic-faith/720891/10-02-7>

201

المحامي له مهنة كريمة شريفة، ينبغي عليه ان يسأل الله سبحانه دائما ان يجعل على يديه وفي لسانه قول الحق والانصاف، ووضع الحق في موضعه، واعطائه لمستحقه وعليه ألا ينهر بريق المال الحرام، فيتناول الى الحرام وبعد ذلك يغفل عن قضية مهمة وهي طلب الرضا من الله وليتذكر هذه المقولة اخرج الترمذي بسنده: كتب معاوية رضي الله عنه الى عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها: ان اکتبي الي كتابا توصيني فيه ولا تكثري علي، فکتبت عائشة رضي الله عنها الي معاوية رضي الله عنه: سلام عليك، اما بعد فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «من أَرْضَى الله بسخط الناس كفاه الله الناس، ومن اسخط الله برضا الناس وكله الله الي الناس»¹⁷⁸.
فالمحاماة سبيل الى نصره الحق، وكسب للمال بما يرضي الله، وليس دريا الى الانغماس في الباطل، وحب الظهور، والتعالي على الناس ونشر الكذب، ومن ثم اكل المال بالباطل وسعي الى نشر الرذيلة باعانة أهل الفساد والاجرام باعانتهم على باطلهم عن طريق نصرتهم في المحكمة¹⁷⁹.

النقطة الثامنة: الخاتمة:

وهي تتكون من أهم النتائج، والتوصيات، فقائمة المراجع والفهارس.

أولا: أهم النتائج وهي كالتالي:

لقد توصلت هذه الدراسة إلى ما يلي:

- I. إن لمهنة المحاماة أصالة في تاريخ الإسلام وهي معترفة شرعا، وحكمها حكم التوكيل في الفقه الإسلامي وإن كانت مهنة معاصرة، وهي أيضا جائزة للذكر والأنثى مع مراعات الأحكام الشرعية.
- II. ولمهنة المحاماة غاية الأهمية في المجتمع الإسلامي كونها سلم لتحقيق العدالة ورد الظالم على ظلمه وأخذ الحق إلى صاحبه.
- III. هناك نصوص شرعية ثابتة من الكتاب والسنة التي تؤكد مشروعية مهنة المحاماة.
- IV. لقد قام بعض العلماء في الرد على الشبهات المثارة حول مهنة المحاماة.
- V. لمهنة المحاماة أحكام التي تلزم وتجب على كل من تولاها، للنجاة في الدنيا والآخرة، وعد الالتزام بها يوقع صاحبها إلى الهلاك.

التوصيات:

¹⁷⁸ <https://www.alanba.com.kw/ar/kuwait-news/islamic-faith/720891/10-02->

2017

¹⁷⁹ <https://www.alanba.com.kw/ar/kuwait-news/islamic-faith/720891/10-02->

2017

- ❖ كل من يتولى مهنة المحاماة وسائر المسلمين بتقوى الله عز وجل، وأن يؤدي الأمانات إلى أهلها ونقوم بالقسط والعدل ولو على أنفسنا أو على غيرنا.
- ❖ كما أوصي كل من تولى هذه المسؤولية أن يتعلم الأحكام الشرعية المتعلقة بمهنته، ويتجنب الدفاع عن الظالم، وأن يقف على الحق وتحقيق العدالة ولا يغرنه ما سيكسبه من المال الحرام الذي لا يغنيه شيئاً في الدنيا ولا ينجيه من عذاب الله في الآخرة.
- ❖ وعلى المحامي أن ينصح زبونه بتقوى الله قبل الشروع في الخصومة، ويتبرء منه إذا تبين له أنه ظالم.
- ❖ وأوصي القاضي بأن لا يكتفي بالأدلة والشهود الصادرة من المحامي بل يقوم بفحصها والتأكد بصلاحيتهما، فراراً من الوقوع هواء نفس بعض المحامين الظلمة.
- ❖ ولا أنسى أولياء أمراء، فعليمهم أن يقوموا بمراقبة تصرفات المحامين وإصدار الأحكام المناسبة لهم وتنفيذها ومعاقبة القائمين ضد العدالة.
- ❖ وعلى الأمة نصرة القائمين بالحق من المحامين ومحاربة الظلمة منهم.
- ❖ وأخيراً أوصي الطلبة والباحثين في الكتابة والبحث عن مثل هذا الموضوع وإرشادات القائمين بهذه المهمة كونها مهمة في المجتمع ولأنها سلم للوصول إلى تحقيق العدالة. وفي جانب آخر هي خطيرة جداً لما فيها من غموض في معرفة حقيقة الأمر.

قائمة المصادر:

1. جمهرة اللغة المؤلف: أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدى (المتوفى: 321هـ) المحقق: رمزي منير بعلبكي الناشر: دار العلم للملايين - بيروت الطبعة: الأولى، 1987م إن المهنة المحاماة أصل في عدد الأجزاء: 3
2. الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي المؤلف: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: 671هـ) تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش
دار الكتب المصرية - القاهرة الطبعة: الثانية، 1384هـ - 1964م عدد الأجزاء: 20 جزءاً (في 10 مجلدات)
3. الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري المؤلف: محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي المحقق: محمد زهير بن ناصر الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي) الطبعة: الأولى، 1422هـ عدد الأجزاء: 9.

4. سنن الترمذي، المؤلف: محمد بن عيسى بن سؤرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: 279هـ) تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر (ج 1، 2) ومحمد فؤاد عبد الباقي (ج 3) وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (ج 4، 5) الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر الطبعة: الثانية، 1395 هـ - 1975 م.
5. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان المؤلف: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: 1376هـ) (المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويح) الناشر: مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولى 1420 هـ - 2000 م.
6. أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السنجستاني (المتوفى: 275هـ) (المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد) الناشر: المكتبة العصرية، صيدا - بيروت.

المراجع:

- الأزدي، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد، جمهرة اللغة ت: رمزي منير بعلبكي، ن: دار العلم للملايين - بيروت، ط: 1987.
 - قبل المحاماة وفي ساحتها، محامي صلاح مطر، المؤسسة الحديثة للكتاب، 01 Jan 2016. ما يتعلق بالقضاء قبل تولمها وبعدها.
 - محامي المستقبل، محامي، لكبير جمال، 26 Mar 2024. كيف ينجح المحامي.
 - دروس في المحاماة، محامي نجل فلاح، دار وائل للطباعة والنشر والتوزيع، 02 Nov 2012 أصلها وطبيعتها وإرشادات مهمة للمحامي.
- <https://www.cojss.net/vb/showthread.php?5783&p=26199> حلال - المحاماة.



موقف الداعية من الفتن

By

Dr. Bashir Imam Aliyu
Department OF Islamic Studies,
Federal College of Education, Yola
bashirimamali@gmail.com
(+234) 08161997868/07083013017

Muhammad Abdulqadir
Department of Islamic Studies, Federal college of Education, Yola
muhammadabdulqadir36@gmail.com
08063219902

Abstract

This paper examines the role and duties of Islamic preacher during trials, mayhem and social disorder, especially those associated with insecurity. As one of the community leaders, a preacher plays a vital role in calming the clamor and softening the hardship of his people. He uses the wisdom which Allah has bestowed on him to direct his listeners to a safer course. The paper highlighted the steps that a preacher can take to contribute in making peace and peaceful coexistence between people of different faiths and that of the same faiths as well to supplement the efforts of other organizations. The paper concludes with some recommendations for improvement.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسول الله، وآله وصحبه ومن والاه، وبعد: إن مذاكرة موضوع "موقف الداعية من الفتن" والوقوف على أطراف من جوانبه، لمن أهم السنن، وأكد الواجبات، إذ بمعرفته ومعرفة ما يترتب عليه يحتاط المسلم في دينه، ويفر بإيمانه، إذ "المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده"⁽¹⁸⁰⁾.

والداعية قائم بمهمة الأنبياء والمرسلين؛ حيث يوضح للناس معالم الدين، ويعرفهم بما يقربهم إلى الله، وأسباب مساخطه، وبهذا يجنبه المخاطر والمصائب التي هي النتيجة الحتمية للمخالفات الشرعية وسنة من سنن الله في الابتلاء. وحقيقة ذلك أن الداعية: "هو المسلم المبلغ للإسلام، والمعلم له، والساعي إلى تطبيقه"⁽¹⁸¹⁾ فاتضح أن الداعي هو المسلم الدال على الخير، والمحذر عن الشر⁽¹⁸²⁾. والفتنة: هي الاختبار والامتحان والابتلاء، قَالَ تَعَالَى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبَلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾﴾ الأنبياء: ٣٥ وتأتي بمعنى الإزالة: قال تعالى: ((قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ لِيفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذَا لَا تَأْخُذُوكَ خَلِيلًا ﴿٧٣﴾﴾ الإسراء: ٧٣ وبمعنى الكفر: ((قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تُقْتَلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقْتَلُوا فِيهِ ﴿١١١﴾﴾ وبمعنى القتل، قال تعالى: ((قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يُفْنِتَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ الْكُفْرَانَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿١٠١﴾﴾ وتأتي لمعاني غير ما ذكر، فالخلاصة أن الذي يراد بالفتنة والابتلاء: هو الاختبار والامتحان للإنسان في الشدة والرخاء⁽¹⁸³⁾.

لماذا هذا الموضوع في هذا الوقت، وبهذه المناسبة بالذات؟

هذا الموضوع مهم لأنه قضية اليوم، وحدث الساعة؛ حيث عند حلول المحن والفتن فالمسلمين مطلوب منهم شرعا أن يعرفوا مراد الله ورسوله في هذه النازلة؛ ليتصرفوا وفق مراد الله ورسوله. قال تعالى: ((وَإِذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَدْعَاؤُهُ بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْ لَا فَضَّلَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتَهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا

⁽¹⁸⁰⁾ متفق عليه، صحيح البخاري، حديث رقم 10، ومسلم حديث رقم 40.

⁽¹⁸¹⁾ فقه الدعوة في صحيح الإمام البخاري 1078/2

⁽¹⁸²⁾ المصدر نفسه

⁽¹⁸³⁾ السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد، ص 81.

قَلِيلًا ﴿٨٣﴾ النساء: ٨٣. قال الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي (ت 1376هـ) رحمه الله في هذه الآية: "هذا تأديب من الله لعباده عن فعلهم هذا غير اللائق. وأنه ينبغي لهم إذا جاءهم أمر من الأمور المهمة والمصالح العامة ما يتعلق بالأمن وسرور المؤمنين، أو بالخوف الذي فيه مصيبة عليهم أن يتثبتوا ولا يستعجلوا بإشاعة ذلك الخبر، بل يردونه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم، أهل الرأي والعلم والنصح والعقل والرزانة، الذين يعرفون الأمور ويعرفون المصالح وضدها. فإن رأوا في إذاعته مصلحة ونشاطا للمؤمنين وسرورا لهم وتحريزا من أعدائهم فعلوا ذلك. وإن رأوا أنه ليس فيه مصلحة أو فيه مصلحة ولكن مضرته تزيد على مصلحته، لم يذيعوه، ولهذا قال: مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ أَي: يستخرجونه بفكرهم وآرائهم السديدة وعلومهم الرشيدة.

وفي هذا دليل لقاعدة أدبية وهي أنه إذا حصل بحث في أمر من الأمور ينبغي أن يولى من هو أهل لذلك ويجعل إلى أهله، ولا يتقدم بين أيديهم، فإنه أقرب إلى الصواب وأحرى للسلامة من الخطأ. وفيه النهي عن العجلة والتسرع لنشر الأمور من حين سماعها، والأمر بالتأمل قبل الكلام والنظر فيه، هل هو مصلحة، فيقدم عليه الإنسان؟ أم لا فيحجم عنه؟" (184).

لذا فالذي ينبغي أن يتكلم في هذه النوازل والقضايا المصيرية هم العلماء أولوا الفقه والبصيرة، كما وصف عمر بن عبد العزيز رحمه الله الصحابة وسادات التابعين رضوان الله عليهم لما وقعت الفتنة بين الصحابة واعتزلها من اعتزل منهم، قال: "إِنَّهُمْ عَلَى عِلْمٍ وَقَفُوا، وَبِصِيرٍ نَافِذٍ كَفُّوا" (185). فأول هذه المواقف هو أن على العالم المتبصر أن لا يرد موارد الفتن، بل ينأى بنفسه عنها ويبعد من حوله منها، مسترشدا في ذلك كله بهدي السلف الصالح.

هنا أمر مهم يجب السؤال عنه، وهو: هل المذياع ووسائل الإعلام مصادر موثوقة للأخبار أم أن ما تتناقله من الأخبار بحاجة إلى تثبت وترو؟. على العالم أن يعي بأن الخبر الذي يخرج منه يختلف عن الذي يسمع من عامة الناس! لأن العالم يتكلم بلسان الشرع فهو في موقف مسؤولية؛ لأنه موقع عن رب العالمين؛ لذا يجب أن يتحرى الأخبار، إذ من الأخبار ما يطوى ولا يروى، وليس كل يسمع يقال.

فعن علي رضي الله عنه قال: ((لا تكونوا عجلا، مذاييع، بذرا، فإن من ورائكم بلاء مبرحًا أو مكليحًا، وأمورا متماحلة دُرْحًا)) (186). ففي هذا الأثر العظيم نهي عن أمرين:

(184) تفسير السعدي، ص 190

(185) سمات المؤمنين في الفتن وتقلب الأحوال، ص 13.

(186) أخرجه البخاري في الأدب المفرد برقم (327)

الأول: النهي عن العجلة والتسرع في إشاعة الأخبار من غير تثبت ولا ترو، فعند اشتداد الفتن لا ينبغي أن يذكرها الإنسان بقوله أو فعالة، فيكون مذيباً للشرك مذكياً لناره.
الثاني: أن لا يكون الإنسان بذرة للشرك والفتنة، فقد ثبت في الحديث الصحيح أن الفتن ستكون، فقال عليه الصلاة والسلام: ((ستكون فتن، القاعد فيها خير من الماشي، والماشي خير من الساعي)) (187)
وقال الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه: "إنها ستكون أمور مشتهيات، فعليكم بالتؤدة، فإنك أن تكون تابعا في الخير خير من أن تكون رأساً في الشر" (188). فهذا أيضاً إشارة واضحة إلى التأنى في الأمور والتؤدة والترو.

الموقف الثاني: على الداعية الموفق أن يأخذ بأيدي الناس إلى الله، وأن يطمعهم في عظيم فضله، وسعة رحمته، وأنه تعالى وحده القادر على كشف ما نزل بالأمّة، وليس هو بتغيير حزب، أو الانضمام إلى الأحزاب المعارضة، وإنما السبيل الوحيد للخروج من هذه المحن الرجوع إلى الله، وانصراف الناس إلى العبادة؛ لأن وقت الفتن تصيح حياة الإنسان وأوقاته مشحونة ومشغولة بالقييل والقال وما يتأجج من الفتن، ويكون قلبه مشوشاً مضطرباً مشغولاً، فلا يطمئن قلبه ولا يهدأ باله إلا بذكر الله. قَالَ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ (٢٨) وقال عليه الصلاة والسلام: ((عبادة في الهرج كهجرة إلي)) (189). وهذا يدل على أن المشتغل بالعبادة في وقت الهرج موفق بتوفيق الله. قال عليه الصلاة والسلام: ((إن السعيد لمن جنب الفتن)) (190). وفي الصحيح من حديث أم سلمة رضي الله عنها: قالت: استيقظ رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة فزعا، يقول: ((سبحان الله! ما ذا أنزل الله من الخزائن؟!، ماذا أنزل الله من الفتن؟! من يوقظ صواحب الحجرات - يعني أزواجه - يصلين)) (191) فهنا إرشاد إلى العبادة والصلاة عند نزول الفتن (192).

(187) متفق عليه، البخاري برقم (3406)، ومسلم (2886).

(188) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه برقم (38343)

(189) الطبراني في الكبير 20/213، وصححه الألباني في صحيح الجامع (3974)

(190) أخرجه أبو داود برقم (4263)، قال الألباني: إسناده صحيح على شرط مسلم. انظر

الصحيحة برقم (975)

(191) صحيح البخاري برقم 115، 1126.

(192) انظر: آثار الفتن، ص 17.

الموقف الثالث: الاجتهاد في تعليم الناس الخير، وحملهم على السنة الصحيحة، وقراءة سير السلف الصالح، فإن زمن الفتن ينصرف الناس عن العلم والعلماء، وتقل مجالس الذكر ومجالسة العلماء ومعرفة الدين وتعلم الأحكام؛ وذلك لانشغال قلوب الناس بالأحداث المتأججة، فلا يكاد يطمئن لطلب العلم، ولا مجالسة أهله، بل قد يؤدي الأمر إلى انتقاص العلماء وازدراءهم، وتهمتهم بالتخاذل وعدم نصرة الأمة. وإذا كانت الظروف غير مواتية للاجتماع في المساجد، فإن باستطاعة الداعية بث دروسه عبر الإذاعة والتلفاز ووسائل الاتصالات الحديثة؛ مثل صفحة التواصل الاجتماعي، والشبكة العنكبوتية، والتغريدات، ورسائل الجوال القصيرة، ونحو ذلك، المهم لا يتوقف الداعية عن أداء مهمته، ويتكيف مع الظروف ويكون مرنًا. وإنما يجب على العلماء البروز في أوقات الفتن وتعليم الناس أمور دينهم؛ لأنهم إن لم يفعلوا ذلك تصدر السفهاء، وأفتوا بغير علم، وصاروا هم الذين يقودون المجتمع، إذ القائد في ذلك هو الحماس وليس الفقه في الدين. وقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: "والفتنة إذا وقعت عجز العقلاء فيها عن دفع السفهاء"⁽¹⁹³⁾.

الموقف الرابع: على الداعية أن يسعى جهده إلى تقوية أواصر الأخوة، ورأب الصدع في المجتمع، والسعي إلى الصلح بين المتنازعين، والقيام بزيارة وجهاء البلد حتى ولو كانوا مخالفين له في المنهج والعقيدة حتى أصحاب الديانات الأخرى، فإن في فعل ذلك إغلاقاً للباب أمام المغرضين، والمشيعين للشائعات، وتقليل الأعداء والتحجب والتودد إلى الإخوان، كما أنه لا مانع من أن يقوم الداعية بنشاط اجتماعي، كزيارة السجون، والمشافي، ودور الأيتام، وإيجاد دروس مع شباب المخدرات، فإنه نافع جداً، فالداعية ينبغي أن يكون اجتماعياً بالطبع أو بالكسب، ولا يكون منطوياً، أو لا يقوم بشيء إلا التفسير في رمضان مثلاً. فقد قال عليه الصلاة والسلام تنوياً بموقف الكبار والوجهاء: ((البركة مع أكابركم))⁽¹⁹⁴⁾.

وقت الفتن تضعف الأخوة الإيمانية، والرابطة الدينية، ويفرح كل بما عنده، ويحرص على المخالفين له، ويلمزمهم ويغمزهم بعبارات توجي التنقيص والحط منهم وممن ينبغي أن يحرص الداعية تقوية أواصر الأخوة معهم؛ الدعاة الذين تجمعهم العقيدة، وإن اختلف معهم في بعض المسائل، ويسعى جهده إلى أن يجنبه الأذى الواقع والمتوقع. قال الله تعالى حكاية عن إبراهيم عليه السلام: ((قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا

⁽¹⁹³⁾ منهاج السنة 4/187.

⁽¹⁹⁴⁾ أخرجه ابن حبان برقم (559). صححه الألباني في الصحيحة برقم (1778).

كَانُوا ظَالِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ إِنَّكَ فِيهَا لَوْطًا قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا لَنَنْجِيَنَّهٗ وَأَهْلَهُ إِلَّا أُمَّرَاتَهُ
كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٣٢﴾ العنكبوت: ٣١ - ٣٢

الموقف الخامس: على الداعية أن يعرف و اقع كل بلد والأوضاع المحيطة به، فلا ينبغي أن يفهم بما يخالف ما هم عليه ما دام الذي هم عليه له مسوغ شرعي، خاصة إذا كانت المسألة تحتمل وجهها غير الذي يفتي به، فالمسائل الاجتهادية لا ينبغي أن يتشدد فيها بما يؤدي إلى إحداث البلبلة في الناس حتى ولو عرف أن للمسألة أوجهها أو أقوالاً أخرى، أو يرى خلاف ما هم عليه، لكن لجمع الكلمة وتوحيد الصف لا حرج عند العالم أن يفتي بالمعروف المعهود ما دام له مسوغ شرعا. روى إسماعيل السدي الكبير (ت 245هـ)، قال: "كنت في مجلس مالك أكتب عنه، فسئل عن فريضة فيها اختلاف عن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، فأجاب فيها بجواب زيد بن ثابت رضي الله عنه، فقلت: فما قال فيها علي بن أبي طالب رضي الله عنه وعبد الله بن مسعود رضي الله عنه، فأوماً إلى الحجبة، فلما هموا بي حاصرتهم وحاصروني فأعجزتهم، وبقيت محبرتي وكتبي بين يدي مالك، فلما أراد أن ينصرف، قال له الحجبة: ما نعمل بكتب الرجل ومحبرته، فقال: اطلبوه ولا تهيجوه بسوء حتى تأتونني به، فجاءوا إلي فرفقوا بي حتى جئت معهم، فقال لي: من أين أنت؟، فقلت: من أهل الكوفة، فقال لي: إن أهل الكوفة قوم معهم معرفة بأقدار العلماء، فأين خلفت الأدب، قال: فقلت: إنما ذاكرتك لأستفيد، فقال: إن علياً وعبد الله لا يُنكر فضلها، وأهل بلدنا على قول زيد، وإذا كنت بين ظهراي قوم فلا تبدأهم بما لا يعرفون، فيبدأك منهم ما تكرهه" (195)

فكما أنه يجب عليه مراعاة عادة أهل البلد، فكذلك ليس من الحكمة أن يحملهم على ما يشق عليهم، ويعرضهم وأموالهم للخطر، فالداعية بالمؤمنين رؤوف رحيم. فلا يطيل عليهم مثلاً في الصلاة، وفي الدروس، والتراويح أو التهجد إذا كانت ظروف أمن تلك المدينة لا تسمح، بل يخفف عنهم، ولا مانع أن يغير وقت إقامة دروسه إذا كان في الوقت المعتاد مشقة على الناس أو يعرضهم للخطر.

الموقف السادس: معرفة الدليل علم، ولكن معرفة كيفية توظيف الدليل وإعماله من أعظم العلوم. فليس كل مسألة تقال في كل زمان ومكان، فكم من عالم بحجة غير حكيم! لذا سمي الله العلم حكمة في آية، قَالَ تَعَالَى: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ ﴿٦١﴾ البقرة: ٢٦٩ قال الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي (ت

(195) تاريخ دمشق 318/71، وسير أعلام النبلاء 11/177.

1376هـ) رحمه الله تعالى: "وجميع الأمور لا تصلح إلا بالحكمة، التي هي وضع الأشياء مواضعها، وتنزيل الأمور منازلها، والإقدام في محل الإقدام والإحجام في موضع الإحجام، ولكن ما يتذكر هذا الأمر العظيم، وما يعرف قدر هذا العطاء الجسيم. إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ وهم أهل العقول الوافية، والأحلام الكاملة، فهم الذين يعرفون النافع فيعملونه، والضار فيتركونه"⁽¹⁹⁶⁾.
وقال الإمام مالك رحمه الله تعالى: "الحكمة والعلم نور يهدي به الله من يشاء وليس بكثرة المسائل"⁽¹⁹⁷⁾.

الموقف السابع: على الداعية أن يكون قنوعاً، راضياً بما قسم الله له من الرزق، وأن يأخذ بأسباب طلب الرزق الحلال الطيب، ويكفي الداعية عيباً أن يجعل العمل الدعوي سبيلاً للتكسب وليُعرف بعمل أو صنعة أو تجارة أو حرفة، وإلا كان مطمعا لكل صاحب هوى أو أصحاب مصالح. وقد بوب الإمام جمال الدين أبو الفرج ابن الجوزي (ت 597هـ) رحمه الله فصلاً في العالم الذي يتكسب يصون عرضه ودينه
ثم قال: حضرنا بعض أغذية أرباب الأموال، فرأيت العلماء أذل الناس عندهم، العلماء يتواضعون لهم، ويدلون لموضع طمعهم فيهم، وهم لا يحفلون بهم، لما يعلمونه من احتياجهم إليهم. فرأيت هذا عيباً في الفريقين: أما في أهل الدنيا، فوجه العيب أنهم كان ينبغي لهم تعظيم العلم، ولكن لجهلهم بقدره فاتهم، وأثروا عليه كسب الأموال؛ فلا ينبغي أن يطلب منهم تعظيم ما لا يعرفون، ولا يعلمون قدره.

وإنما أعود باللوم على العلماء، وأقول: ينبغي لكم أن تصونوا أنفسكم التي شرفت بالعلم عن الذل للأندال. وإن كنتم في غنى عنهم، كان الذل لهم، والطلب منهم حراماً عليكم. وإن كنتم في كفاف، فلم لم تؤثروا التنزه عن الذل بالعفة عن الحطام الفاني الحاصل بالذلة. إلا أنه يتخيل لي من هذا الأمر أنني علمت قلة صبر النفس على الكفاف، والعزوف عن الفضول، فإن وجد ذلك منها في وقت، لم يوجد على الدوام. فالأولى للعالم أن يجتهد في طلب الغنى، ويبالغ في الكسب، وإن ضاع بذلك عليه كثير من زمان طلب العلم؛ فإنه يصون بعرضه عرضه. وقد كان سعيد بن المسيب يتجر في الزيت، وخلف مألأ. وخلف سفيان الثوري مألأ، وقال: لولاك لتمندلوا بي"⁽¹⁹⁸⁾.

⁽¹⁹⁶⁾ تفسير السعدي، ص 957.

⁽¹⁹⁷⁾ إيقاظ همم أولي الأبصار للاقتداء بسيد المهاجرين والأنصار، ص 24.

⁽¹⁹⁸⁾ صيد الخاطر، ص 222.

قال تعالى حكاية عن قوم قارون: **قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَيَّتَاجِ فِيمَا ءَاتَاكَ اللهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللهُ إِلَيْكَ وَلَا تَتَّبِعِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾** (٧٧) القصص: ٧٧ قال أبو الفداء إسماعيل بن كثير (ت 774هـ) رحمه الله: "أي: استعمل ما وهبك الله من هذا المال الجزيل والنعمة الطائلة، في طاعة ربك والتقرب إليه بأنواع القربات، التي يحصل لك بها الثواب في الدار الآخرة وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا أي: مما أباح الله فيها من المأكول والمشرب والملابس والمسكن والمناجح، فإن لربك عليك حقا، ولنفسك عليك حقا، ولأهلك عليك حقا، ولزورك عليك حقا، فآت كل ذي حق حقه.

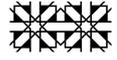
الدُّنْيَا وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللهُ إِلَيْكَ أي: أحسن إلى خلقه كما أحسن هو إليك وَلَا تَتَّبِعِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ أي: لا تكن همتك بما أنت فيه أن تفسد به الأرض، وتسيء إلى خلق الله" (199). فعلى الداعية ألا يقصد بعمله الدنيا، فيوفيه الله أجره فيها ولا يبغسه منه شيئا، ثم ليس له في الآخرة من نصيب. وسنة الله في طالبي الدنيا بأعمالهم من حيث نصيبهم منها، أنهم يعطون ما قسم لهم، وليس ما يريدونه ويحرصون عليه. **قَالَ تَعَالَى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ﴾** (٢٠) الشورى: ٢٠

الموقف الثامن: اختيار موضوعات خطب الجمعة والأعياد والدروس وقت الفتن. الهدف من خطب الجمع والأعياد هو تعليم الناس، وتوعيتهم، وتوجيههم إلى ما يصلح أمور دينهم ودنياهم، فعلى الداعية المتبصر أن يوظف المنبر وحلق الدروس التي أتاحت له بالنصح، والتوجيه، وتهديئة روعة الناس وخوفهم، وربطهم بالله عز وجل عند عجزهم. قال تعالى حكاية عن نبيه موسى عليه السلام وقومه: **قَالَ تَعَالَى: ﴿فَلَمَّا تَرَأَى الْأَجْمَعِينَ قَالُوا أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرِكُونَ﴾** (٦١) الشعراء: ٦١ أي لما رأى كل منهما صاحبه، قال أصحاب موسى شاكين لموسى وحزينين: إنا لمدركون. فقال موسى عليه السلام مثبتا لهم، ومخبرا لهم بوعد ربه الصادق: ليس الأمر كما ذكرتم أنكم مدركون، فإن الله سيهديني لما فيه نجاتي ونجاتكم (200).

وكذا حديث أنس بن مالك قال: ذكر النبي صلى الله عليه وسلم فقال: "كان أحسن الناس، وكان أجود الناس، وكان أشجع الناس. ولقد فزع أهل المدينة ليلة، فانطلقوا قبل الصوت، فتلقاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد سبقهم إلى الصوت، وهو على فرس لأبي طلحة عري، ما عليه

(199) تفسير ابن كثير 6/253.

(200) تفسير السعدي، ص 592.



سرج في عنقه السيف، وهو يقول: «يا أيها الناس، لن تراعوا» يردهم، ثم قال: للفرس «وجدناه بحرا» أو «إنه لبحر»⁽²⁰¹⁾.

⁽²⁰¹⁾أخرجه ابن ماجه برقم 2772 وغيره وهو حديث صحيح.

توصيات:

- إن الله خلق الخلق ليبتليهم ويختبرهم، والابتلاء يكون بالخير والشر. فإذا وقعت مصيبة فعلى الناس الرجوع إلى مسببها سبحانه وتعالى، ويعرفوا مراده عند وقوع مثل تلك المصائب.
- على الداعية أن يتثبت من الأخبار، وأن يترث فيما ينقل إليه من الأقوال وأن لا يتسرع في الحكم على الأحداث.
- إذا وقع أمر مخيف أو نصر منتظر، فليرجع الأمر إلى أولي الأمر؛ وهم العلماء الذين يبينون مراد الله ورسوله، والأمرء الذين ينفذون حدود الله.
- ينبغي للداعية أن يكون له مصدر رزق ودخل ثابت حتى يتفرغ قلبه للدعوة إلى الله، ولا يكون محل ازدراء وإهانة أمام أصحاب المال والسلطة.
- من أسباب دوام النعم شكر المنعم، والإحسان إلى الخلق، وإرجاء الفضل إلى مسبب الأمور، وخالق الأسباب، وهو الله سبحانه وتعالى.
- وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

فهرس المصادر والمراجع

- 1- صحيح البخاري: تأليف محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي (ت: 256هـ)، تحقيق محمد زهير الناصر، دار طوق النجاة الطبعة: الأولى، 1422هـ
- 2- صحيح مسلم: تأليف مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت: 261هـ) تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت
- 3- فقه الدعوة في صحيح الإمام البخاري: تأليف سعيد بن علي بن وهب القحطاني، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الطبعة: الأولى، 1421هـ
- 4- السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد
- 5- تفسير السعدي: تأليف عبد الرحمن بن ناصر السعدي (ت: 1376هـ) تحقيق عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى 1420هـ- 2000 م
- 6- سمات المؤمنين في الفتن وتقلب الأحوال: تأليف صالح بن عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم آل الشيخ، الناشر: الكتاب منشور على موقع وزارة الأوقاف السعودية د. ت
- 7- الأدب المفرد: لمؤلف: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (المتوفى: 256هـ) تحقيق: سمير بن أمين الزهيري الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض الطبعة: الأولى، 1419 هـ - 1998 م

- 8- ابن أبي شيبة في مصنفه المؤلف: أبو بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي (المتوفى: 235هـ، تحقيق: كمال يوسف الحوت الناشر: مكتبة الرشد - الرياض الطبعة: الأولى، 1409هـ)
- 9- الطبراني في الكبير سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: 360هـ) تحقيق: فريق من الباحثين بإشراف وعناية د/ سعد بن عبد الله الحميد و د/ خالد بن عبد الرحمن الجريسي
- 10- صحيح الجامع: أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: 1420هـ) الناشر: المكتب الإسلامي
- 11- سنن أبي أبوداود: أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السجستاني (المتوفى: 275هـ) تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد الناشر: المكتبة العصرية، صيدا - بيروت.
- 12- السلسلة الصحيحة: سلسلة الأحاديث الصحيحة، المؤلف: أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (ت: 1420هـ) الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة: الأولى، مكتبة المعارف
- 13- آثار الفتن: تأليف عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر، الناشر جمعية إحياء التراث الإسلامي، الطبعة الأولى 1431هـ
- 14- منهاج السنة: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: 728هـ) تحقيق: محمد رشاد سالم الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية الطبعة: الأولى، 1406 هـ - 1986 م
- 15- صحيح ابن حبان: محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبَد، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفى: 354هـ) ترتيب: الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي (المتوفى: 739 هـ) حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت الطبعة: الأولى، 1408 هـ - 1988 م
- 16- تاريخ دمشق: المؤلف: أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر (المتوفى: 571هـ) المحقق: عمرو بن غرامة العمروي، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع عام النشر: 1415 هـ - 1995 م

- 17- سير أعلام النبلاء: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْمَاز
الذهبي (المتوفى: 748هـ)، المحقق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب
الأرنؤوط الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الثالثة، 1405 هـ/ 1985 م
- 18- إيقاظ همم أولي الأبصار للاقتداء بسيد المهاجرين والأنصار: صالح بن محمد بن نوح
بن عبد الله العَمْرِي المعروف بالفُلَّانِي المالكي (المتوفى: 1218هـ) الناشر: دار المعرفة -
بيروت
- 19- صيد الخاطر: المؤلف: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي
(المتوفى: 597هـ) بعناية: حسن المساحي سويدان الناشر: دار القلم - دمشق الطبعة:
الأولى 1425هـ - 2004م
- 20- تفسير ابن كثير: لمؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم
الدمشقي (المتوفى: 774هـ) المحقق: سامي بن محمد سلامة الناشر: دار طيبة للنشر
والتوزيع الطبعة: الثانية 1420هـ - 1999 م
- 21- ابن ماجه: المؤلف: ابن ماجه أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجة اسم أبيه
يزيد (المتوفى: 273هـ) تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي الناشر: دار إحياء الكتب العربية
- فيصل عيسى البابي الحلبي



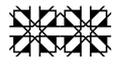
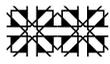
دراسة شبهات القرآنيين حول السنة النبوية والرد عليها

الدكتور عمار ناصر محمد
قسم الدراسات الإسلامية،
كلية الآداب، جامعة سعاد زنغر،
ولاية بوتشي، نيجيريا.
Gmail: binnasir300@gmail.com
07066552300 08056845047

ملخص البحث:

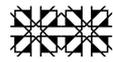
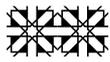
منذ أن جاءت الرسالة الخاتمة تناولها أعداء الإسلام بالطعن والتشويه وإثارة الشبهات حولها، وقد اتخذت العداوة للإسلام صورا مختلفة ، وهذه الصور والأشكال على نوعين اثنين: الأول : الذين أعلنوا عداوتهم في وضوح ، وناذروا المسلمين في جلاء من أمثال الصليبيين والشيوعيين والعلمانيين وأصناف الملاحدة بعامة، وهؤلاء ضررهم قليل ، وخطرهم معروف ، لأن عداوتهم معلنة ، وكفرهم سافر ، فالمسلمون منهم على حذر. أما النوع الثاني: هم المبتدعة الجهلة بعناصر الدين؛ فطريقتهم هي الانحراف عن الدين يسعون إلى تحقيق أغراضهم الخبيثة من القضاء على الإسلام عن طريق التشكيك في مصادره الموحى بها من عند الله -عز وجل- وبخاصة السنة النبوية المطهرة. وذلك بإثارة الشبهات ضد سنة رسول الله -- صلى الله عليه وسلم --، والزعم بأنها ليست من الدين ، ولا صلة لها بالتشريع الإسلامي، ويزعمون أن القرآن هو المصدر الوحيد للشريعة الإسلامية. وأعجب أمر هؤلاء أنهم يُنسَبون إلى القرآن المجيد ، فهم يحبون أن يسموا أنفسهم "القرآنيون" ظلماً وزوراً. وشبهاتهم هذه المزعومة هي محل الغاية في هذا البحث الموجز الذي عقده الباحث لمناقشة هذه الشبهات والرد عليها. ولما كان خطرهم مستمراً حتى إلى يومنا هذا حيث يوجد عدد كثير من الناس وخصوصاً في شمال نيجيريا على هذا الرأي المنحرف ، لذا تناول الباحث أبرز الشبهات المثارة حول حجية السنة وقام بالرد عليها ، واتبع الباحث المنهج التحليلي الذي يقوم على تحليل شبهات الطاعنين وتفكيكها وإبطال ما اعتمدوا عليه في إثارة هذه الشبهات والرد عليها ، كما استخدم الباحث المنهج النقدي والاستقرائي للشبهات الواردة حول حجية السنة النبوية بحسب مقتضيات البحث.

المقدمة: إن هجوم أعداء الدين على السنة النبوية اتخذ أشكالاً عديدة، فمنهم من نادى بردها، ونبذها تماماً، والاكتفاء بما في القرآن فقط، وفريق آخر رأى الحجية في نوع منها دون غيره،



وآخرون يطعنون في صحة الأحاديث، ... إلخ، ولكن الله سبحانه كما جعل هذه الأمة خير أمة أخرجت للناس واختار لها خير نبي مرسل، تكفل سبحانه بحفظ دينه، وسخر على مر العصور من اصطفاهم وكان جل همهم وشغلهم الشاغل حفظ هذا الدين والدفاع عنه ودحض الشبهات التي يثيرها أعداء الإسلام حوله قديمًا وحديثًا. ولقد كان أول من تعرض لهذه المذاهب المنحرفة وردَّ على أصحابها ودحض شبهاتهم هو الإمام الشافعي رحمه الله تعالى، حيث عقد فصلًا خاصًا في كتاب "الأم" ذكر فيه مناظرة بينه وبين بعض من يرون ردَّ السنة كلها، كما عقد في كتاب "الرسالة" فصلًا طويلاً في حجية خبر الأحاد، وبعد الشافعي -رحمه الله- هناك كتابات كثيرة حول هذا الموضوع منها: "شبهات حول السنة، لعبدالرزاق عفيفي" 1415 هـ وكتاب "دفاع عن السنة ورد شبه المستشرقين والكتاب المعاصرين" للدكتور محمد محمد أبو شهبه، وكتاب "شبهات المستشرقين حول السنة النبوية والرد عليها" للدكتورة نورة بنت عبدالله بن متعب الشهري السعودية، و"شبهات الحدائين العرب حول تدوين السنة النبوية والرد عليها، لشنوف عبد الهادي. وغيرها الكثير من الأبحاث والدراسات حول هذا الموضوع، وبالرغم من أن هذه الدراسات وغيرها قد مثلت ردودًا قوية في الدفاع عن السنة النبوية المطهرة وإبطال الشبهات المثارة حولها إلا أن الباحث أراد أن يساهم في الدفاع عن سنة الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم، متوخية الرد على هذه الشبهات بطريقي النقض والمعارضة.²⁰² وأسلوب عرض الشبهات والرد عليها بطريقة مرتبة معتمدة في جانب منها على الأدلة العقلية والعقلية، لعلها تكون إضافةً وإسهامًا في خدمة السنة النبوية المطهرة والدفاع عنها. كذلك رأى الباحث تجديد عرض الردود كلما جدوا ووروا إثارة الشبهات بشتى الطرق والوسائل، فكلما تنوعت أساليب أعداء الإسلام في إثارة الشبهات كان لابد من تنوع وتطور أساليب الرد عليهم، خاصة في عصرنا هذا عصر تكنولوجيا المعلومات وما تمثله الشبكة العنكبوتية(الأنترنت) الذي يمكن فيه بضغطة زر واحدة الوصول إلى كافة العقول وكل الأطياف، وانتظمت الدراسة في مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة ثم ثبت المصادر والمراجع. أما المقدمة فهذه قد أوشكت على الانتهاء، وأما المبحث الأول ففي مكانة السنة النبوية الشريفة من التشريع، والمطلب الثاني في التعريف بطائفة القرآنيين، وعوامل نشأتهم، والمطلب الثالث في شبه فرقة القرآنيين منكري السنة والرد عليها، وهي أربع شبه. وختم البحث بذكر أهم النتائج والمقترحات

²⁰² النقص: إبطال الشبهة وتفكيكها ودحضها وإثبات أن لا أصل لها من أساسها، أما المعارضة فهي الإتيان بالأدلة الصحيحة الثابتة التي تعارضها وتثبت عكس ما ادعوه، فالنقض دحض الشبهة وإبطالها. أما المعارضة فالإتيان بالأدلة التي تعارضها ويثبت ضدها، راجع: المواقف 180\1، لعضد الدين الإيجي (ت:656هـ)، تحقيق: د. عبد الرحمن عميرة، الناشر: دار الجيل بيروت، الطبعة الأولى 1996م.



التي توصل الباحث إليها من خلال الدراسة. سائل المولى عز وجل التوفيق والقبول وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم.

الفصل الأول: مكانة السنة النبوية الشريفة من التشريع

تعريف السنة النبوية:

أولاً: تعريف السنة: لغة بالضم وفتح النون المشددة الطريقة حسنة كانت أو سيئة²⁰³، ومنه قوله صلى الله عليه وسلم: "مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً، فَلَهُ أَجْرُهَا، وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَجُورِهِمْ شَيْءٌ، وَمَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً، كَانَ عَلَيْهِ وَزْرُهَا وَوِزْرُ عَمَلِهَا مِنْ بَعْدِهِ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوزَارِهِمْ شَيْءٌ"²⁰⁴

اصطلاحاً: سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم تطلق إطلاقاً:

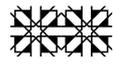
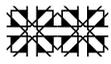
1. فتطلق إطلاقاً عاماً يشمل كل ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم، وحينها يراد بها طريقة الرسول صلى الله عليه وسلم ومنهجه، ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم: "فَمَنْ رَغِبَ عَن سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي"²⁰⁵ يعني: من رغب عن الطريقة التي كنت عليها، وهي الأخذ بما في الكتاب وما جاءت به السنة.

2. عرف المحدثون السنة بأنها أقوال النبي صلى الله عليه وسلم وأفعاله وتقريراته وصفاته الخلقية والخلقية، وسائر أخباره سواء أكان ذلك قبل البعثة أم بعدها، فالسنة مرادفة للحديث المرفوع، ولا تشمل الموقوف ولا المقطوع، واستدلوا لذلك بأن النبي صلى الله عليه وسلم سعى ما جاء على لسانه غير القرآن سنة، فقد أخرج الحاكم في المستدرک عن عكرمة، عن ابن عباس، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خَطَبَ النَّاسَ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ وذكر الحديث وفيه قال صلى الله عليه وسلم: "يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي قَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا إِنْ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ فَلَنْ تَضِلُّوا أَبَدًا كِتَابَ اللَّهِ وَسُنَّةَ نَبِيِّهِ

²⁰³ محمد بن علي بن القاضي الحنفي التهاوني: (1158هـ) موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، ت: د. علي دحروج، مكتبة لبنان ناشرون بيروت، الطبعة الأولى 1996م، 1\981.

²⁰⁴ أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الزكاة، باب الحث على الصدقة ولو بشق تمر أو كلمة طيبة وأنها حجاب من النار 4\1116.

²⁰⁵ أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب النكاح، باب: الترغيب في النكاح ح: 5163، ومسلم في صحيحه، كتاب النكاح، باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه، ووجد مؤنة، 2\1020 ح 1401.



صلى الله عليه وسلم".²⁰⁶ وعلى هذا القول يحمل تسمية كثير من المحدثين لكتبهم الخاصة بالحديث المرفوع، باسم السنن مثل: سنن أبي داود وسنن الترمذي وغيرهما. وزاد بعض المحدثين أقوال الصحابة وأفعالهم، واستدلوا على ذلك بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم "... فَمَنْ أَدْرَكَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَعَلَيْهِ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ، عَضُوا عَلِمًا بِالنَّوَاجِدِ."²⁰⁷

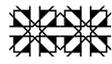
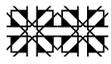
3. السنة في اصطلاح الأصوليين: عرف علماء أصول الفقه السنة بأنها أقوال النبي صلى الله عليه وسلم وأفعاله وتقريراته التي يستدل بها على الأحكام الشرعية، فهم يبحثون عن السنة بصفتها مصدرا للتشريع، وتالية للقرآن الكريم، وهذه الثلاثة هي التي تثبت الأحكام وتقررهما، فهي تدل على طريقته صلى الله عليه وسلم في فهم دين الله عز وجل والعمل به، أما أقواله وأفعاله وتقريراته و صفاته التي تعد من خصائصه صلى الله عليه وسلم فليست داخلية في مفهوم السنة عندهم لأنها لا تفيد حكماً شرعياً يتعبد الناس به.²⁰⁸

4 وفي اصطلاح الفقهاء: ما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم من غير افتراض ولا وجوب، وقد تطلق عندهم على ما يقابل البدعة، ومنه قولهم: "طلاق السنة كذا، وطلاق البدعة كذا". ومرد هذا الاختلاف في الاصطلاح إلى اختلافهم في الأغراض التي تُعنى بها كل فئة من أهل العلم. فعلماء الحديث إنما بحثوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والإمام الهادي الذي أخبر الله عنه أنه أسوة لنا وقدوة، فنقلوا كل ما يتصل به من سيرة وخلق وشمائل وأخبار وأقوال وأفعال سواء أثبت ذلك حكماً شرعياً أم لا. وعلماء الأصول إنما بحثوا عنه المشرع الذي يضع القواعد للمجتهدين من بعده، ويبين للناس دستور الحياة فعنوا بأقواله وأفعاله وتقريراته التي تثبت الأحكام وتقررهما. وعلماء الفقه إنما بحثوا عنه الذي لا تخرج أفعاله عن الدلالة على حكم شرعي،

²⁰⁶ أخرجه الحاكم أبو عبد الله محمد بن عبد الله النيسابوري في المستدرک على الصحيحين، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان 1\171، ح 318.

²⁰⁷ الترمذي: محمد بن عيسى الترمذي (ت: 269هـ) سنن الترمذي، ت: أحمد محمد شاكر أخرجه مطبعة ومكتبة مصطفى البابي الحلبي مصر، الطبعة الثانية، 1395هـ 1975م أبواب العلم، باب ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع 5\44، ح 2666، وقال حديث حسن صحيح، والحاكم في المستدرک 1\174.

²⁰⁸ الأمدي: أبو الحسن سيد الدين (ت: 631هـ) الإحكام في أصول الأحكام، ت: عبد الرزاق عفيفي، المكتبة الإسلامي بيروت لبنان 1\127،



وهم يبحثون عن حكم الشرع على أفعال العباد وجوباً أو حرمةً أو إباحتاً أو غير ذلك.²⁰⁹ والباحث يريد بالسنة هنا ما عناه الأصوليون بتعريفهم هي التي يبحث عن حجيتها ومكانتها في التشريع.

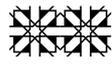
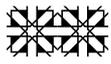
منزلة السنة من القرآن الكريم:

إن السنة النبوية الشريفة هي المصدر الثاني للتشريع الإسلامي بأقسامها القولية والفعلية والتقريرية، وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم هي من وحي الله - عز وجل باتفاق الأمة المسلمة، وذلك لما قام الدليل من كتاب الله على ذلك في آيات كثيرة، ثم لما صرحت به السنة النبوية، ثم لما أجمع عليه الصحابة والتابعون وتابعوهم إلى يوم الدين.

فمن الآيات القرآنية التي تدل على أن السنة وحي قال تعالى: ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۗ (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۗ ﴾ النجم: ٣ - ٤ وقوله قال تعالى: ﴿ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ آل عمران: ١٦٤ قال تعالى: ﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْنُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۗ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ ۗ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ الأعراف: ١٥٧ فالآية أسندت الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتشريع وتحريم الحلال الحرام إليه - صلى الله عليه وسلم - مباشرة دون أن تفيد ذلك بكونه قرآناً أو سنة.

وقوله - عز وجل - قال تعالى: ﴿ فَتِلْؤُوا الَّذِينَ لَا يَأْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ۗ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾ التوبة: ٢٩ فهذه الآية الكريمة ذكرت نوعين من المحرمات، ما حرم الله - تعالى - وما حرم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وجمعت بين الأمرين في جملة واحدة عاطفة ما حرم رسول الله على ما حرم الله، وذلك يدل بوضوح على أمرين، الأول: أن ما حرم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - هو مثل ما حرم الله، وأن الأمرين على منزلة واحدة من حجية التشريع وحكمه، وأن ما

²⁰⁹ السباعي: مصطفى بن حسني (ت: 1384هـ) السنة ومكانتها في التشريع، المكتب الإسلامي بيروت لبنان الطبعة الثالثة 1412هـ 1982م 1\47-49،

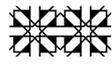
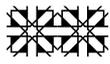


شرع الله - تعالى - في كتابه هو مثل ما شرع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في سنته. الثاني : أن ما حرم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في سنته هو وحي من عند الله - تعالى - كمثل ما حرم الله - تعالى - في كتابه، فكلما التشرعيين وحي من عند الله - سبحانه - .
ولعل ما ذكره الباحث كاف في بيان ما قصد إليه، وإن الناظر في كتاب الله المجيد يراه قد أمر بطاعة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في آيات كثيرة وبصيغ متنوعة عديدة، من هذه الآيات قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ٧ ﴾ الحشر: ٧ .
قَالَ تَعَالَى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ ٣٣ ﴾ محمد: ٣٣ قَالَ تَعَالَى: ﴿ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكٰفِرِينَ ٣٣ ﴾ آل عمران: ٣٢ قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ٥٦ ﴾ النور: ٥٦ ومن علامات طاعته - صلى الله عليه وسلم - واتباعه، الأخذ عنه، والاحتكام إليه، وتحكيمه في كل ما يعرض لنا من شؤون الحياة، ثم الرضا بما يحكم به، والإذعان والتسليم له يقول الله: قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا سَلِيمًا ٦٥ ﴾ النساء: ٦٥ من كل هذا الذي ذكره الباحث من الآيات القرآنية تتضح مكانة السنة النبوية من التشريع الإسلامي، وتتضح حجيتها، وأنها من حيث الحجية هي في منزلة الثانية بعد القرآن المجيد، ولا ينبغي أن يفهم من هذا جعل السنة بمنزلة القرآن في المكانة والشرف، فهذا مما لا يقول به مسلم.

الفصل الثاني التعريف بطائفة القرآنيين، وعوامل نشأتهم

التعريف بطائفة القرآنيين فرقة من الفرق يقوم مذهبهم على إنكار السنة النبوية وعدم الإيمان إلا بالقرآن ، وهذا هو صريح قولهم، بل شعارهم،²¹⁰
أما إنكار السنة على هيئة مؤثرة، وعلى أيدي طوائف لها ذكرها في التاريخ : فقد بدأت على أيدي الخوارج والشيعة، ثم انضم إليهم طوائف من المتكلمين وبخاصة من المعتزلة الذين انتسب إليهم كثير من الزنادقة والفاسقين عن الملة.

²¹⁰ زينو: علي محمد القرآنيون، نشأتهم عقائدهم ادلتهم، دار القيس، دمشق، الطبعة الأولى، 1432هـ 2011م



أما الشيعة والخوارج فكلتا الطائفتين شغبت على السنة النبوية المطهرة وأنكرتها، لكن الشيعة لم يقبلوا من سنة النبي - صلى الله عليه وسلم - إلا القليل الذي نُقل إليهم عن طريق من يدين بعقيدتهم في الإمامة ويشايح آل البيت - فيما يزعمون - ، فالشيعة - إذن - رفضوا السنة لأنهم طعنوا في عدالة الصحابة - رضوان الله عليهم - لأنهم بايعوا أبا بكر - رضي الله عنه - ولم يبايعوا علياً - رضي الله عنه - الذي كان هو الخليفة من وجهة أنظار الشيعة، والشيعة منهم معتدل وغال.

أما الخوارج فقد طعنوا في الصحابة - رضوان الله عليهم - بعد واقعة التحكيم الشهيرة أثناء الحرب بين علي ومعاوية - رضي الله عنهما - وبسبب واقعة التحكيم طعن الخوارج في عدالة الصحابة - رضي الله عنهم - فمن الخوارج مَنْ فَسَّقَهُمْ، وهم قلة لا تذكر، والأكثر من طوائف الخوارج كفروا الصحابة - عياداً بالله - بل منهم من جعلهم كالمشركين في الحرب والسبي وعدم قبول الجزية .. إلى آخر تلك الآراء التي تدل على انحراف حاد عن جادة الإسلام، وقد دفع بهم إنكار السنة.

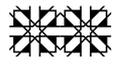
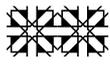
هكذا بدأت مسيرة إنكار سنة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - والشغب عليها ورفض اعتبارها مصدراً تشريعياً كالقرآن، والخروج على طاعة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بدأت مسيرة الضلال هذه على أيدي الخوارج والشيعة (الرافضة).

وقد ظلت مسيرة الضلال هذه تنتقل عبر التاريخ بطوائفها المختلفة وعلى مستوى الأمة المسلمة شرقاً وغرباً، حتى كانت نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، حيث نبئت نابتة سوء بين المسلمين في بلاد الهند، وذلك بنشأة ما سمي بطائفة "القرآنيون".

ظهرت فرقة أهل القرآن المعاصرة الجديدة على يد الدكتور الأزهري المصري أحمد صبيحي منصور، فبدأ في حرب الإسلام والسنة المطهرة منذ سنة 1966م، بالأبحاث والمقالات والكتب والندوات، وصدورت بعض كتبه، وانكشف أمره من طلابه، واعترف في التحقيقات بضلاله الذي تمسك به، فأصدر الأزهر قراراً يفصله من الجامعة عام 1987م. بسبب إنكاره للسنة النبوية، وتطاوله على علماء الحديث النبوي مثل البخاري، الذي يهتمه بالعداوة للإسلام والقرآن، وقيامه بتأسيس مذهب الاكتفاء بالقرآن كمصدر للتشريع الإسلامي.²¹¹

لهذه الطائفة التي أسمت نفسها "القرآنيون" مغالطات وجهالات، زعموا أنها شبهات ضد سنة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - المطهرة، ويزعمون أن هذه الشبه أدلة قاطعة على وجوب ترك السنة النبوية المطهرة، وإهمالها والانصراف عنها، وعدم اعتبارها مصدراً للتشريع، والاقتصار على القرآن المجيد مصدراً وحيداً للتشريع الإسلامي

www.ahl-alquran.com/arabic/userpage.php²¹¹



الفصل الثالث: في شبه فرقة القرآنيين منكري السنة والرد عليها.

وسيتولى الباحث - بحول الله تعالى - ذكر بعض شبهات القرآنيين كما أوردوها، ثم نفندها والرد عليها وبيان بطلانها. وهي أربع شبه كالآتي:

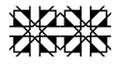
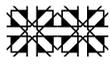
الشبهة الأولى: قولهم: إن القرآن الكريم كافٍ في بيان قضايا الدين وأحكام الشريعة، وإن القرآن قد اشتمل على الدين كله، بجملته وتفصيله، بكلياته وجزئياته، وأنه يحتوي جميع الأحكام التشريعية بتفصيلاتها، ما ترك شيئاً ولا فرط في شيء. ولهذا كان القرآن كافياً، ولم يكن ثمة حاجة لمصدر ثانٍ للتشريع. فالسنة لا حاجة إليها، ولا مكان لها، وقد استدلو لشبهتهم هذه بما زعموه أدلة من القرآن المجيد. من ذلك قوله - سبحانه قال تعالى: ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ تُرَى إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴾ (٢٨) الأنعام:

٣٨ وبقول الله - سبحانه - يصف القرآن الكريم قال تعالى: ﴿ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ (١١١) يوسف: ١١١ وكذلك استدلو بالآيات التي وصف الله - تعالى - القرآن فيها بأنه " مبين " من مثل قول الله -

عز وجل - قال تعالى: ﴿ إِن هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ ﴾ (٦٩) يس: ٦٩

أما وجه استدلالهم بتلك الآيات، فإن الآية الأولى بين الله فيها أنه ذكر كل شيء في القرآن، ولم يفرط في الكتاب من شيء، بمعنى أنه لم يترك صغيرة ولا كبيرة، ولم يدع أمراً من أمور الدين، أو حكماً من أحكام الشرع يحتاج إليه الناس في عقائد أو عبادات أو معاملات إلا قد ذكره في القرآن، وإذا كان الأمر كذلك؛ فما حاجتنا إلى مصدر آخر غير القرآن، واشتمال القرآن على تفصيل كل شيء إنما هو واضح من خاتمة سورة يوسف - عليه السلام - الذي وصف الله فيها القرآن بأنه " تفصيل كل شيء " وإذا كان القرآن فصل كل شيء؛ فما حاجتنا إلى السنة؟ وماذا سنفيد منها؟ كذلك الآيات التي وصفت القرآن بأنه " مبين " ووصفت آياته بأنها " آيات بينات " فهذه تقطع السبيل على من يقولون إن السنة مبنية للقرآن ومفصلة. وهذا يتضح أن السنة لا محل لها من التشريع، ولا حاجة إليها من بيان أو تفصيل أو توضيح.

تفنيد الشبهة والرد عليها: إن الأمة مجمعة على أن القرآن العظيم قد اشتمل الدين مجملاً في كثير من جوانبه وأحكامه، ومفصلاً في جوانب أخرى، وقد جاءت السنة النبوية المطهرة فبينت المجمل وفصلته، والنبي - صلى الله عليه وسلم - وهو يبين ويفصل إنما ينفذ أمر الله ويؤدي ما وكله الله إليه

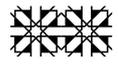
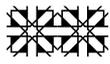


من بيان القرآن المنزل على الخلق، تطبيقاً واستجابة لأمر الله - عز وجل - قَالَ تَعَالَى: ﴿بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَنْفَكُرُونَ﴾ النحل: ٤٤؛ فالقرآن المجيد قد اشتمل على قضايا الدين، وأصول الأحكام الشرعية، أما تفاصيل الأحكام وجزئياتها فقد فصل بعضها وأجمل جمهرتها، وإنما جاء المجمل في القرآن بناء على حكمة الله - عز وجل - التي اقتضت أن يتولى رسوله - صلى الله عليه وسلم - تفصيل ذلك المجمل وبيانه . وهذا هو ما قام عليه واقع الإسلام، وأجمعت عليه أمته، وإذا كان أصحاب هذه الشبهة يزعمون أن القرآن قد فصل كل شيء، وبين كل صغيرة وكبيرة في الدين؛ فلنحتكم وإياهم إلى عماد الدين الصلاة؛ أين في القرآن الكريم عدد الصلوات، ووقت كل صلاة ابتداء وانتهاء، وعدد ركعات كل صلاة، والسجدة في كل ركعة، وهيئاتها، وأركانها، وما يقرأ فيها، إلى غير ذلك من أحكام لا يمكن أن تقام الصلاة بدونها؟ ومثل ذلك يقال في أحكام العبادات كافة، مثل الزكاة والصيام والحج، فأين نجد منه الأنواع التي تخرج منها الزكاة، ومقدار كل نوع، وأين نجد أحكام الصيام؟ وأين نجد مناسك الحج؟ إن الله - سبحانه - قد وكل بيان ذلك إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الذي لا ينطق عن الهوى. ومعلوم أن تفصيل الأحكام وبيان جزئياتها، وتوضيح دقائقها، إنما يكون بالطريق العملي أولى وأجدى، ولو أن الأحكام فصلت قولاً نظرياً، لما استغنت عن بيان عملي واقعي.

ولعله من الحكمة وراء ذلك - أيضاً - بيان ما لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - من منزلة سامية لا يشاركه فيها غيره، ومكانة رفيعة عالية لا يرقى إليها سواه، وذلك بإسناد الله تفصيل الأحكام وبيانه إلية - صلى الله عليه وسلم -، إذ لو كان كل شيء مفصلاً مبيناً لكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مثل غيره من الناس مطبقاً لما هو قائم فعلاً، لكن الله - عز وجل - اختصه بتفصيل الأحكام وبيان مجمل القرآن تكريماً لشأنه وإعلاء لمنزلته، وليس ذلك أمراً قائماً بذاته، بل هو مبني على ما سبق بيانه من حُكم .

وقد ذهب جمهور المفسرين إلى أن المراد بالكتاب في قول الله - عز وجل: ﴿مَا فَرَّقْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ (الأنعام: 38)، إنما هو اللوح المحفوظ، وليس القرآن الكريم،²¹² وسياق الآية كاملة يرجح هذا، فالآية الكريمة كاملة: ﴿قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمٌّ أَمْثَالِكُمْ مَا فَرَّقْنَا فِي

²¹² ابن الجوزي: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، (ت: 597هـ) زاد المسير في علم التفسير دار ابن حزم المكتب الإسلامي الطبعة الأولى 1423هـ 2002م 238\2.



أَلِكْتَبِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٣٨﴾ الأنعام: ٣٨ فالآية تتحدث عن عظيم علم الله - تعالى - ، وإحاطته بكل شيء في الوجود من دواب وطيور وغيرها، وقد شمل علم الله - سبحانه - كل شيء، وقدر ما يقع لكل منها، ثم إليه يحشر الكل. وذلك كقوله - تعالى: قَالَ تَعَالَى: ﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ الحديد: ٢٢ يُّعْنَى بِالْكِتَابِ اللَّوْحَ الْمَحْفُوظَ فِي قَوْلِ ابْنِ عَبَّاسٍ الثَّابِتِ عَنْهُ ، قَالَ : ((مَا تَرَكْنَا شَيْئًا إِلَّا وَقَدْ كَتَبْنَاهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ)) قَالَ الْقُرْطُبِيُّ : ((مَا تَرَكْنَا شَيْئًا مِنْ أَمْرِ الدِّينِ إِلَّا وَقَدْ دَلَّلْنَا عَلَيْهِ فِي الْقُرْآنِ ، إِمَّا دَلَالَةً مَبِينَةً مَشْرُوحَةً ، وَإِمَّا مَجْمَلَةً يُتَلَقَى بِبَيَانِهَا مِنَ الرَّسُولِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ، أَوْ مِنَ الْإِجْمَاعِ ، أَوْ مِنَ الْقِيَاسِ الَّذِي ثَبَتَ بِنَصِّ الْكِتَابِ. ²¹³

الشبهة الثانية: هذه الشبهة تقوم على أساس ادعائهم أن السنة النبوية ليست وحياً من قبل الله، ولكنه اجتهاد وتصرف من النبي - صلى الله عليه وسلم - بمقتضى بشريته، وهو بهذا الاعتبار يصيب ويخطئ، فالسنة ليست وحياً، وبالتالي فهي ليست منزهاً عن الخطأ، لأن المنزه عن الخطأ إنما هو الوحي، ولا وحي إلا القرآن المجيد. وإذا كانت أقوال الرسول - صلى الله عليه وسلم - وأفعاله ليست وحياً، فلسنا ملزمين باتباعها، ولا هي مصدر من مصادر التشريع.

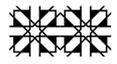
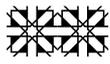
أدلّتهم: أولاً: مسألة تأيير النخل، ²¹⁴ حيث أمر النبي - صلى الله عليه وسلم - أصحابه أن يتركوا النخل فلا يؤثروه - يلقحوه - فأطاعوا أمره ففسد النخل، وخسر الناس ثمار نخيلهم. ثانياً: مسألة نزول جيش المسلمين في غزوة بدر، حيث أنزله الرسول - صلى الله عليه وسلم - منزلاً - ثم ظهر خطأ هذا المنزل، فانتقل الجيش إلى منزل آخر بناء على رأى صحابي من أصحابه -رضوان الله عليهم - ثالثاً: مسألة أسرى بدر، ²¹⁵ حيث استحياهم الرسول - صلى الله عليه وسلم - ولم يقتلهم، وأخذ منهم الفداء، ونزل القرآن مبيناً خطأ ذلك الاجتهاد وإصابة اجتهاد عمر ورأيه في المسألة.

الرد على هذه الشبهة وتفنيدها :

²¹³ القرطبي: أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري الجامع لأحكام القرآن ت: أحمد البردوني دار الكتب المصرية القاهرة ط. 1384، 2، 1964. 17\258.

²¹⁴ أخرجه مسلم في صحيحه عن رافع بن خديج ح 2362

²¹⁵ ابن حجر: أحمد بن علي العسقلاني (ت: 852هـ): فتح الباري شرح صحيح البخاري دار السلام الرياض 7\325.



أجمعت الأمة المسلمة سلفاً وخلفاً وإلى أن تقوم الساعة على أن السنة النبوية المطهرة وحي من قبل الله وليس ذلك صادراً عن فراغ أو عن هوى، ولكنه الحق الذي لا يعارضه إلا غويٌّ مبين. والأدلة على ذلك كثيرة وعديدة سبق ذكرها في حجية السنة، أما ما أثاروه من مغالطات مدعين أنها أدلة على أن السنة النبوية المطهرة ليست وحيًا؛ فهو كلام ظاهر البطلان كالتالي:

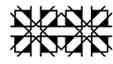
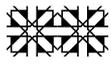
1. مسألة تأبير النخل. وهي مسألة ترجع إلى التجربة والخبرة ولا علاقة لها بالوحي من قريب أو من بعيد إلا فيما يتصل بها من حل وحرمة وإباحة. ورسول الله - صلى الله عليه وسلم - لم تكن له سابقة خبرة بتأبير النخل، ولما رأهم يفعلون ذلك قال لهم " لو تركتموه لصلح " إما على هيئة الاستفهام، وإما على الاقتراح المبني على عدم التجربة. ولم يكن لذلك من صلة بالتشريع لا أمراً ولا نهياً. ولذلك لما تركوا تأبير النخل ولم يصلح، وحدثوا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في ذلك، قال لهم: (أنتم أعلم بأمور دنياكم).

2. وأما ما أثاروه من منزل جيش المسلمين في غزوة بدر فهو حديث ضعيف، قال الشيخ الألباني: " وهذا سند ضعيف لجهالة الواسطة بين إسحاق والرجال من بني سلمة. وقال الذهبي: " حديث منكر.²¹⁶

3. وأما مسألة الأسرى في بدر، فهي قد جمعت بين الرأي والوحي. فقد كان الرأي أولاً، ثم أعقبه الوحي بعد ذلك. وقضية الأسرى ببدر توضح لنا أمراً هاماً قد لا يتوفر في كثير غيرها من قضايا التشريع. فرسول الله - صلى الله عليه وسلم - أخذ في أسرى بدر بالرأي، فاستشار أصحابه - رضوان الله عليهم - ، فكل أدلى برأيه، ثم مال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى الرأي القائل باستحيائهم وأخذ الفداء منهم، - وبعد أن استقر الأمر على ذلك نزل الوحي على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يبين ما كان ينبغي أن يفعل في مسألة الأسرى، ويبين الصواب في القضية. يقول الله - سبحانه - في شأن فعل الرسول في أسرى بدر: ﴿ قَالَ تَعَالَى: ﴿ مَا كَانَتْ لِيَئِيَّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أُسْرَى حَتَّى يُنْزِلَ فِي الْأَرْضِ تَرِيدُوتَ عَرْضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (٦٧) لَوْلَا كَتَبْتُ مِنْ اللَّهِ سَبَقَ لِمَسْكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ (٦٨) فَكُلُوا مِمَّا غَنَمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (٦٩) الأنفال: ٦٧ - ٦٩. فقضية الأسرى بدأت بالرأي، ثم انتهت بالوحي.

الشبهة الثالثة: قولهم: إن السنة لم تكن شرعاً عند النبي - صلى الله عليه وسلم -، ولم يقصد أن تكون سنته مصدراً تشريعياً للدين، وما قال شيئاً أو فعله بقصد التشريع، بل كان مصدر التشريع عنده - صلى الله عليه وسلم - هو القرآن وحده، وكذلك فهم الصحابة - رضوان الله عليهم -، وجاء

²¹⁶ موسوعة الأحاديث: المكذوبة والموضوعة والباطلة. وسلسلة الأحاديث الضعيفة 451\7.



عهد التابعين الذين بدأت فيه فتنة القول بالسنة، وأنها مصدر من مصادر التشريع، وأدلتهم في ذلك كالتالي:

1. أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قد أمر أصحابه بكتابة القرآن الكريم، وحضهم على ذلك، ونهى أصحابه عن كتابة شيء من السنة قولاً كانت أو فعلاً، وذلك قوله - صلى الله عليه وسلم -: "لا تكتبوا عني، ومن كتب عني غير القرآن فليمحه"²¹⁷.
2. أن الصحابة - رضوان عليهم - عرفوا من النبي - صلى الله عليه وسلم - أن السنة ليست شرعاً فأهملوا كتابتها وحفظها، رغم اهتمامهم الشديد بكتابة القرآن المجيد على كل ما يصلح أن يُكتب عليه.
3. أن كبار الصحابة - رضوان الله عليهم - ومنهم الخلفاء الراشدون - كانوا يكرهون رواية الأحاديث، ويحذرون منها، وكان عمر - رضي الله عنه - يهدد رواة الحديث ويتوعدهم، وقد حبس عمر بن الخطاب عدداً من الصحابة بسبب روايتهم للحديث تنفيذاً لوعيده وتهديده إياهم بعدم رواية الحديث.

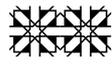
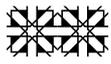
الرد على الشبهة وتفنيدها :

هذه شبهتهم، وتلك أدلتهم عليها، والشبهة ساقطة، وأدلتها أشد منها سقوطاً وافتراءً.

1. أما قولهم بأن الرسول - صلى الله عليه وسلم - نهى عن كتابة الحديث، بينما حضَّ على كتابة القرآن وحفظه، وكان له كتبة القرآن ؛ فقول مبالغ فيه، ويقوم على التديليس وذكر بعض الحق وإخفاء البعض. وليس من شك في أن القرآن المجيد قد لقي من العناية بكتابته وحفظه ما لم يكن للسنة النبوية. فهو مصدر الدين الأول، وهو أعلى من السنة منزلة وقداسة، وهو أحق بالعناية والاهتمام بكتابته وحفظه، لذلك حظي القرآن من العناية بما لم تحظ به السنة وبخاصة تدوينها وكتابتها. والأسباب التي جعلت الصحابة يهتمون بكتابة القرآن فوق اهتمامهم بكتابة السنة كثيرة. منها :

- أن القرآن الكريم محدود بحدود ما ينزل به جبريل على قلب النبي - صلى الله عليه وسلم -، فكتابته والإحاطة به أيسر، وهم على ذلك أقدر، أما السنة النبوية من أقواله - صلى الله عليه وسلم - وأفعاله فكثيرة ومتشعبة تتضمن أقواله وأفعاله اليومية، وعلى مدى ثلاث وعشرين سنة عاشها بينهم، وهذا أمر يشق كتابته وتدوينه، وبخاصة إذا أخذنا في الاعتبار ندرة أو قلة الكاتبين بين الصحابة - رضوان الله عليهم -.

²¹⁷ أخرجه مسلم: كتاب الزهد والرقائق، باب التثبت في الحديث وحكم كتابة العلم 129/18.



- ومنها : أن كتابة القرآن ضرورة يفرضها ويحتمها كون القرآن العظيم وحى الله - تعالى - إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - بلفظه ومعناه، ولا تجوز روايته بالمعنى، أما السنة فتجوز روايتها بالمعنى. وهذا هو الحديث الوحيد الصحيح الناهي عن كتابة الأحاديث النبوية، ووردت أحاديث عديدة صحيحة في الأمر بكتابة الأحاديث النبوية والرخصة فيها. وقد سلك أهل العلم في دفع ظاهر التعارض بين هذا الحديث والأحاديث الأخرى مسالك متعددة : المسلك الأول: مسلك الترجيح لأحاديث الإذن على حديث النهي. فالحديث موقوف على أبي سعيد الخدري،²¹⁸ ، ولا تعارض بين حديث موقوف وأحاديث مرفوعة .

المسلك الثاني : مسلك النسخ ، وهو القول بأن أحاديث الإذن متأخرة عن حديث النهي ناسخة له ، وقد ذهب إلى ذلك ابن شاهين²¹⁹ وآخرون .

المسلك الثالث : مسلك الجمع بينهما وفيه طرائق : قال البيهقي : ((لعله إن شاء الله أذن في الكتابة عنه لمن خشى عليه النسيان ، ونهى عن الكتابة عنه لمن وثق بحفظه ، أو نهى عن الكتابة عنه من خاف عليهم الاختلاط وأذن في الكتابة عنه حين أمن منه))²²⁰.

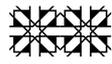
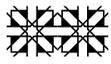
وذكر الزركشي وجوها أخرى في الجمع بينهما فقال : ((أحدها : أن النهي عن الكتابة مخصوص بحياة سيد البشر النبي - صلى الله عليه وسلم - ؛ لأن النسخ يطرأ في كل وقت فيختلط الناسخ بالمنسوخ ، ويشهد له حديث أبي شاه لما أذن له في كتابة الخطبة التي خطب بها النبي - صلى الله عليه وسلم - .

الثاني : أن النهي لئلا يتكل الكاتب على ما يكتب ولا يحفظ فيقل الحفظ .

²¹⁸ ابن حجر:العسقلاني هدي الساري مقدمة فتح الباري، المكتبة السلفية، بدون تاريخ. 208|1

²¹⁹ عمر بن أحمد بن عثمان: ناسخ الحديث ومنسوخه، تحقيق: سمير الزهيرى، مكتبة المنار، الأردن، الطبعة الأولى، 1408 م ص472.

²²⁰ البيهقي: المدخل إلى السنن الكبرى، تحقيق: محمد ضياء الرحمن الأعظمي، مكتبة أضواء السلف الطبعة الثانية، 1420 هـ 2|223.



الثالث : ألا يتخذ مع القرآن كتابا يضاهاى به.²²¹ وهذا الخلاف كان في العصر الأول ، ثم أجمعت الأمة على تسوية كتابة الحديث والعلم ، واستقر الأمر على ذلك²²² .

وأما احتجاجهم بأن الرسول - صلى الله عليه وسلم - نهى عن كتابة غير القرآن، وغير القرآن هو السنة. فإنه كما نهى عن الكتابة، فقد ورد عنه الإذن بها، بل الأمر بها في أحاديث أخر، ولذلك إن لاستدلالهم تدليس، حيث ذكروا حديث النهي، ولم يشيروا إلى أحاديث الإذن وهي كثيرة. منها : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب يوم الفتح فقال " . إن الله حبس عن مكة القتلى - أو الفيل الشك من البخاري - وسلط عليهم رسول الله والمؤمنون .. " ولما انتهى من خطبته جاء رجل من أهل اليمن فقال : اكتب لي يا رسول الله فقال .رسول الله - صلى الله عليه وسلم: (اكتبوا لأبي شاة)²²³ ومنها : ما روي عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أنه قال : " ما كان أحد أعلم بحديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مني إلا عبد الله بن عمرو فقد كان يكتب ولا أكتب"²²⁴ . ومن ذلك ما روي عن عبد الله بن عمرو - رضي الله عنهما - أن بعض الصحابة حدثه فقال : إنك تكتب عن رسول الله كل ما يقول ورسول الله صلى الله عليه وسلم - بشر يغضب فيقول ما لا يكون شرعاً، فرجع عبد الله إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فأخبره بما قيل له، فقال له الرسول - صلى الله عليه وسلم: (اكتب، فوالذي نفسي بيده ما يخرج من فمي إلا الحق)²²⁵ . وهذه الروايات في الصحيح، فإذا ما وازنا بين روايات المنع وروايات الإذن، وجدنا أبا بكر الخطيب - رحمه الله - (ت463هـ) قد جمع روايات المنع فلم يصح منها إلا حديث أبي سعيد، وكذلك فعل غيره "²²⁶ . بينما أحاديث الإذن كثيرة. والصحيح منها كثير، ومنها : إضافة إلى ما سبق أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال في مرض موته : (ائتوني بكتاب أكتب لكم كتابا لا تضلوا بعده)²²⁷ .

²²¹ الزركشي: محمد بن بهادر النكت على ابن الصلاح، تحقيق: زين العابدين بن محمد، مكستبة أضواء السلف 3|1419|559-560.

²²² النووي: شرح النووي على صحيح مسلم 18|190.

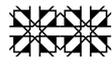
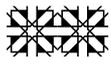
²²³ أخرجه البخاري: كتاب العلم، باب العلم، 1|309.

²²⁴ أخره البخاري: كتاب العلم، باب كتابة العلم 1|313، برقم 113.

²²⁵ أخرجه أبو داود: كتاب العلم، باب كتابة العلم 10|79، برقم 3629، وأحمد: 2|162، والدارمي: المقدمة، باب 43.

²²⁶ الزهراني: د. محمد مطر، تدوين السنة ص76.

²²⁷ أخرجه البخاري: كتاب العلم، باب كتابة العلم، 1|315، برقم 114.



وأما قولهم إن الصحابة - رضوان الله عليهم - قد فهموا من النبي - صلى الله عليه وسلم - أن السنة ليست شرعاً فانصرفوا عنها، ولم يهتموا بكتابتها أو الالتزام بها؛ فهذا من الكذب والمكابرة، فقد كان أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أحرص الخلق على ملاحظة أقوال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأفعاله وحفظها، والعمل بها، بل بلغ من حرصهم على تتبع كل صغيرة وكبيرة وحفظها ووعيمها والعمل بها أن كانوا يتناوبون ملازمة رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، فهذا عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - يحدث عنه البخاري بسنده المتصل إليه. يقول: "كنت وجلي من الأنصار في بني أمية بن زيد - من عوالي المدينة - وكنا نتناوب النزول على رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، ينزل يوماً، وأنزل يوماً، فإذا نزلت جئته بخبر ذلك اليوم، وإذا نزل فعل مثل ذلك"²²⁸ وما كان ذلك إلا لحرصهم الشديد على معرفة سنة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - واتباعها والالتزام بها.

وقد كان الصحابة يقطعون المسافات الطويلة ليسألوا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن حكم الله في بعض ما يعرض لهم. يروي النسائي وأحمد عن عقبة بن الحارث - رضي الله عنه - "أن امرأة أخبرته أنها أرضعته هو وزوجه فركب من فوره من مكة إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بالمدينة. فلما بلغ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - سأله عن حكم الله فيمن تزوج امرأة لا يعلم أنها أخته من الرضاع، ثم أخبرته بذلك من أرضعتهما؟ فقال له النبي - صلى الله عليه وسلم - (كيف وقد قيل؟) ففارق زوجه لوقته وتزوجت بغيره"²²⁹.

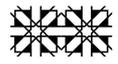
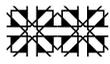
- وأما دعواهم بأن كبار الصحابة - رضوان الله عليهم - كانوا يكرهون رواية الحديث، وكان عمر - رضي الله عنه - يتهدد رواة السنة، وأنه نفذ وعيده فحبس ثلاثة من الصحابة بسبب إكثارهم من رواية السنة؛ فهذا كذب يضاف إلى ما سبق من دعاوهم الكاذبة، وفيه جانب من التدليس الذي لا يخلو عنه كلامهم.

أما أن الصحابة - رضوان الله عليهم - كانوا يكرهون رواية الحديث، فهذا باطل، والحق أنهم كانوا يخشون روايتها ويهابون من ذلك، لعظم المسؤولية، ووعيد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على من يكذب عليه. في قوله - عليه السلام - (من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار)²³⁰. ولقد كان الصحابة - رضوان الله عليهم - بين أمرين هم حريصون على كل منهما: تبليغ دين الله إلى من يلهم من الأمة، والتثبت والتحري الشديد لكل ما يبلغونه عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم -.

²²⁸ أخرجه البخاري: كتاب العلم، باب التناوب في العلم 1|286، برقم 89.

²²⁹ أخرجه النسائي: كتاب مناسك الحج، 5|270، وأحمد: 3|318.

²³⁰ أخرجه البخاري: كتاب العلم، باب إثم من كذب على النبي ص رقم 106.



- وأما دعوى حبس عمر - رضي الله عنه - ثلاثة من أصحابه هم : عبد الله بن مسعود، وأبو ذر، وأبو الدرداء - رضي الله عنهم - ؛ فهذه رواية ملفقة كاذبة، جرت على الألسنة، وقد تولى تمحيص هذه الدعوى الكاذبة الإمام " ابن حزم " - رحمه الله - في كتابه : " الإحكام " فقال : " إن الخبر في نفسه ظاهر الكذب والتوليد، لأنه لا يخلو : إما أن يكون عمر اتهم الصحابة، وفي هذا ما فيه. أو يكون نهى عن نفس الحديث وتبليغ السنة وألزمهم كتمانها وعدم تبليغها، وهذا خروج عن الإسلام، وقد أعاذ الله أمير المؤمنين من كل ذلك، وهذا قول لا يقول به مسلم، ولئن كان حبسهم وهم غير متهمين فلقد ظلمهم، فليختر المحتج لمذهبه الفاسد بمثل هذه الروايات أي الطريقتين الخبيثتين شاء. " ²³¹.

الشبهة الرابعة : ((إن الكتاب المجيد ذكر كل شيء يحتاج إليه في الدين مفصلاً ومشروحاً من كل وجه ، فما الداعي إلى الوحي الخفي وما الحاجة إلى السنة)) ؟ ويقولون: ((كتاب الله كامل مفصل لا يحتاج إلى الشرح ولا إلى تفسير محمد - صلى الله عليه وسلم - له وتوضيحه إياه أو التعليم العملي بمقتضاه)) ²³².

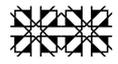
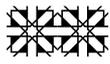
الرد على الشبهة وتفنيدها : هذا كفر بالقرآن الذي يزعمون الانتساب إليه لأن الله يقول الله - تعالى -: { وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم } فموضع الرسول - صلى الله عليه وسلم - من القرآن موضع البيان له، فمن كذب ذلك فقد كذب نص القرآن . ومفهوم كتاب الله عند أهل العلم والإيمان يختلف عن مفهوم الكتاب عند هذه الفرقة المشبوهة . حيث يطلق عند أهل العلم والإيمان على معنيين : روى الشيخان من حديث أبي هريرة وزيد بن خالد قال : كنا عند النبي - صلى الله عليه وسلم - فقام رجل فقال : أنشدك الله إلا ما قضيت بيننا بكتاب الله فقام خصمه وكان أفاقه منه فقال : اقض بيننا بكتاب الله وائذن لي : قال : قل ، قال : إن ابني كان عسيفاً على هذا فزني بامراته فافتديت منه بمائة شاة وخادم، ثم سألت رجلاً من أهل العلم فأخبروني أن على ابني جلد مائة وتغريب عام ، وعلى امرأته الرجم فقال النبي - صلى الله عليه وسلم - : والذي نفسي بيده لأقضين بينكما بكتاب الله جل ذكره ، المائة شاة والخادم رء ، وعلى ابنك جلد مائة وتغريب عام ، واغد يا أنيس على امرأة هذا فإن اعترفت فارجمها فاعترفت فرجمها ²³³.

وفي هذا الحديث طلب الخصمان من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن يحكم بينهما بكتاب الله وأجاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى ذلك وحلف ليفعلن ، والحكم الذي حكم به بينهما هو

²³¹ ابن حزم: الإحكام 2|193. وراجع السنة ومكانتها من التشريع: 66.

²³² مجلة إشاعة القرآن ص 49 العدد الثالث سنة 1902،

²³³ أخرجه البخاري: كتاب الأيمان والندور، باب كيف كانت يمين النبي ص 6820، ومسلم: كتاب الزنى باب ما حد الزنى 1697|1698.



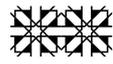
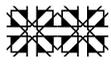
رد مائة الشاة والخادم وجلد مائة وتغريب عام على الزاني ورجم الزانية ، وليس الرجم ولا التغريب ولا ردّ مائة الشاة والخادم منصوصا عليهما في القرآن المنزل ، مع أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أطلق على هذا الحكم أنه كتاب الله أي حكم كتاب الله .

الخاتمة : ففي ختام هذا البحث الذي عمد الباحث فيه إلى الدفاع عن السنة النبوية المطهرة التي تتعرض لهجمات كبيرة، سواء من المستشرقين أو من بعض أبناء جلدتنا بل وممن يتكلمون بلساننا؛ (لغة هوسا في شمال نيجيريا) ممن يسمون بالقرآنيين ، الذين أثاروا عدة شبهات حول حجية السنة النبوية وما يتعلق بها، وقد اقتصر الباحث الرد على الشبهات التي قال بها هؤلاء ابتداء وما زالوا يقولون بها، وتمت مناقشتها على ضوء الكتاب والسنة وكلام أهل العلم المعتد بهم ، وتبين أن هذه الشبهات سبقوا إلى معظمها من منكري السنة قديماً وحديثاً ، فمقولة " حسبنا كتاب الله " هي مقولة الخوارج القدامى ، وإثارة قضيتي تأخر تدوين السنة وروايتها بالمعنى سبقهم إليها المستشرقون ، إلا أن القرآنيين المعاصرين تميزوا بالجهل المطبق بالسنة عموماً وبكلام أهل العلم في علومها ، وتميزوا أيضاً بالجرأة وقلة الأدب في رد السنة ، كما أنهم انفردوا بإنكار السنة العملية المجمع عليها وإسناد أمر التشريع إلى مركز الملة عندهم بعد استبعاد الرسول من ذلك المنصب ، والتصريح بأن طاعته لا تلزمهم في هذا العصر، وتناول البحث حكم منكر السنة في الإسلام ، وبيان جهود من سبقونا إلى الدفاع عن السنة .

وقد اتضح من خلال البحث أن القرآن لا يمكن فهمه فهماً سليماً بمعزل عن السنة ؛ لأن الله وضع رسوله - صلى الله عليه وسلم - موضع البيان من القرآن ، وذلك البيان يشمل اللفظ والمعنى ، فإذا كان بيان المعنى نهياً مشاعاً لكل ملحد وكان الرسول - صلى الله عليه وسلم - معزولاً عن تلك الولاية ، فما جدوى تشدقهم بأن الله تكفل بحفظ القرآن ، فهل هذا هو الحفظ المطلوب والمجدي ؟ أما تدوين الحديث فقد بدأ في عهد الرسول - صلى الله عليه وسلم - وكان بعض الصحابة يكتبون الحديث بإذن من النبي - صلى الله عليه وسلم - ، وكانت النسخ والصحف منتشرة في عهود الصحابة والتابعين وتابعي التابعين ، وهي مصادر الكتب الستة التي يوجه القرآنيون طعونهم إليها بوجه خاص . ويأمل الباحث أن يكون من خلال بحثه هذا قد استطاع أن يوضح هذه الحقائق فضل توضيح . والله من وراء القصد، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

النتائج: أنتج الباحث على جملة من الحقائق والنتائج، أهمها:

أولاً : كل الشبهات التي أثبتت حول السنة النبوية المطهرة ظاهرة البطلان بطريقي النقض والمعارضة.



ثانياً: هذه الحركة بجميع طوائفها خارجة عن الإسلام، وإن زعمت لنفسها الإسلام، وانتسبت إلى القرآن. وإن انتسبها إلى القرآن باطل، لأنها كفرت بالقرآن في نفس اللحظة التي كفرت فيها بالسنة، فإنه لا تفرقة بين القرآن والسنة، فهما يخرجان من مشكاة واحدة، هي مشكاة الوحي الإلهي المعصوم.

ثالثاً: يتضح من كل ما تقدم أن هدف هؤلاء، والغاية التي يسعون إلى تحقيقها هو القضاء على الإسلام وتفريق الأمة المسلمة. وأن انتسابهم إلى القرآن إنما هو ستار يتخفون وراءه ليزاولوا تحت شعاره أنشطتهم الهدامة، وحركاتهم التخريبية.

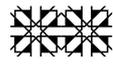
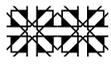
رابعاً: لا يمكن الاستغناء عن السنة النبوية بحال من الأحوال لأنها كالمذكورة التفسيرية للقرآن الكريم، فهي المبينة لمجمله، الموضحة لمشكله، المقيدة لمطلقه، المخصصة لعامه، وهي التطبيق العملي للقرآن الكريم.

المقترحات

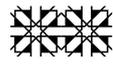
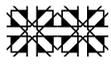
1. يقترح الباحث على الباحثين والباحثات مزيداً من متابعة الشبهات التي يثيرها القرآنيون ومن على شاكلتهم وبيان أن منطلقاتهم وأهدافهم واحدة.
 2. نشر الرد على هذه الشبهات وترجمته إلى اللغات الأخرى على مواقع التواصل الاجتماعي بأسلوب مركز سهل العبارة يفهمه جميع المتصفحين.
- وفي الختام أسأل الله العلي القدير أن يكون هذا العمل خالصاً للوجه الكريم، وما كان من توفيق فمن الله وحده، وما كان من خطأ فمن نفسي والشيطان، وصل اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

المصادر والمراجع

- الأمدي: أبو الحسن سيد الدين (ت:631هـ) الإحكام في أصول الأحكام، ت: عبد الرزاق عفيفي، المكتبة الإسلامي بيروت لبنان.
- الإيجي: عضد الدين (ت:656هـ)، المواقف تحقيق: د. عبد الرحمن عميرة، الناشر: دار الجيل بيروت، الطبعة الأولى 1996م.
- البخاري: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل الجعفي (ت:256هـ)، صحيح البخاري، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع/1420هـ-2000م.



- البهقي أحمد بن الحسين (المتوفى: 458هـ)، السنن الكبرى، تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الثالثة، 1424 هـ - 2003 م.
- التهاوني: محمد بن علي بن القاضي الحنفي: (1158هـ) موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، ت: د. علي دحروج، مكتبة لبنان ناشرون بيروت، الطبعة الأولى 1996م،
- الترمذي محمد بن عيسى، (المتوفى: 279هـ)، سنن الترمذي، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر ومحمد فؤاد عبد الباقي وإبراهيم عطوة عوض، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي - مصر، الطبعة: الثانية، 1395 هـ - 1975 م.
- ابن الجوزي: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، (ت: 597هـ) زاد المسير في علم التفسير دار ابن حزم المكتب الإسلامي الطبعة الأولى 1423 هـ 2002 م
- الحاكم: أبو عبد الله، محمد بن عبد الله النيسابوري، (المتوفى: 405) المستدرک على الصحيحين، دار الكتب العلمية. بيروت - لبنان
- ابن حجر: أحمد بن علي العسقلاني، هدي الساري مقدمة فتح الباري، المكتبة السلفية.
- ابن حجر: أحمد بن علي العسقلاني (ت: 852هـ): فتح الباري شرح صحيح البخاري دار السلام الرياض.
- ابن حزم: علي بن أحمد بن سعيد، (المتوفى: 456هـ)، الإحكام في أصول الأحكام دار الآفاق الجديدة، بيروت، الطبعة الثانية، 1403 هـ.
- أبو داود: سليمان بن الأشعث السجستاني (المتوفى: 275هـ)، سنن أبي داود. ضبط وتعليق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر. الطبعة الأولى، (1430 هـ - 2009 م).
- الزركشي: محمد بن بهادر، النكت على ابن الصلاح، تحقيق: زين العابدين بن محمد، مكتبة أضواء السلف 1419هـ.
- الزهراني: د. محمد مطر، تدوين السنة.
- زينو: علي محمد، القرآنيون، نشأتهم عقائدهم ادلتهم، دار القبس، دمشق، الطبعة الأولى، 1432 هـ 2011 م.
- السباعي: مصطفى بن حسني (ت: 1384هـ) السنة ومكانتها في التشريع، المكتب الإسلامي بيروت لبنان الطبعة الثالثة 1412 هـ 1982 م.
- عمر بن أحمد بن عثمان: ناسخ الحديث ومنسوخه، تحقيق: سمير الزهيري، مكتبة المنار، الأردن، الطبعة الأولى، 1408 م.



- القرطبي: أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري الجامع لأحكام القرآن ت: أحمد البردوني دار الكتب المصرية القاهرة الطبعة الثانية. ، 1384هـ 1964م.
مجلة إشاعة القرآن العدد الثالث سنة 1902م.
مسلم: أبي الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، صحيح مسلم، الناشر مكتبة نزار مصطفى الباز، الطبعة الأولى 1، 1425هـ- 2004م.
النووي: يحيى بن شرف محيي الدين النووي، شرح النوو على صحيح مسلم . ، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الثالثة، 1404هـ
النسائي: أحمد بن شعبي، السنن الكبرى، الطبعة الأولى دار الكتب العلمية- بيروت، 1406هـ
أبو يعلى: القاضي محمد بن الحسين بن خلف ابن الفراء، (458هـ) العدة في أصول الفقه، تحقيق: د. أحمد بن علي بن سير المباركي، الطبعة الثانية، 1411هـ 1991م.



المراكز المشعة للفكر الإسلامي وتعاليمه في غربي أفريقيا جنوب الصحراء

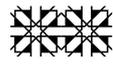
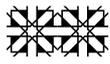
والدكتور: توفيق أبوبكر حسين
مركز الحضارة الإسلامية وحوار الأديان
جامعة بايروكنو نيجيريا
tabubakar.isl@buk.edu.ng

الدكتور: سعيد أحمد خالد
Islamic Dept. Federal University Gusau
Abukhadijah07@gmail.com

الملخص

إن لإفريقية تاريخ حافل بالعلم والتعليم منذ القديم ولعل أبرز ما يميز هذه المنطقة عن غيرها في الرسوخ العلمي والثقافي وجود مراكز علمية أشاعت الفكر الإسلامي وحضارته وحتى لا تكاد تجد بلدة إفريقية على عموم دول الساحل إلا ولها صلة بالتعليم الإسلامي على مستويين السياسي والاجتماعي، ولقد حظي الإسلام وتعليمه بحاضنه اجتماعية مكنته من الأخذ بزمام المبادرة مما جعل الملوك والأمراء مقبلين عليه و متمسكين به، ومما زاد تلكم المراكز إشعاعا، وفود علماء ذائعي الصيت إليها واتخاذهم التكايا والزوايا لنشر الدعوة والتعليم حتى بلغ الأمر إلى وجود جامعات تكاد يصل ثقلها التاريخي ذلك لذي عرف في العصر الذهبي للخلافة الإسلامية ففي هذا البحث يحاول الباحثان الجثو أمام هذه الحقائق التاريخية وإبرازها للدارسين لنعرف الدور الذي لعبته هذه المراكز مما جعل المؤرخون يعتقدون أنها النواة الأولى التي حافظت على الإسلام في جنوب الصحراء وأحكمت السيطرة على النظام التعليمي، أضف إلى ذلك تحقيق المد الحضاري إلى عمق القارة الإفريقية وبالأخص غرب أفريقيا جنوب الصحراء.

المقدمة



الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا ونبينا محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم اما بعد فإن تاريخ الحضارة الإسلامية والتعليم الديني المائل في غربي أفريقيا لجدير بالدراسة والتنقيب خاصة وأن أفريقيا تعتبر حاضنة للثقافة الإسلامية والتعليم الديني منذ القديم وإلى اليوم وان شعوب المنطقة على امتداد الساحل يعتبرون الحضارة الإسلامية ملكهم الخاص حتى لا يكاد يميزون ما بين الموروث الثقافي لقبائلهم وما هو متأصل في الإسلام وحضارته وذلك لامتزاج الملموس بين الثقافتين وذلك يرجع إلى الدمج ما بين الدين وثقافة المنطق وفي هذه العجالة يحاول البحث المرور على محطات تلك الرحلة التي خطاها الإسلام وحضارته العلمية جزورا وامتدادا للوصول على جمالية هذا التنسيق الجميل والثراء الثقافي والعلمي ما بين السودان الغربي والشمال الأفريقي منذ دخول الجمل إلى صحراء الأفريقية الغربية إلى عصر تدشين المراكز المشعة للفكر الإسلامي والتي تعبر الشعلة الأولى والتي عم ضوئها لأفريقية الغربية وأحدثت هذا التغيير الذي نشاهده وهذه الحاضنة الاجتماعية التي يتمتع بها الإسلام إلى يومنا هذا ويكون البحث على الفقرات مرورا إلى الخاتمة والاستنتاجات والتوصيات

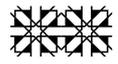
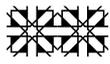
الفقرة الأولى: التعريف بأفريقيا ورحلتها مع الإسلام :

أفريقيا من أعظم القارات ، وكانت في القديم تطلق على جزء صغير مما أطلقت عليه اليوم . يقول أبو عبيد البكري المتوفى سنة 487هـ «وحد أفريقية ، طولها من برقة شرقا إلى طنجة الخضراء غربا واسم طنجة موريتانيا وعرضها من البحر إلى الرمال التي هي حدود السودان»²³⁴ ويقول الشيخ الأمين محمد عوض أفريقية سماها العرب المغرب الأدنى ، لأنها أقرب إلى بلاد العرب ، وتمتد من طرابلس شرقا حتى بجاية وتأهت غربا «²³⁵ .

وواضح أن هذه التسمية قاصرة ، إذ لا تنطبق على المفهوم الحالي للقارة ، ويتهيأ لي ، خلال متابعة وسائل الإعلام ، أن كلمة (أفريقي) تطلق فيها وكذلك عند بعض شعوب القارة ، ويقصد بها غير سكان الشمال ، مع أن التسمية نشأت من هناك ، وعمت القارة تدريجيا على طول رحلة التاريخ عبر القرون هذا واختلف المؤرخون في مصدر هذه التسمية : « فقال قوم سميت بأفريقيا لأن أفرقس بن أبرهة بن الرايش غزا نحو الغرب حتى انتهى إلى طنجة من أرض البربر ، وسميت باسمه وقيل سميت

²³⁴ البكري - المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب ص 2

²³⁵ الشيخ الأمين محمد عوض الله ، العلاقات بين المغرب الأقصى والسودان الغربي في عهد السلطنتين الإسلاميتين مالي وسنغي ، دار المجمع العلمي بجدة .



بأفريق بن إبراهيم عليه السلام ، وقال قوم : إنما سموا الأفارقة وبلادهم أفريقية ، لأنهم من ولد فارق بن مصمير»²³⁶. وعن البيزنطيين فيما بعد أخذ العرب لفظ أفريقيا²³⁷.

الإسلام في أفريقيا

طرق الإسلام أبواب أفريقيا في وقت مبكر جدا، فقد كانت أول هجرة يقوم بها المسلمون إلى أرض أفريقيا ، إلى الحبشة " وكان ذلك قبل انتشار الإسلام في مكة المكرمة مهبط الوحي بصورة كافية بله المناطق الأخرى من جزيرة العرب .

طرق انتشار الإسلام في أفريقيا

انتشر الإسلام في القارة عن طرق متعددة ، وسنتبع هذا الدين العظيم في رحلته التاريخية من مدخل مصر الذي سيقودنا إلى شمال أفريقيا وإلى الأقاليم الواقعة جنوب الصحراء الكبرى حتى المحيط الأطلسي غربا فتح مصر افتتح عمرو بن العاص مصر في عهد أمير المؤمنين عمر الفاروق - رضي الله عنه - سنة 18 أو 19 هجرية (عام 639 ميلادي) ، فأخذ الإسلام ينتشر فيها بسرعة ويمدها بأنماط جديدة من الحياة والحضارة²³⁸.

وكانت مصر ، وشمال أفريقيا أنداك ، تحت سيطرة البيزنطيين ، ف وقعت معارك بينه وبينهم انتهت إلى هزيمتهم ، ثم خروجهم من مصر التي اتخذت قاعدة الانطلاق لنشر الإسلام في اتجاه الغرب وحمل لوائه إلى أعماق القارة . وكان الروم قد تسللوا إلى الساحل الشمالي لأفريقيا في وقت مبكر، حيث قضوا على مملكة الفينيقيين عام 146 ق . م ، التي اتخذت من تونس قاعدة لها وبنوا فيها مدينة قرطاجنة عام ٨٨٤ أو ٨٨٠ قبل الميلاد²³⁹ والفينيقيون جاءوا إلى شمال أفريقيا من الشام ، ومن لبنان ، وكانوا بحارة وتجارا²⁴⁰ ..

الاستقرار في شمال أفريقيا وبناء القيروان :

عين معاوية بن أبي سفيان عقبه بن نافع واليا على أفريقيا سنة 50 هـ ، وكان أول وال على أفريقية لا يقيم في مصر وقد بنى مدينة القيروان في تونس الحالية ، صارت هذه المدينة كعبة للعلم وقامت بدور بارز في نشر الثقافة الإسلامية في المغرب ، وإنشائها يعتبر بداية تاريخ الحضارة الإسلامية في غرب أفريقيا عامة وفي شمالها خاصة ، فإلى جانب الجيوش والسرايا التي تنطلق منها لنشر الإسلام

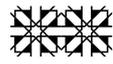
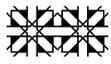
²³⁶ العمري ، المسالك والممالك ص 21

²³⁷ اللواء محمود شيت خطاب ، قادة الفتح الإسلامي بالمغرب العربي ص 13 - 14

²³⁸ الدكتور / عيسى عبد العظيم ، الدعوة الإسلامية في غرب أفريقيا وقيام دولة الفلاني ص ٢

²³⁹ محمد بيللو الفتوي ، مناقب أفريقيا في الإسلام ص 15

²⁴⁰ اللواء محمود شيت خطاب مصدر سابق ص ١٠٦ .



في اتجاه الغرب والجنوب الغربي كان الفقهاء يخرجون منها وينتشرون في البلاد يعلمون أهلها العربية وينشرون الإسلام ، ولم يكد يمضي القرن الأول الهجري حتى انتشر الإسلام في شمال أفريقيا وتحمس البربر له ، بفتح الأندلس سنة ٩٢ هـ وقد ازدهر الإسلام فيها منذ ذلك التاريخ وبلغت حضارته شأوا بعيدا ، ولازالت آثار المسلمين فيها ماثلة للعين حتى يومنا هذا ، رغم ما تعرضت له من عنف الكنيسة الكاثوليكية و وحشيتها بعد سقوط غرناطة آخر معقل إسلامي في الأندلس ٨٩٧ هـ / ١٤٩١ م²⁴¹.

الإسلام جنوب الصحراء الكبرى

يقول الدكتور زغلول : بعد فتح برقة تأتي حملة عقبة بن نافع في الصحراء الجنوبية حتى بلغ «زويلة» ، وصار ما بين برقة وزويلة للمسلمين ، ولا نعرف إن كان ذلك يعني أن تلك الفتوحات تمت بعد أن ترك عمرو برقة سنة ٢٢ في اتجاه طرابلس ، أم بعد عودته من هذه الغزوة إلى مصر سنة ٢٣ هـ²⁴² . ومن هذا النص التاريخي ترى أن الإسلام وصل إلى الصحراء الكبرى في وقت مبكر جدا ، لأن هذه الصحراء متصل بعضها ببعض وأن الواحات المبعثرة في أرجائها لم تكن منفصلة ولا مقطوعة عن شمالها بل متداخلة بينها ومتفاعلة مع الشمال والجنوب ، فهي في الحقيقة همزة وصل بين الشعوب القاطنة جنوبها والتي تعيش في شمالها .

وجد عقبة بن نافع يخرج من غدامس سنة ٦٦٢ مخترقا بلاد هوارة في اتجاه ودان ، فيسأل هناك عما وراءه فيدل على مدينة جرمة عاصمة الحرميين ، وقاعدة فزان يومئذ ، وبلاد فزان تعتبر باب السودان ، ومن فزان يذهب إلى إقليم كوار ، وعاصمته خوار ، وهي مدينة جيدة التحصين على ظهر جبل ، وامتنعت عليه بعد حصار دام شهرا ثم تركها ليعود إليها ويفتحها²⁴³ .

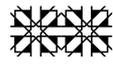
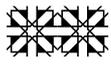
ومنذ تلك الفتوحات التي تمت في شمال أفريقيا وتغلغلت في الصحراء الكبرى ، بدأ الإسلام ينتشر تدريجيا نحو الجنوب لأن اتصال الشعوب بين طرفي هذه الفيافي لم ينقطع في أية فترة من فترات التاريخ وخاصة دخول الجمل إلى الصحراء عند بداية القرن الثالث الميلادي فأصبح أهم وسيلة في الترحل والتجارة بين المغرب وما يقع إلى الجنوب منه»²⁴⁴ لقد قامت هجرات منتظمة واسعة نحو

²⁴¹ الشيخ الأمين محمد عوض الله ، مرجع سابق ص 37

²⁴² د - سعد زغلول عبد الحميد تاريخ المغرب العربي ص ٨٣ - ٨٥

²⁴³ د . سعد زغلول مصدر سابق ص ١٤٠ بتصرف للترتيب مع محمود شيث ص 68

²⁴⁴ د . محمد الغربي : بداية الحكم المغربي في السودان الغربي ص ٢٨



الجنوب ونحو الصحراء وما وراءها من مختلف القبائل البربرية ، قطعت الصحراء ووسط النيجر
وغانة²⁴⁵

قدم الإسلام في السودان الغربي والأوسط :

والإسلام قديم في السودان الغربي والأوسط ، ولم يكن المرابطون الذين قاموا بنشر الدعوة الإسلامية في القرن الحادي عشر الميلادي هم الذين أدخلوا الإسلام في تلك البلاد لأول مرة . وقد كثرت هجرة المسلمين بعد ظهور السودان الغربي ولم تدم امبراطورية الصوصو ولاسومانجورو نفسه فقد أجهز عليها ماري جاطة سنديا تاكيتا بعد موقعة حربية فاصلة سنة ١٢٣٥ م في (كيرينا) ، وفي عام ١٢٤٠ م نجح في تدمير الباقي من كومي صالغ عاصمة غانة ، وقد اشتهر أهل غانة ، وأغلبهم من السوننكي بحماسةهم للإسلام وبالذور الذي نهضوا به في الدعوة إليه ، وأثر سنديا تاكيتا ألا يفاجيء المسلمين الذين أجفلوا من كومي صالغ أمام غزو الصوصو من قبل ولجأوا إلى ولاته فتركهم وشأنهم²⁴⁶ .

الفقرة الثانية : تاريخ الإسلام وعلاقته مع الدول المنطقية

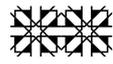
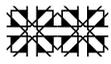
أولا: امبراطورية مالي :

وبعد معركة كيرينا حوالي عام ١٢٣٥ م بدأت امبراطورية مالي التي قدر لها أن تقوم بدور قيادي في المد الإسلامي وبلورته على رقعة واسعة من غرب أفريقيا تضم جمهورية مالي الحالية والسنغال الشرقي وشمال غينيا وشمال كل من فلتن العليا « بوركينافاسو » والداهومي « بنين » والجنوب الأقصى من جمهورية موريتانيا الإسلامية ، وكان لشعب الماندينجو الفضل في هذا العمل التاريخي العظيم ، ويذكر المؤرخون أن أول من أسلم منهم ملك اسمه «برامندنه» وحج ، واتبع سنته في الحج ملوكهم من بعده²⁴⁷ وقد زار الرحالة المغربي ابن بطوطة مالي في القرن الرابع عشر الميلادي أيام منسا سليمان ١٣٥٢ م وذكر بعض محاسن أهل مالي فقال : « فمن أفعالهم الحسنة قلة ظلمهم .. ومنها شمول الأمن في بلادهم ، فلا يخاف المسافر فيها ولا المقيم من سارق ولا غاصب ... ومنها

²⁴⁵ محمد الغربي المصدر السابق ص ٢٩

²⁴⁶ نفس المرجع ص 55

²⁴⁷ الشيخ عوض مرجع سابق ص 50



مواظبتهم للصلوات وهم يجعلون لأولادهم القيود إذا ظهر في حقهم التقصير في حفظ القرآن ، فلا تفك عنهم حتى يحفظوه»²⁴⁸

سقوط مالي :

بدأ الوهن يدب في امبراطورية مالي منذ بداية القرن السادس عشر الميلادي فاقتطعت منها مناطق شاسعة .. وفي النصف الثاني من نفس القرن تمكنت إحدى الممالك النامية ، وهي سنغي أن تبسط نفوذها نهائيا على أراضي الامبراطورية جميعها ، وتقيم على أنقاضها امبراطورية جديدة كانت أكثر منها تفتحا على الخارج ، فنالت من أسباب القوة والازدهار أكثر مما وصلت إليه مالي²⁴⁹

رحلة مع دولة سنغي من المملكة إلى الامبراطورية:

قامت دولة سنغي في القرن السابع الميلادي ، واستمرت تقوى حتى القرن السادس عشر الميلادي ، ثم دخلت في طور الضعف نتيجة أسباب كثيرة حتى انتهى وجودها بحملة سلطان المغرب أحمد المنصوري الذهبي عام ١٥٩١ م ، وأصبحت مدينة «جاو» عاصمة لسنغي عام ١٠٠٩ ، وقبل ذلك كانت العاصمة مدينة «كوكيا» على نهر النيجر الأدنى بين «جاو» وتيلابيري²⁵⁰ وحكمت سنغي في البداية عائلة (زا) ويظن أنها قدمت من منطقة طرابلس الحالية ، وفيها كانت الزعامة لقبائل لمتة وهوارة . وقد سكنت جهات النيجر في زمن قديم ... ثم انتقل الحكم إلى عائلة سني وهي امتداد لعائلة (زا).

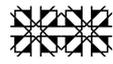
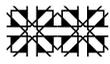
ودخلت سنغي في طور الامبراطورية من عهد سني علي بيدي عام 1465م.... ثم اتسعت خلال عهد الحاج أسكيا محمد الكبير الذي استلم الحكم بثورة عقب وفاة سني على بيدي مباشرة سنة 1493م ، ويعتبر تسنم أسكيا محمد عرش سنغاي بداية عهد انتظام المملكة وازدهارها واتساعها حتى شملت كل أراضي امبراطورية مالي ، فشرقت واستولت على شمال نيجيريا حتى كانوا وعلى منطقة آبير ، ووصلت إلى بلاد الماندينجو والفلان غربا ، وإلى جنوبا ، ومواطن الطوارق شمالا²⁵¹ فنالت من أسباب القوة والازدهار ، فقد كانت - وإلى حين سقوطها - أكثر الممالك الإسلامية الكبرى الغرب الأفريقي تطبعا بمفاهيم الإسلام ، وسجل لها المؤرخون اهتماما كبيرا بنشر العلم وتشجيع التعليم

²⁴⁸ ابن بطوطة ، الرحلة ص ٢٠٣ - ٢٠٤

²⁴⁹ الشيخ عوض مرجع سابق ص ٢٢٣

²⁵⁰ عبد القادر زيادية ، مملكة سنغاي في عهد الأسقيين ص ٢٥ - ٢٦ الشركة الوطنية - الجزائر -

²⁵¹ نفس المرجع ص ٢٦ .



وازدهرت فيها الثقافة الإسلامية وانتشرت اللغة العربية فصارت جميع المعارف تدرس بها كما أصبحت لغة رسمية في الدواوين، وكانت خطب الجمعة تلقى بها ثم تليها ترجمة باللغة المحلية²⁵²

الفقرة الثالثة: بعض المراكز الإسلامية المشعة للفكر الإسلامي في غرب أفريقيا :

كان من عادة المسلمين منذ الفتح إقامة المساجد أني استقر بهم المقام ، وكان أول بناء أقامه عمرو بن العاص عند فتح مصر مسجده بالفسطاط، وكذلك فعل عقبة بن نافع الفهري عند بنائه القيروان ، ولم تشيد المساجد لأداء الصلاة في أوقات محدودة فحسب ، ثم تغلق وتهجر حتى يحين وقت أداء الصلاة مرة أخرى ، كما صارت عليه مساجد اليوم ، وإنما كانت أمور المسلمين تناقش ويبت فيها في مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم ، وكان القرآن وجميع العلوم التي تطرق إليها العلماء المسلمون تروى وتدرس ، وتناقش وتدور حولها المناظرات في المساجد ونرى مساجد أفريقيا قد جرت في نفس المضمار ، وسارت على نفس النهج ، وكان المسجد في القيروان مثلا ، هو المحور و مركز الإشعاع ، وفيه حلقات للدروس الإسلامية وغيرها²⁵³ .

وقد فقد القيروان الكثير من فعاليته بعد أن دفع الفاطميون بعرب بني هلال وبني سليم إلى أفريقيا ، فعاثوا فيها فسادا وقتلا وتدميرا ، إلا أنهم كانوا عاملا مساعدا على نشر اللغة العربية في الشمال الأفريقي ، وفي مجاهل الصحراء ونتيجة لغارات هؤلاء الأعراب انهارت حضارة أفريقيا ، ونزح العلماء للمغرب الأقصى وانتقلت معهم الثقافة الإسلامية واستقرت في فاس خاصة وفقدت القيروان أهميتها كمركز إشعاع للحضارة الإسلامية²⁵⁴ .

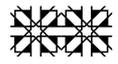
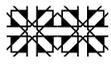
فاس :

احتلت جامعة القرويين بفاس مكان الصدارة والتقطت الزمام ، وقادت حركة العلم والثقافة في شمال أفريقيا ، فلم تلبث أن أصبحت مدينة من مدن العلم المشهورة في تاريخ الثقافة الإسلامية ، وكعبة يحج إليها الطلاب من كل البقاع ، ويقال إن عدد مساجدها بلغ في عهد المنصور وولده الناصر سبعمائة واثنين وثمانين مسجدا هذا وإن كان العدد الهائل قد بني في هذه المدينة التي أسسها المولى إدريس عام ١٩٢ هـ/ ٧٢٦ م فإن أهم هذه المساجد هو الذي أطلق عليه بحق (جامعة القرويين) الذي بنته سيدة فاضلة عام ٢٤٥ هـ / 859 م ، ولم تلبث هذه الجامعة أن ذاعت شهرتها ، وأمست من أقدم جامعات العالم وسبقت الأزهر، فقصدها طلاب العلم من الآفاق المغربية ومن الأندلس

²⁵² الشيخ عوض مرجع سابق ص ٢٢٣

²⁵³ الدكتور/ عيسى عبد العظيم مرجع سابق ص ٧

²⁵⁴ الشيخ عوض مرجع سابق ص ٢٢٧



وأفريقيا لتلقي علوم التفسير والحديث والفقه والأصول وعلم الفلك والطب والهندسة وعلوم العربية من لغة وشعر وآداب²⁵⁵.

الأزهر الشريف :

أما الأزهر الشريف ، فقد أنشئ في القاهرة التي يقول المقرئ عنها ، كان تأسيسها بتاريخ يوم السبت ٢٣ من جمادى الثانية عام 359هـ ويجب بالتأكيد تصحيح رقم ٢٣ برقم 13 مما يعطي تاريخ يوم السبت ٢٨ أبريل ٩٧٠ ميلادي (٢٦) وقد تأسست القاهرة والأزهر في وقت واحد بناهما جوهر الصقلي. وقد ظل الأزهر طوال عشرة قرون أو تزيد يزود عن لغة القرآن الكريم وبيث حضارة الإسلام على اتجاهات مختلفة شرقا وغربا وجنوبا وشمالا ، وبرزت أهميته القصوى ، دينية ، ولغوية ، أيام المحن والفتن والقلال التي اجتاحت العالم الإسلامي وتولى كبرها التتار من الشرق والصليبيون من الغرب ، حيث أوى إليه حملة العلم يسهمون في تعليمه وطلاب المعرفة ينهلون من معينه ، واستطاع العلماء بجهودهم الضخمة وإخلاصهم للواجب إعادة ما تبدد من التراث الإسلامي في دجلة فانكبوا على الدرس والتأليف على الرغم من قلة الإمكانيات في جو منفتح على كل الثقافات²⁵⁶.

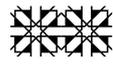
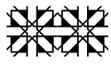
تنبكتو:

بناء على أقوال الرواة ، فإن بداية تنبكتو كانت في أوائل القرن الحادي عشر الميلادي ، من قبل الطوارق الذين أقاموا فيها مخزنا للبضائع واستقر فيها كثير من التجار والعلماء المسلمين الذين كانوا في « ولاتة وتوسعت المدينة بسرعة ، ويقول صاحب تاريخ السودان : « وكانت مدينة إسلامية منذ نشأتها ، ما دنستها عبادة الأوثان ، وما سجد على أديمها لغير الرحمن »²⁵⁷ . وفي عام ١٣٢٤م احتلها امبراطور مالي منسا موسى أثناء عودته من الحج . وفي عام ١٤٣٣م أصبح الطوارق مرة أخرى سادتها ، ثم احتلها سني علي بيبري زعيم سنغي عام ١٤٦٩م ، ومنذ ذلك الحين بقيت في حوزة امبراطورية سنغي حتى سقوطها سنة 1591م ، وقد اشتهرت تنبكتو بحركتها الثقافية على النمط الإسلامي في السودان الغربي كله ، وذلك طيلة أيام مالي وسنغي ، وفيها كما في القيروان وفاس والقاهرة «مسجد جامعة» إذ إنها لم تشذ عن هذه القاعدة ، فرغم كثرة مساجدها ، فإن جامع « سنكري أو كما يقول الشيخ الأمين محمد عوض « فإن جامعة سنكري التي تأسست في

²⁵⁵ نفس المرجع ص ٢٠٧

²⁵⁶ ليون الأفريقي وصف أفريقيا ، ترجمة الدكتور عبد الرحمن حميدة من الفرنسية إلى العربية ، جامعة الإمام محمد سعود الإسلامية ص 579 الهامش ، الملاحظة رقم 71

²⁵⁷ الشيخ عوض مرجع سابق ص ٢١١



تنبكتو عام ١٤٥٠ م ٨٥٤ هـ كانت مركز إشعاع فكري بعيد المدى ومنارة للعلم في بلاد السودان . ولا تقل في مستواها عن قرطبة أو الأزهر أو جامعة القرويين بفاس ، وكان الأساتذة الزائرون يحضرون إليها من مختلف أنحاء العالم الإسلامي»²⁵⁸

وفي عهد سنغي قامت تنبكتو بأهم دور ثقافي في تاريخ الإسلام في غرب أفريقيا ، وذلك بفضل رعاية الحاج أسكيا محمد الكبير وأبنائه من بعده فقد صارت مدينة زاخرة بالعلوم ، يحج إليها الطلاب والعلماء من كل حدب وصوب ، من المغرب ومن المشرق ومن السودان ، ويقول الأثوري : كان طلاب العلم في صدر عهدهم يرحلون إلى بلاد المغرب الأقصى ، ويسافر بعضهم إلى مصر ... ولما ارتكز العلم بمدينة تمبكتو رجع الناس إليها في طلب العلم ... وصاروا لا يطلبونه في سواها ، ولا يحتاجون إلى غير مؤلفات علماءها الراسخين في العلم²⁵⁹

وكل ذلك الرقي والازدهار كان بحماسة وتشجيع أباطرة سنغي ، فقد صارت تمبكتو ، بحق في ذلك العصر مركزا للحياة الثقافية وقلب الحركة الفكرية النابض ، اجتمع فيها العلماء من كل جنس ولون : المغاربة والأندلسيون والمصريون والحجازيون ، ووفد إليها الناس من كافة بقاع غرب أفريقيا ، من السنغال والنيجر من إمارات هوصا وبرنو وكانم والسودان ، وأقامت كل هذه الطوائف بتنبكتو ، وتعلم بها كثير من الفقهاء والعلماء ، وألف فيها مؤلفات كثيرة ، وكان جامعها الشهير جامع سنكري يشبه من وجوه كثيرة جامع الأزهر في تراثه ومكانته العلمية²⁶⁰

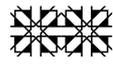
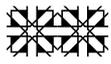
التعليم في تنبكتو:

لم يكن التعليم قاصرا على الطلبة ، بل كان في إمكان المستمعين أن يأخذوا أماكن لهم في الصفوف الخلفية للحلقة ، وتحت أعمدة الجوامع كانت تنصب الكراسي لجلوس الأساتذة ، وهي أعلى من كراسي الوعاظ ، ومن عادة الأستاذ أن يضع رجليه على درجة الكرسي كجلوس الإمام على المنبر ، ويمسك طرف عمامة بيده اليمنى ، ويشير به إلى طلبته ، أو يحك به ذقنه إن استعصى الفهم على بعضهم ، وليس من عادة الأستاذ استعمال القضيب كما هو شأن المعلم . والطلبة يجلسون على شكل دائرة ، يوضع كرسي المدرس في مركزها ويجلس قبالة مباشرة أنجب الطلبة يسرد النص فقرة فقرة ، فيتولى المدرس الشرح والتطبيق ، ويسمى ذلك الطالب «المسرد» وقد يكون المسرد عاملا ، أو فقيها تطوع لذلك العلم .

²⁵⁸ نفس المرجع ص ٢٢٥

²⁵⁹ نفس المرجع ص ٢٢٢

²⁶⁰ نفس المرجع ص ٢١٣



وكان الأساتذة يفتحون باب المناقشة مع طلابهم في النوازل ، ويمتحنونهم فيما تعلموا في نهاية كل درس واعتبر صبرهم على تبليغ أدق المسائل ، ولجوؤهم لأبسط الطرق في ذلك من مستلزمات نجاح الأستاذ ، وشدة تمرسه بمادة التدريس . وكان بعض المدرسين يطلب من تلاميذه تسجيل النقاط الجديدة والأفكار ، فيثبتون ذلك في هوامش الكتاب أو في دفتر خاص ، ولكثرة المدرسين فقد دأب الطلبة على اختيار المدرس المناسب ، ولذلك كانت بعض الحلقات تكتظ بالمتعلمين بينما لا يحضر بعضها الآخر سوى نفر قليل .

وكان من شروط الأستاذ الناجح حسن التوضيح ، والابتعاد عن التكرار ، ووضوح الصوت ، والمواظبة على الدروس²⁶¹ وبعض العلماء لا يجدون كرسيًا أو عمودًا في المساجد ، ورغم ذلك فهم ليسوا أقل علما ، ويقول الشيخ أحمد الأمين الشنقيطي في الفقرة التي خصصها لوصف كيفية إلقاء الدرس عند علماء شنقيط : « لاضابط للهيئة التي يلقي عليها الدرس عندهم ، فمنهم من يدرس في أثناء الارتحال من جهة إلى أخرى ، سواء كان ماشيا أو راكبا ، وقد يكون راكبا والطلبة يمشون على أقدامهم في ناحيته »²⁶² .

مراحل التعليم

كانت مراحل التعليم في عهد امبراطورية سنغاي في أيام الأسقيين تنقسم إلى مرحلتين هما : مرحلة التعليم الابتدائي ، ومرحلة التعليم الثانوي والعالي . ويتولى معلمو الكتاتيب تعليم المرحلة الابتدائية ، وكانت هذه الكتاتيب منتشرة بكثرة في جميع المدن والقرى والبوادي ، وكان بعضهم يعلم طلابه تحت ظلال الأشجار ، إلا أن الغالب أن تكون الدرس قرب المساجد ولا يدرس في الكتاب إلا من حفظ القرآن الكريم ، وألم بمبادئ اللغة العربية والفرائض ، وأتقن الخط وهذه هي المواد الأساسية في مناهج الكتاب وتبريء هذه المرحلة الدارس للدخول في المرحلة الثانوية بعد أن يكون له إلمام كاف بالخط وبشيء من اللغة يستطيع بهما فهم الدروس والمناقشة في حلقة الأستاذ ، وتسجيل ما يلزم تسجيله . وكان عدد الكتاتيب مرتفعا في عهد سنغي ، وكان معظمها يشتمل على عدد كبير من التلاميذ²⁶³ .

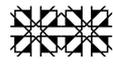
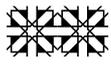
ورغم وجود عدد كبير من الكتاتيب في تنبكتو فإن كل واحد يجد إقبالا بسبب كثرة الأطفال الذين يدرسون فيه ، يقول صاحب الفتاش : « إن فيها مدارس تعلم الصبيان الذين يقرأون القرآن²⁶⁴ . .

²⁶¹ د . الغربي مرجع سابق ص 55

²⁶² الشيخ أحمد بن الأمين الشنقيطي . الوسيط في تراجم أدباء شنقيط ص 519

²⁶³ زيادة مرجع سابق 142 – 242 .

²⁶⁴ الشيخ عوض مرجع سابق ، ص ٢١٢



التعليم الثانوي والعالي :

وأما التعليم الثانوي والعالي ، فلم تكن الفوارق بينهما واضحة ، فقد كانت المواد الأكثر وضوحا تدرس في المساجد الصغيرة ، ففي تنبكتو مثلا كان التدريس في مسجد الونكريين من النوع الثانوي الذي ينتقل إليه الطالب مباشرة بعد أن يكون قد أنهى دراسته بالكتاب أما جامع سنكري فقد كان التعليم فيه من النوع العالي حيث تدرس المواد في شكل اختصاصات وتتناول بتفصيلات واسعة ، وتناقش المسائل فيها على مستوى أمهات المؤلفات الكبيرة التي عرفها المسلمون حتى ذلك الحين²⁶⁵ وكان لا يجلس للتعليم في هذا النوع إلا أساتذة متضلعون ، قد أحاطوا بكل جزئيات المواضيع التي يدرسونها وكان بينهم مغاربة .

ومما يدل على تضلعهم أولا أن أمهات الكتب التي تدرس في الشرق والغرب العربيين كانت تدرس في السودان خلال هذه الفترة ، وثانيا أن الفقيه عبد الرحمن التميمي ورد على السودان وجلس في الجامع للتدريس ولكنه مالبت أن أدرك أن السودانيين حوالياه أكثر منه تضلعا فرجع إلى فاس ليزداد تخصصا حتى يستطيع أن يتصدر للتدريس بالسودان²⁶⁶ .

وقد دعى بعض العلماء السودانيين للتدريس في جامعة الأزهر العلامة أحمد ومن أشهرهم الفقيه المفسر ابن عبد الرحيم²⁶⁷ . وأيضا دعي بابا للتدريس بجامع الشرفاء بمراكش ، كما ذكر ذلك بنفسه ، وحكاه غيره وذلك بعد خروجه من حكم الأسر ، يقول رحمه الله : « جلست بعد الإباية بجامع الشرفاء بمراكش ، من أنوه جوامعها . . . وازدحم على الخلق ، وأعيان طلبتها ، بل قرأ على قضاتها ولازموني كقاضي الجماعة بفاس العلامة أبي القاسم أبي النعيم الغسائي ، وهو ينيف على ستين ، ومفتي مراكش الرجراجي وغيرهم . وأفتيت فيها لفظا وكتابة لاتوجه فيها الفتيا ، غالبا إلا إلى وعينت لها مرارا فابتهلت إلى الله أن يصرفها عني ، واشتهر اسمي في البلاد من السوس الأقصى إلى بجاية والجزائر وغيرها »²⁶⁸ ومن المعلوم أن دراسة أحمد بابا كانت كلها على علماء تنبكتو .

الطلبة :

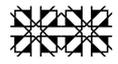
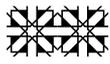
²⁶⁵ زيادة مرجع سابق ص ١٤٦

²⁶⁶ نفس المرجع ص 145.

²⁶⁷ نفس المرجع ص 138.

²⁶⁸ البرتلي ، فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور ، تحقيق محمد إبراهيم الكتاني ومحمد حجي ،

دار المغرب الإسلامي ص ٣٤ - ٣٥



أما الطلاب ، فقد كان إقبالهم شديدا على التعليم ، دفعهم في كثير من الأحيان إلى القيام برحلة واسعة إلى بلدان المغرب وإلى مصر ، وقد كان من كثرة ورودهم على مصر أن أسس لهم في هذه الفترة رواق خاص بالأزهر عرف برواق التكرور . وكان من عادة الطلاب أنه كلما سمعوا بأستاذ متضلع في مادة يريدون التمكن فيها رحلوا إليه²⁶⁹ ، وقد عرفوا بالصبر والمثابرة والطموح ، وتحمل الصعاب في سبيل الحصول على العلم .

الإجازة العلمية :

وكانت الشهادات معروفة في السودان ، إذ كان الأستاذ كلما أنس من أحد طلبته تمكنا كافيا في مادة من المواد التي درسها عليه أعطاه إجازة بخط يده ، ولقد وجدت ثلاث درجات للإجازة ، وهي :

- (١) شهادة سماع ، وتعني أن الطالب تتبع أقوال العالم وحفظها
- (٢) شهادة العرض أي سرد الطالب على أستاذه مع استذكاره للنصوص ومعرفته بشروحها .
- (3) الإجازة الكاملة ، وهي أن يصل الطالب إلى المرحلة التي يستطيع معها ذكر الأسانيد وإرجاعها لمصادرهما الأول ، وذكر الفوارق في الروايات بعد الإمام بفن معين من الفنون ، وتتضمن الإجازة المكتوبة تصريحاً من المدرس بأن طالبه حضر عليه مواد متعددة ، ولكنه برع في مادة خاصة ، ولذلك فهو يجيزه في جميع ما يجوز له إن كانت للمدرس كتب من تأليفه ، ويجوز له عن غيره إن كان الكتاب من وضع شخص آخر²⁷⁰

مواد الدراسة :

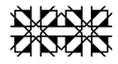
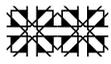
تتركز مواد الدراسة في جامعة سنكري حول علوم القرآن الكريم والحديث الشريف والسير والتاريخ والمنطق ، ومن الكتب التي كانت تدرس للشفاء للقاضي عياض ، والصحيحان ، والمدونة ، والرسالة ، ومختصر خليل والألفية ، وموطأ الإمام مالك ، ورجز المغيلي في المنطق ، والخزرجية في العروض ، وتحفة الحكام لابن عاصم²⁷¹ ، وغيرها كثير.

المكتبات :

²⁶⁹ زيادية ، مرجع سابق ، ص 146.

²⁷⁰ د . الغربي مرجع سابق ص ٥٥٤

²⁷¹ الشيخ عوض مرجع سابق ص ٢١٤



يذكر الحسن الوزان أن العلماء المتضلعين كانوا كثيرين ولهم نشاط في التدريس كبير ، وإقبال على التأليف واقتناء الكتب بأثمان عالية حيث يجمعونها في مكتباتهم التي كانت تشبه حوانيت التجار الكبار²⁷² وقد حملت بعض الدواب عدة آلاف من المخطوطات إلى مراكش أثناء تغريب علماء تنبكتو عام ١٥٩٤م²⁷³ . وذكر صاحب الفتاش أن أسكيا داود كان سلطانا مهيبا فصيح اللسان ، وانصرفت همته إلى مهادة علماء تنبكتو بالكتب التي كان لها نساخون ينقلون له أمهاتها وهشاهيرها ، وأصبحت له خزائن من وراء ذلك²⁷⁴ وكانت الكتب أعلى ثمنا من غيرها بسبب الإقبال الشديد عليها ويذكر كعت صاحب الفتاش أن نسخة من قاموس عربي بيعت في عهد أسكيا داود بثمانين مثقالا²⁷⁵ ويؤكد الحسن الوزان هذا حين يقول : « ويوجد في تمبكتو العديد من القضاة والعلماء والأئمة ، ولجميعهم مرتبات طيبة من الملك ، وهو يكرم الأدباء كثيرا ويباع الكثير من هذه الكتب المخطوطة التي تأتي من بلاد البربر ، ويجني من هذا البيع ربح يفوق كل بقية السلع »²⁷⁶ .

الخاتمة

إن جذور التعليم الإسلامي في منطقة الساحل له علاقة متينة مع الشمال الإفريقي وأن المؤسسات التعليمية التي تبعت الفتوحات الإسلامية في المنطقة نقلت معها عدة أشياء وبعد كونها مدخلا للإسلام أصبحت مدخلا للحضارة والثقافة الإسلامية وان الإفارقة الغربيين استفادوا من تلك المدارس والخبرات الفيداغوجية حيث أسسوا المراكز التعليمية في كل من تنبكتو وجني ومن هناك انطلق هذا الشعاع الحضاري ليعم للمنطقة حيث ترامت هذه المدارس والمعاهد على امتداد الساحل وما تزال هذه الثقافة الإسلامية تلعب دورها الريادي وتتمتع بالحاضنة الشعبية وما تزال الدراسات الإسلامية تحظى باحترام الجميع ولما جاء الاستعمار الغربي وجدها عائقا أمام تقدمه الفكري ومرسومه الاستعماري مما اضطره إلى التعامل مع الواقع والسماح لهذا النوع من التعليم بالبقاء في كثير من هذه البلدان

التوصيات

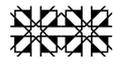
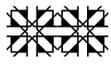
²⁷² ليون الأفريقي ، وصف أفريقيا ، مرجع سابق ص ١٢

²⁷³ د ، الغربي ، مرجع سابق ص ٣٢٩

²⁷⁴ محمود كعت تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس ، هوداس وبنوا

²⁷⁵ نفس المرجع ص ١٠٨

²⁷⁶ ليون الأفريقي ، مرجع سابق ص ٥٤١



- على طلبة العلم القيام بمراجعة المكاتب خاصة التي تعج بالمخطوطات التي كتبها الأقدمون لينفض عنها الغبار وتطلع على الى الساحة العلمية
- على المؤسسات التعليمية أن تعمل على تحقيق تلك المخطوطات وذلك عن طريق توعية الباحثين على أهمية هذا التراث الإفريقي الإسلامي
- يجب على المسؤولين الاهتمام بتاريخ أفريقيا وخاصة التاريخ الإسلامي للمنطقة لأن هناك غموض وضبابية التي وضعتها الأيدي الخبيثة الاستعمارية في كتابة تاريخنا والتي أخفت الكثير من المحامد والمجروعات التي بذلها الأفارقة في بناء الصرح الحضاري الإسلامي عبر تاريخه

المراجع

1. البكري - المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب
2. الشيخ الأمين محمد عوض الله ، العلاقات بين المغرب الأقصى والسودان الغربي في عهد السلطنتين الإسلاميتين مالي وسنغي ، دار المجمع العلمي بجدة .
3. اللواء محمود شيت خطاب ، قادة الفتح الإسلامي بالمغرب العربي
4. الدكتور / عيسى عبد العظيم ، الدعوة الإسلامية في غرب أفريقيا وقيام دولة الفلاني
5. محمد بيللو الفوتي ، مناقب أفريقيا في الإسلام
6. د - سعد زغلول عبد الحميد تاريخ المغرب العربي
7. د . محمد الغربي : بداية الحكم المغربي في السودان الغربي ص ٢٨
8. إبراهيم علي طرخان : امبراطورية غانة الإسلامية ص ٤١ - ٤٢
9. عبد القادر زيادية ، مملكة سنغاي في عهد الأسقيين الشركة الوطنية - الجزائر -
10. ليون الأفريقي وصف أفريقيا ، ترجمة الدكتور عبد الرحمن حميدة من الفرنسية إلى العربية ، جامعة الإمام محمد سعود الإسلامية ص 579 الهامش ، الملاحظة رقم 71 .
11. الشيخ أحمد بن الأمين الشنقيطي . الوسيط في تراجم أدباء شنقيط
12. البرتلي ، فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور ، تحقيق محمد إبراهيم الكتاني ومحمد حجي ، دار المغرب الإسلامي
13. محمود كعت تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس ، هوداس وبنوا .



المرأة المسلمة والوظيفة العامة في القرن الحادي والعشرين رؤية إسلامية

إعداد :

رابع سليمان غزرا

Rabiu Suleiman Gazara

Rabiusuleimangazara@Gmail.Com

08027539112/08068138897

Department Of Arabic Islamic Studies And Resources

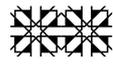
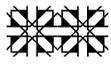
University Library, Bayero University Bayero

ملخص:

تناولت الورقة الدراسة الاجتماعية والدينية للمرأة المسلمة والوظيفة العامة في القرن الحادي والعشرين من منظور إسلامي ومشكلة الدراسة هي تغلغل المرأة في الوظيفة العامة في القرن الحادي والعشرين بعيدة عن تعاليم الإسلام، وهدف الدراسة هو بيان الضوابط الشرعية للمرأة المسلمة التي تريد سلك مسلك الوظيفة، وتظهر أهمية الموضوع في ارتباطه بمتعلق الحياة السعيدة والاجتماع الحي وهي المرأة المسلمة المرئية لأفراد كل مجتمع بشري، ومنهج الدراسة هو المنهج الوصفي والاستدلالي، وتكونت المقالة من : أربع مباحث : المبحث الأول: مفهوم عمل المرأة؛ أهميته وفضله في الشريعة. وفيه ثلاث مطالب، والمبحث الثاني: مقارنة بين وضع المرأة في الشريعة وغيره، والمبحث الثالث: تاريخ الحركة النسائية لتحرير المرأة في البلاد الإسلام، ثم المبحث الأخير: موقف الإسلام من عمل المرأة، والخاتمة، ثم المراجع

المقدمة:

إن قضية المرأة هي قضية كل مجتمع في القديم والحديث، فالمرأة تشكل نصف المجتمع من حيث العدد، وأجمل ما في المجتمع من حيث العواطف، وأعقد ما في المجتمع من حيث المشكلات، ومن ثمة كان من واجب المفكرين أن يفكروا في قضيتها دائماً على أنها قضية المجتمع، أكثر مما يفكر أكثر الرجال فيها على أنها قضية جنس متمم أو مبهج. وفي العصور القديمة كان الرجل هو المسئول الأول



عن جميع نواحي الحياة مثل الدين ، السياسة والأسرة ، كما كان يعرف بقدرته على اختيار ما يناسبه من الأعمال المتاحة ، ويترك لها بعض الأعمال المتدنية ، ولكن كانت هناك بعض المجتمعات التي ارتقت لتقرر بحقوق المرأة ورفع قدرها مثلما حدث في عصر الفراعنة. عامل المجتمع النساء معاملة غير لائقة مثل العبيد ، نظرا لأنه كان مجتمع ذكوريا ، فعلى الرغم من قدرتها على إنجاز أعمال لم يستطيع الرجال القيام بها ، فلم يعترف المجتمع بإنجازاتها في تطوير الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية ، نتيجة ما فرصه من عادات وتقاليدها ظالمة لها. مع تقدم العصور والمجتمعات احتلت المرأة مكانة هائلة في تحديث وتغيير المجتمع ، مما رفع من شأنها ونهض بمكانتها ، ومما جعلها تفرض دورها الفعال في النهوض بالمجتمعات والدول. والباحث يتناول الحديث عن المرأة، ويكون كالآتي:
عنوان البحث:

المرأة المسلمة والوظيفة العامة في القرن الحادي والعشرين رؤية إسلامية

؛ وفيه أربع مباحث

المبحث الأول: مفهوم عمل المرأة؛ أهميته وفضله في الشريعة. وفيه ثلاثة مطالب:

المبحث الثاني: مقارنة بين وضع المرأة في الشريعة وغيره.

المبحث الثالث: تاريخ الحركة النسائية لتحرير المرأة في البلاد الإسلام.

المبحث الرابع: موقف الإسلام من عمل المرأة .

الخاتمة، ثم المراجع.

المبحث الأول: مفهوم عمل المرأة؛ أهميته وفضله في الشريعة.

مفهوم عمل المرأة:

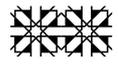
يُعرّف العمل بالإنجليزية (Work) بشكلٍ عام على أنّه المهنة أو القيام بفعل معيّن، أمّا عمل المرأة فهو مصطلح يُشير إلى الجهد العقلي والجسدي الذي تبذله المرأة في مكان عملها من أجل تحقيق

المصلحة والمنفعة لها وللمجتمع²⁷⁷.

وفي الوقت الحالي انتشرت ظاهرة عمل المرأة في مختلف مناطق العالم، فالمرأة تُعتبر نصف المجتمع وهي من تُنشئ وتربي النصف الآخر، وعليه ينبغي الاهتمام بالوضع الاجتماعي لها في هذا العصر.²⁷⁸

²⁷⁷ عمل المرأة"، www.cia.gov، اطّلع عليه بتاريخ 18-2-2020، صفحة 2. بتصرّف.

²⁷⁸ مليكة بن زيان (2014)، "عمل الزوجة وانعكاساته على العلاقات الأسرية"، جامعة منتوري قسنطينة ، صفحة 4, 6, 7. بتصرّف.



يمتاز العصر الحالي بالتطور الكبير الذي انعكس بشكل واضح على عمل المرأة ومكانتها في المجتمع، وقد أتاح ذلك فرصاً كبيرة للمرأة في الحصول على حقوقها السياسية، والاجتماعية، والاقتصادية، والتعليمية، وغيرها من الحقوق، كما أتاح لها الفرصة في المشاركة في الحياة العملية، فأصبحت تقوم بمسؤولياتها وواجباتها تجاه أسرتها ومؤسستها. إن انضمام المرأة للحياة العملية يساعد على تنمية الوضع الاقتصادي والاجتماعي للمجتمع بشكل عام، إضافة إلى رفع ميزانية أسرتها، وقد أتاح المجتمع فرصاً لعمل المرأة وحقّق لها المساواة مع الرجل في مجال العمل وخصوصاً فيما يتعلق بمسألة الأجور، ويجدر بالذكر أنّ للمرأة القدرة على العمل في أيّ مكانٍ توجد فيه سواءً في المناطق الريفية أو المدينة، إلا أنّ طبيعة عملها تختلف باختلاف الظروف الاجتماعية والاقتصادية المحيطة بها.

وفي تعريف آخر؛ عمل المرأة هو انخراط المرأة في الوظائف والأعمال المناسبة لقدراتها الجسدية والنفسية في مختلف المجالات المتاحة، مثل عملها كمعلمة، ممرضة، خبيرة تجميل أو سكرتارية وموظفة في بعض الأعمال الإدارية، وهدف العمل هو تحسين الجانب المادي الذي يعزز قدرتها على مواجهة الأعباء والصعوبات التي تمرّ بها²⁷⁹.

وفي تعريف آخر؛ عمل المرأة انخراطها في الأعمال التي تتناسب مع قدرتها النفسية والجسدية في مختلف مجالات الحياة، كما يمكن أن يُقصد به أيضاً الجهد الجسدي والعقلي الذي تقوم به في مكان عملها بهدف تحقيق المصلحة والمنفعة لها وللمجتمع الذي تعيش فيه²⁸⁰.

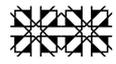
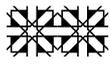
يتيح العمل للمرأة الفرصة من أجل المشاركة في الحياة العملية، حيث إنّها تقوم بمسؤولياتها وواجباتها وكل ما يترتب عليها تجاه عائلتها والمؤسسة التي تعمل فيها؛ ولهذا دور هام في رفع ميزانية الأسرة وتنمية الوضع الاجتماعي والاقتصادي للمجتمع.

تختلف طبيعة عمل المرأة تبعاً للظروف الاقتصادية والاجتماعية في المجتمع الذي تعيش فيه؛ لكن لا ينفي هذا حقيقة أنّ المرأة قادرة على العمل في أيّ مكان تتواجد فيه، سواء في المدن أم المناطق الريفية. نشأة عمل المرأة.

يُشير التاريخ إلى أنّ مهنة الزراعة هي المهنة الرئيسية التي كانت سائدة قديماً، وأن الأعمال الشاقة لم تقتصر فقط على الرجال؛ حيث كان للنساء مساهمة في مختلف الأعمال الجسدية؛ كطحن الحبوب باستخدام الأدوات الحجرية، وجمع الأخشاب، وجلب المياه من أماكن تواجدها، وتوفير الطعام وغيرها، ثمّ عملت الثورة الصناعية على تغيير حالة العمل لكلّ من الرجال والنساء، وتغيير

²⁷⁹ محمد قطب: شهادت حول الإسلام (126)، النظم الإسلامية: الجامعة الإسلامية (103).

²⁸⁰ <https://www.annajah.net>, 28/12/2023 – 11:40am



موقع العمل من المنزل ومحيطه إلى العمل في المصانع، وقد بدأ العمل في تلك المصانع كفرقٍ مكوّنة من العائلات وبدأ دور المرأة كقوى عاملة أُسرّية يتغيّر تدريجياً. برز دور الرجال في منتصف القرن التاسع عشر في العمل المصانع باعتبارهم المعيل الأول للأسر، وعادت النساء إلى العمل في المنازل، ويعود السبب في ذلك إلى الاحتجاجات المتزايدة ضد سوء المعاملة التي كان يتعرّض لها النساء والأطفال في المصانع، وقد ساعدت تلك الاحتجاجات على تحديد ساعات عمل النساء والأطفال وحمايتهم من العمل في الأعمال الخطيرة، واستمرّ دور المرأة في عملها المنزلي خلال القرن التاسع عشر وحتى القرن العشرين، إلا أنه في نهاية القرن التاسع عشر ظهرت الطاقة الكهربائية وبدأ استخدام الآلات الكهربائية كالغسالات، والمكانس الكهربائية، وغيرها، ممّا قلّل من الوقت التي تقضيه المرأة في العمل المنزلي وحقق بعض الراحة لها. كان للتطوّر الاقتصادي والاجتماعي دورٌ رئيسي في تغيير طبيعة عمل المرأة؛ فقد زادت الحاجة لوجود موظفين للعمل في مختلف المجالات كالتعليم، والمبيعات، وفي المكاتب، وغيرها من الأعمال، وأصبح أصحاب العمل يوظفون النساء بسبب تقاضيهنّ أجوراً أقلّ من الرجال لنفس العمل؛ إذ إنّ النساء غير مسؤولات عن إعالة الأسر، وخصوصاً أنّ معظم العاملات في ذلك الوقت هنّ من النساء العازبات، وفي تلك الفترة بدأت النساء العمل بأعمالٍ ترتبط بالأعمال المنزلية المألوفة لديهن كخياطة الملابس.²⁸¹

عملت النساء مكان الرجال خلال الحرب العالمية الثانية في المصانع بسبب انشغال الرجال بتأدية الخدمة العسكرية، ثمّ عادت بعدها إلى المهنّ الأسهل كالعمل في المكاتب، والتمريض، والتدبير المنزلي، كما بدأت النساء المتزوجات بالعمل في سبعينيات القرن الماضي، وبدأن يعملن في المهنّ التقليدية كالرجال، ثمّ جاءت التكنولوجيا لتُحسّن وتُسهّل من عمل المرأة؛ حيث إنّ الأعمال التي كانت تحتاج لمجهودٍ بدنيّ أصبحت تُنفَّذ بسهولة كبيرة من خلال التكنولوجيا.

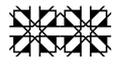
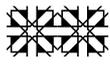
المبحث الثاني: مقارنة بين وضع المرأة في الشريعة وغيره.

واقع المرأة قبل الإسلام

جاء الإسلام وكل أمم الأرض تمتهن المرأة وتبخسها حقها، وغاية ما تصل إليه من تقدير: الاعتراف بأصلها الإنساني، فكيف بتقرير كرامتها ومساواتها للرجل في الحقوق والواجبات. فهي عند اليونان: وسيلة للترفيه والمتعة، وقد عبر عن ذلك نص (ديموستين) حين قال: (إننا نتخذ العاهرات للذة، ونتخذ الخليلات للعناية بصحة أجسامنا اليومية، ونتخذ الزوجات ليكون لنا أبناء

²⁸¹ مصطفى بن حسني السباعي (المتوفى: 1384هـ)، المرأة بين الفقه والقانون، الناشر: دار الوراق للنشر

والتوزيع، بيروت، الطبعة: السابعة، 1420 هـ - 1999 م، ص: 4



شرعيون)²⁸² وعند الرومان: كان يحق للأب والزوج أن يبيعا لمن يشاء. أما عند العرب فكان يحق لأبن زوجها أن يرثها كما يرث فرض أبيه ودابته! وهذا إن نجاها الله من الوأد عند ميلادها. وهكذا بقية الأمم من فرس وهنود وغيرهم. ودون أن تقوم المرأة بثورات أو احتجاجات على هذا الوضع المذري، ودون أن يقوم أحد بذلك، ودون أن تحدث تطورات اجتماعية، أو اقتصادية تفرض شيئاً من ذلك. إلى أن جاء الإسلام ليعترف لها بالمساواة مع الرجل، ويقرر لها حقوقها كاملة لينقذها من ذلك الوضع المأساوي الشائن إلى أفق سامية على الصعد كافة. فكيف تم ذلك؟

المساواة الإسلامية بين الرجل والمرأة:

فرض الإسلام مبدأ المساواة بين الجنسين في كافة المجالات التي يستويان فيها من حيث أنهما إنسانان، وفرق بينهما في بعض المواطن لاعتبارات خاصة، راعى فيها أصل خلقهما، وكفاءة كل منهما وطبيعته، وفي ما يلي ذكر مجالات المساواة:

المساواة في أصل النشأة:

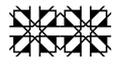
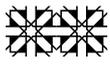
قرر الإسلام بشكل قاطع وحدة أصل النوع البشري وذلك في عدة آيات قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ۝١﴾ النساء: ١ قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَىٰكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ۝١٣﴾ الحجرات: ١٣

المساواة في المصير²⁸³:

كما قرر أن البشر جميعاً صائرون إلى الله الذي خلقهم أول مرة وكل واحد منهم ذكراً أم أنثى سيلقى هناك جزاء عمله في هذه الدنيا، إن خيراً فخير وإن شراً فشر قال تعالى: ﴿وَكُلُّهُمْ عِندَ رَبِّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا ۝٩٥﴾ مريم: ٩٥ قال تعالى: ﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ۝٣٩﴾ وأن سعيه سوف يرى ﴿ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَىٰ ۝٤١﴾ النجم: ٣٩-٤١ قال تعالى: ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَمِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ بَعْضُكُمْ مِنْ ۝١٩٥﴾ آل عمران: ١٩٥ قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ

²⁸² المرأة قبل وبعد الإسلام، الكتاب منشور على موقع وزارة الأوقاف السعودية بدون بيانات، ص: 56

²⁸³ المرأة قبل وبعد الإسلام، الكتاب منشور على موقع وزارة الأوقاف السعودية بدون بيانات، ص: 58



أَوْ أَنْتَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴿ النحل:

٩٧

المساواة في أهلية الخطاب الشرعي:

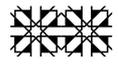
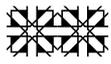
فخطاب الله إلى البشر ورسالته إلى الناس متجهة إلى المرأة والرجل على حد سواء، وشخصية المرأة تجاه الرجل مستقلة تماما: فهي مطالبة بالإيمان بالله ورسله، وكتبه واليوم الآخر، ومخاطبة بكافة التكاليف الشرعية دون وساطة أحد أو وصايته، وهي تتحمل المسؤولية الكاملة في كل ذلك:

قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَنِينَ وَالْقَنِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّالِمِينَ وَالصَّالِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾ ﴿ الأحزاب: ٣٥ قَالَ تَعَالَى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحِينَ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّٰخِلِينَ ﴿١٠﴾ ﴿ التحريم: ١٠

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْرِ الظَّالِمِينَ ﴿١١﴾ وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ عَلَيْهَا إِتْقَانُ الْإِسْلَامِ وَنَجَّيْنَاهَا مِنْ كُلِّ ظَلَمٍ إِنَّهَا أَحْسَنُ الْغَائِبَاتِ ﴿١٢﴾ ﴿ التحريم: ١١-١٢

المساواة أمام القضاء:

والمرأة كذلك لها حصانتها القانونية، ولها حق التقاضي، ورفع الظلم إن وقع عليها قَالَ تَعَالَى: ﴿يٰۤأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَنْ تَعْدِلُوا ۚ وَإِن تَلَوْا أَوْ نَعَضُوا ۚ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٣٥﴾ ﴿ النساء: ١٣٥ وكثيرات هن النساء اللاتي جنن إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يشتكين من الظلم الواقع عليهن من بعض أقاربهن، فأنصفهن رسول الله صلى الله عليه وسلم ورفع عنهن ذلك الظلم.



فمنهن تلك التي منعها أخوها عن الزواج ممن ترضي، فجاءت تشكوه إلى الرسول صلى الله عليه وسلم فنزل قوله **قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَلَبَّغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَضُوا بَيْنَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ لَكُمْ وَأَطَهْرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٢﴾** البقرة: ٢٣٢ وتلك التي زوجها أبوها وهي كارهة فرد الرسول صلى الله عليه وسلم نكاحها. وتلك الفتاة التي زوجها أبوها ممن تكره فجاءت إليه صلى الله عليه وسلم فخيرها فقالت: (قد أجزت ما فعل أبي، ولكن أردت أن يعلم النساء أن ليس للآباء من الأمر شيء). وأخرى جاءته وقد منع عم ابنتها أباهما من الميراث من أبيهما، فنزلت آيات الميراث من سورة النساء وغيرهن كثيرات.

المساواة داخل الأسرة بين الحقوق التي للمرأة والواجبات التي عليها:

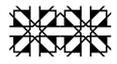
فقد أعلن الإسلام المساواة والتكافؤ بين الحقوق والواجبات الأسرية للمرأة **قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَىٰ نَفْسِهِمْ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٨﴾** البقرة: ٢٢٨ وأعلن كذلك حقها في الشورى داخل الأسرة في أمر الأبناء وتربيتهم وغير ذلك من أمور الأسرة، فقال تعالى في شأن فطام الأبناء **قَالَ تَعَالَى: ﴿فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا ﴿٢٣٣﴾** البقرة: ٢٣٣ وقال: **﴿وَأْتَمِرُوا بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ﴾** (الطلاق: 6) أي: ليأمر كل واحد من الزوجين الآخر بالمعروف في شئون الأسرة من إرضاع للأبناء وتربيتهم وغير ذلك.

مكانة المرأة في الإسلام

كرم الإسلام المرأة كما لم يكرمها دين آخر؛ سواء في المجال الإنساني، أو الاجتماعي، أو في الحقوق والواجبات، والأمثلة على ذلك كثيرة، منها:
أولاً: في المجال الإنساني:

1- **وحد بينها وبين الرجل في أصل الخلق؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾** النساء: ١

2- ساوى بينها وبين الرجل في القصاص منهما؛ فمن قتل امرأة قتل بها إجماعاً، كعكسه.



3- دفع عنها اللعنة التي ألصقت بها؛ بأنها هي التي أغوت آدم عليه السلام وأخرجته من الجنة، ونسب الغواية: إما لآدم عليه السلام وزوجه معاً؛ كما في قَالَ تَعَالَى: ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾ البقرة: ٣٦ وإما نسبها لآدم عليه السلام وحده؛ كما في قوله تعالى: "وعصى آدم ربه فغوى" (284).

ثانياً: في المجال الاجتماعي :

1- ساوى بينهما في حق التعلم والتعليم؛ فهؤلاء أزواج النبي ﷺ تعلمن وعلمن، وقد نقل عنهن أحكام الدين، وقامت الحجة بنقلهن، ونقل غيرهن من الصحابيات؛ كأُم سليم، وأم حرام بنت ملحان، وأم عطية، وأم شريك، وأم الدرداء، وفاطمة بنت قيس، وبسرة بنت صفوان، وكذلك مَنْ بعدهن من التابعيات؛ كعمرة، وحفصة بنت سيرين، وحبابة بنت بسرة (285).

2- أعطاهما حرية اختيار الزوج؛ فلا تزوج بغير إذنها، ولها الخيار بعد العقد إن ثبت إكراهها عليه، وفي ذلك أدلة كثيرة، منها ما أخرجه البخاري عن خنساء بنت خدام الأنصارية أن أباه زوجها، وهي ثيب، فكرهت ذلك، فأنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فرد نكاحها (286).

3- أعطاهما حق التخلص من الزوج إن كرهته بالخلع، أو بالقضاء؛ إن وقع عليها اعتداء وظلم من قبل الزوج.

4- جعل الصلة بينها وبين زوجها مبناها على المودة والحب، لا على التسلط، والتعالي؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ الروم: ٢١.

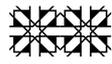
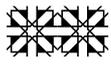
5- ساوى بين المرأة والرجل في أصل الملكية والميراث؛ فلها أن تمتلك كما يمتلك الرجل، وأن ترث كما يرث الرجل؛ فقال تعالى: " قَالَ تَعَالَى: لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبْنَ ﴿٣٢﴾ النساء: ٣٢... (287).

(284) سورة طه : من الآية (121).

(285) ابن حزم : الإحكام (3 / 338) ، ط 1/ دار الحديث.

(286) البخاري : (67) كتاب النكاح – (43) باب إذا زوج ابنته وهي كارهة فنكاحه مردود، المكتبة العصرية- بيروت- ط2/1418هـ.

(287) سورة النساء : من الآية (32).



وقال أيضاً: " قَالَ تَعَالَى: ﴿ لِرَجَالٍ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴾ (٧) النساء: ٧" (288).

6- أمر الشارع بإحسان معاملتها في مواضع كثيرة منها قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ (١١) النساء: ١٩ وقال صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع: " استوصوا بالنساء خيراً فإنهن عوان^{٢٨٩} عندكم... " (290)، وقال كذلك: " خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي " (291).

7- أكرمها بنتاً وجعل الاهتمام بتربيتها مدخلاً الجنة، وأكرمها أمماً فجعل صحبتها والإحسان إليها مقدماً على الأب ومفضلاً عليه ثلاث مرات.

8- شرع لها من الأحكام . كستر العورة، وغض البصر، والبعد عن الاختلاط . ما يصونها ويحفظها من لعب اللاعبين، ومن أن تكون سلعة رخيصة مباحة، كما هو حاصل في بعض المجتمعات الغير المسلمة ؛ إذ لا يخلو من صورها الفاضحة مجلة أو صحيفة، وهي الأساس في الأفلام الهابطة، وهي السكرتيرة الجميلة التي تجلب الزبائن في كل المحلات، وهي العاهرة التي أصبحت في كل فندق ونزل، بل وتمنح لها التراخيص والشهادات لذلك.

وقد وصلت الفضائح بسبب ذلك إلى الرؤساء والوزراء والرهبان؛ فيما يعرف بالفضائح الجنسية.

ثالثاً: في المجال الحقوقي:

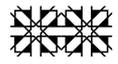
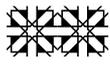
1- ساوى بينهما في أصل التكليف والجزاء؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَنِينَ وَالْقَنِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّادِرِينَ وَالصَّادِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّامِتِينَ وَالصَّامِتَاتِ وَالْحَافِظِينَ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (٣٥) الأحزاب: ٣٥

(288) سورة النساء: الآية (7).

(289) العواني: جمع عانية وهي الأسيرة

(290) الترمذي: كتاب تفسير القرآن- باب: ومن سورة التوبة حديث رقم (3087)، بترقيم أحمد شاکر، وقال عنه حسن صحيح.

(291) الترمذي: كتاب المناقب عن رسول الله باب: فضل أزواج النبي (حديث رقم (3895)، وقال عنه حسن صحيح.



2- ساوى بينهما في حرية التصرفات المالية من بيع وشراء وإجارة ووقف ورهن، وكفالة ووكالة، وهبة.... وما ذكرته من أمور كُرمت بها المرأة إنما هو على سبيل المثال لا الحصر⁽²⁹²⁾.

المبحث الثالث: تاريخ الحركة النسائية لتحرير المرأة في البلاد الإسلام. عمل المرأة المسلمة.

عمل المرأة في وقتنا الحالي أصبح أمرًا طبيعيًا، وفي ظل الحالة الاقتصادية الصعبة، التي يعاني منها الجميع الآن، أصبح خروج المرأة المتزوجة للعمل ضرورة، فالمصروفات المنزلية أصبحت مرتفعة، وهي أيضًا كامرأة، لها متطلبات خاصة، والزوج في كثير من الأسر، لا يستطيع تلبية كافة احتياجات المنزل، فمن هنا بدأت المرأة في التفكير في الخروج للعمل، وتوفير بعض النفقات؛ من أجل أسرته، واحتياجاتها الخاصة أيضًا.

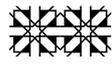
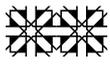
فالشريعة الإسلامية - كقاعدة عامة - لا تمنع أحد من العمل و التكبسب، و لكنها تضع حدودا ، و ضوابط التي تلائم ، و تفيد المجتمع وأفراده . ذلك أن الإسلام قد قسم الأدوار بين المرأة، و الرجل تقسيما عادلا فريدا لبناء أسرة سليمة تبني في الدارين ، فالرجل هو المسؤول عن نفقة أفراد أسرته و تأمين احتياجاتها ، فهو يتولى شؤون المنزل الخارجية ، و يقع على المرأة مسؤولية العناية بالبيت ، و الزوج و الأولاد ، و توفير الراحة و الحنان و تربية الأولاد.²⁹³

أسباب خروج المرأة المسلمة للعمل وظروفه: المرأة شقيقة الرجل وأخته، وحياتها مع الرجل في الدنيا حياة مشتركة، بحيث يواجهان ظروف الحياة وتجري عليهما نوااميس الكون. وقد تلجئ الضرورة والحاجة المرأة للعمل خارج بيتها، وقد يحتاج المجتمع لخروج المرأة للعمل، فعندئذ ينبغي لمن تؤمن بالله ربًا وبالإسلام دينًا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيًا ورسولًا: أن تتقيد بأحكام الشرع؛ حتى يكون خروجها للعمل خروجًا شرعيًا، يكافئها الله عليه بالثواب في الآخرة مع ما تعطى في الدنيا؛ وهذه الأسباب تتمثل فيما يلي:

⁽²⁹²⁾ انظر سيد قطب: الإسلام ومشكلات الحضارة: (61) وما بعدها، الهندي: دراسات في الثقافة الإسلامية

(104) وما بعدها، نقلًا عن كتاب النظم الإسلامية: (محاضرون بالجامعة الإسلامية - غزة)

²⁹³ : محمد حسن عبد الغفار، فقه المعاملات المعاصرة <http://www.islamweb.net>



أولاً: أن يكون العمل مباحاً²⁹⁴: إذ لا بد في العمل الذي يعمله الإنسان ألا يخرج عن نطاق المباح ليتعداه إلى الحرام؛ حتى لا يلحقه الإثم والحرَج الشرعي. وقد يصل الأمر ببعض الأعمال خارج المنزل إلى الوجوب العيني، أو الوجوب الكفائي؛ ففي حالة حاجة الأمة لامرأة معينة يكون الوجوب العيني، وفي حالة حاجة الأمة لفئة معينة من النساء، فيكون الوجوب الكفائي، ويبقى حكم الخروج للعمل المباح في نطاق المباح؛ كالتعليم، والطب، والتمريض، والحسبة في وسط النساء، والأذان والإقامة للنساء خاصة، وكذلك إمامتهن، والعمل في الشرطة النسائية، ونحو ذلك²⁹⁵. فكل ما تقدم من أعمال جائزٌ بدليل الكتاب والسنة والآثار والمعقول مع نصوص الأئمة الفقهاء.

ثانياً: أن يكون الخروج لحاجة شخصية أو حاجة المجتمع:

فقد أمر الله تبارك وتعالى نساء النبي صلى الله عليه وسلم بالقرار في البيوت، ونساء الأمة تبعٌ لهن في ذلك؛ قال تعالى: ﴿قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾ (الأحزاب: ٣٣) وهذه الآية جاءت ضمن سلسلة آداب أدب الله تبارك وتعالى بها أمهات المؤمنين الطاهرات العفيفات زوجات النبي صلى الله عليه وسلم، ونساء الأمة تبعٌ لهن في تلك الآداب؛ فقد قال الإمام ابن كثير - رحمه الله تعالى - في تفسير الآية التي قبلها مباشرة: هذه آداب أمر الله تعالى بها نساء النبي صلى الله عليه وسلم، ونساء الأمة تبعٌ لهن في ذلك²⁹⁶.

وعليه فقد أمرت هذه الآية نساء النبي صلى الله عليه وسلم ونساء المؤمنين عامة بالقرار في البيوت، وعدم الخروج من غير ما حاجة، قال الإمام ابن كثير - رحمه الله تعالى -: وقوله تعالى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ (الأحزاب: 33)؛ أي: الزمْنَ فلا تخرجن لغير حاجة، وقد نص الفقهاء على أن للمرأة الخروج من بيتها لحاجة، كما أنهم اعتبروا خروجها بدون إذن زوجها لا يُعد نشوراً ما دام الزوج لا يكفها.

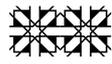
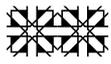
ثالثاً: إذن الزوج أو الولي:

²⁹⁴: مسلم اليوسف مؤسسة الريان (الدكتور)، المحاماة في ضوء الشريعة الإسلامية، بيروت، لبنان

2001م ص131،

²⁹⁵: محمد حسن عبد الغفار، فقه المعاملات المعاصرة <http://www.islamweb.net>

²⁹⁶ مسلم اليوسف مؤسسة الريان (الدكتور)، المرجع السابق، ص: 132



لا بد للزوجة من إذن زوجها لخروجها إلى العمل المباح؛ لأنه مسؤول عنها أمام الله تعالى، وكذلك فإن غير المتزوجة لا بد لها من إذن وليها؛ لأنه راعٍ ومسؤول عنها أمام الله تعالى. ويستدل الفقهاء على اشتراط إذن الزوج أو الولي قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَوْاْ أَنفُسِكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾^٦ التحريم: ٦ فقد أوجب الله تبارك وتعالى على المؤمنين حماية أنفسهم وأهلهم من نار جهنم؛ ولذا كان الزوج أو الولي قِيَمًا على من ولاه الله أمرهم، وعليه حمايتهم من النار، وعليهم طاعته، وقد قال قتادة في تفسير هذه الآية: تأمرهم بطاعة الله، وتنهاهم عن معصية الله، وأن تقوم عليهم بأمر الله، وتأمرهم به، وتساعدهم عليه، فإذا رأيت لله معصية ردعتهم عنها، وزجرتهم عنها²⁹⁷. ومن السنة ما ورد عن عبدالله بن عمر - رضي الله عنهما - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((كلكم راعٍ ومسؤول عن رعيته؛ فالأمير الذي على الناس راعٍ، وهو مسؤول عنهم، والرجل راعٍ على أهل بيته وهو مسؤول عنهم، والمرأة راعية على بيت بعلها وولده، وهي مسؤولة عنهم، والعبد راعٍ على مال سيده وهو مسؤول عنه، ألا فكلكم راعٍ، وكلكم مسؤول عن رعيته))؛ رواه البخاري ومسلم في صحيحهما²⁹⁸.

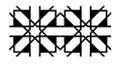
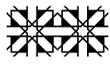
في هذا الحديث بين النبي صلى الله عليه وسلم أن كل راعٍ فإن الله سيسأله عما استرعاه، هل حفظ أم ضيع؟ وبالتالي فإن هذا الراعي له حقوق وعليه واجبات؛ فمن حقوقه أن يطاع فيما يأمر به في غير معصية، وألا يصدر الجميع إلا عن رأيه. وعليه، فلو أرادت المرأة العمل عليها أن تستأذن زوجها أو وليها؛ لأنه مسؤول أمام الله سبحانه وتعالى.

رابعاً: عدم التفريط في حق الزوج أو الأولاد:

فإن الفقهاء قد اشترطوا لخروج المرأة للعمل المباح ألا تفرط في حق زوجها وأولادها، وقد استدلت الفقهاء على ذلك بأدلة كثيرة، منها: حديث عبدالله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((يا عبدالله، ألم أخبر أنك تصوم النهار وتقوم الليل))، فقلت: بلى يا رسول الله! قال: ((فلا تفعل؛ صُوم وأفطر، وقم ونم؛ فإن لجسدك عليك حقاً، وإن لعينك عليك حقاً، وإن لزوجك عليك حقاً، وإن لزورك عليك حقاً، وإن بحسبك أن تصوم كل شهر ثلاثة أيام؛ فإن لك بكل حسنة عشر أمثالها؛ فإن ذلك صيام الدهر كله))، فشددت فشدد علي، قلت: يا رسول الله، إني أجد قوة، قال: ((فصم صيام نبي الله داود عليه السلام ولا تزدد عليه))، قلت: وما كان صيام

²⁹⁷ مسلم اليوسف مؤسسة الريان (الدكتور)، 133

²⁹⁸ محمد رشيد رضا، **حقوق النساء في الإسلام** ن تعليق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، طبعة: 1404 هـ - 1984 م، ص: 45



نبي الله داود عليه السلام؟ قال: ((نصف الدهر))، فكان عبدالله يقول بعدما كبر: يا ليتني قبلتُ رخصة النبي صلى الله عليه وسلم!؛ رواه الشيخان²⁹⁹. وقد دل هذا الحديث على وجود حقوق على المسلم تجاه نفسه وأهله، فعلى المسلم أن يؤدي هذا الحقوق، وإلا كان مفرطاً، وعليه فإن على المرأة إذا خرجت للعمل ألا تفرط في هذا الحق لزوجها وأولادها.

خامساً: ملاءمة العمل لطبيعة المرأة: ينبغي في العمل الذي تعمله المرأة أن يكون موافقاً لطبيعتها التي خلقها الله عليها؛ فإن الله عز وجل قد اقتضت حكمته أن تختلف طبيعة المرأة عن طبيعة الرجل، وقد جاء الطب الحديث وعلم وظائف الأعضاء ليشير إلى هذه الاختلافات بين الرجل والمرأة، حتى إن هذا أصبح مسلماً به ولا ينكره إلا مكابر³⁰⁰. وعليه، فإنه لا ينبغي للمرأة أن تعمل الأعمال التي تختص بالرجال، كالتي تحتاج إلى محض القوة العضلية، ونحو ذلك. ولقد كانت المرأة على عهد النبي صلى الله عليه وسلم وفي القرون المفضلة تلي أعمالاً تليق بطبيعتها التي فطرها الله عليها؛ فهذه عائشة - رضي الله عنها - كانت أفقّة الناس، وأعلم الناس، وكانت تتولى التعليم في حياة النبي صلى الله عليه وسلم وبعد وفاته³⁰¹.

سادساً: الالتزام باللباس الشرعي:

اشتراط الفقهاء على المرأة للخروج من بيتها أن تلتزم باللباس الشرعي الذي يغطي جميع بدنها، إلا الوجه والكفين ففيهما الخلاف، هل هما عورة أو لا؟، فالجمهور على أنهما ليسا من العورة، غير أن المرأة تغطيهما في حال خوف الفتنة، وقول في مذهب الإمام أحمد أنهما عورة، ويشترط أيضاً في لباس المرأة المسلمة ألا يكون لبسها زينة في نفسه، وألا يشبه لباس الرجال، وألا يشبه لباس الكافرات، وأن يكون غليظاً لا يشف، وأن يكون واسعاً لا يصف.

سابعاً: عدم مس الطيب، وهو العطر:

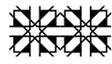
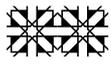
يشترط لخروج المرأة من بيتها إلى العمل المباح: ألا تمس طيباً، ولا تصيب بخوراً، وقد نص السادة الفقهاء على هذا الشرط عند حديثهم عن خروج المرأة من بيتها³⁰². أما النساء إذا خرجن فلا يتطيبن، ولا يتزينن؛ لخوف الافتتان بهن. وقد استدلل الفقهاء على عدم جواز مس المرأة للطيب إذا أرادت

²⁹⁹ : مسلم اليوسف مؤسسة الريان (الدكتور)، 134

³⁰⁰ : محمد حسن عبد الغفار، فقه المعاملات المعاصرة <http://www.islamweb.net>

³⁰¹ مسلم اليوسف مؤسسة الريان (الدكتور)، 135

³⁰² جاء في حاشية الدسوقي 1/ 398:



الخروج من بيتها بما يلي: عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((أيما امرأة أصابت بخورًا، فلا تشهد معنا العشاء الآخرة)): رواه مسلم في صحيحه.

تاسعًا: أمن الفتنة:

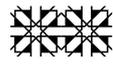
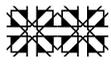
يشترط لخروج المرأة من بيتها للعمل المباح ولغيره: أمن الفتنة في الطريق، وفي مكان العمل، بحيث يؤمن أن تفتن أو يفتتن بها، فإذا كان يخشى أن يفتتن بها الرجال الأجانب عنها، أو يخشى عليها أن تفتن هي، فإنه لا يجوز لها الخروج في تلك الحالة؛ ولهذا كره بعض الفقهاء خروج الشواب من النساء؛ لخوف الفتنة. ويستدل الفقهاء على هذا الشرط بحديث أسامة بن زيد - رضي الله عنه - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((ما تركتُ بعدي فتنة أضرت على الرجال من النساء)): رواه الشيخان في صحيحهما³⁰³. فقد بيّن النبي صلى الله عليه وسلم ما يحصل من افتتان الرجل بالنساء، وأن تلك الفتنة هي الأشد ضررًا على الرجال، فينبغي على الرجال ترك الافتتان بالنساء، وينبغي على النساء ألا يوقعن أنفسهن في تلك الفتنة.

عاشرًا: عدم الخلوة أو الاختلاط بالرجال:

يشترط لخروج المرأة للعمل المباح ألا يكون هناك خلوة برجل أجنبي عنها، وألا يكون هناك اختلاط بالرجال لغير ضرورة. وقد نص الفقهاء على تحريم ذلكم الاختلاط، وأن على المرأة إذا خرجت لعمل مباح ألا تزاحم الرجال، واستدل الفقهاء على تحريم الخلوة بما رواه عبدالله بن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: ((لا يخلون رجل بامرأة)): متفق عليه. فقد بيّن النبي صلى الله عليه وسلم أنه لا يجوز خلوة الأجنبي بأجنبية عنه؛ لأن هذا سبيل للشيطان، والحديث بصيغة النهي ليبدل على تحريم الخلوة بين المرأة وكل أجنبي عنها. كما استدلووا على تحريم الاختلاط بما رواه أبو داود في سننه عن أسيد بن حضير، أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو خارج من المسجد وقد اختلط الرجال مع النساء في الطريق يقول للنساء: ((استأخرن؛ فإنه ليس لكن أن تحققن الطريق))، ومعنى تحققن الطريق: أي: تسرن في حق الطريق؛ أي وسطه. وفي هذا الحديث نهى النبي صلى الله عليه وسلم النساء أن يسرن في وسط الطريق بحيث يختلطن بالرجال، بل عليهن تجنب هذا الاختلاط بالسير في حافات الطرقات، وهذا دليل على تحريم اختلاط النساء بالرجال الأجانب؛ لأن ذلك هو حقيقة النهي.

³⁰³ محمد رشيد رضا، حقوق النساء في الإسلام ن تعليق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب

الإسلامي، طبعة: 1404 هـ - 1984 م، ص: 45



البيت هو مملكة المرأة ، ومقر عملها أصلاً: مملكة المرأة بيتها وأسرتها، فهي تمثل الجانبين الداخلي والخارجي للأسرة، فكما قال النبي، صلى الله عليه وسلم: «المرأة راعية في بيت زوجها وهي مسؤولة عن رعيتهما»، فمن الأخوات من انشغلت عن مملكتها بوظيفتها ومنصبها ومنهن من انشغلن بالزيارات والأسواق وتتبع الماركات، وبعضهن غير موظفات ولكن ليست الأسرة من اهتمامهن، وهن في الوقت نفسه يشتكين من فراغ قاتل يتعبهن جداً! وفي هذه الحال تغدو المملكة لا روح فيها ولا مشاعر لغياب الأم والزوجة عنها، ولست هنا في مجال التعميم، فمعاذ الله أن أعمم هذا الواقع على جميع الأخوات، لكن بعضهن بالفعل انشغلن من دون سبب أو مبرر، فالخادمة هي سيدة المنزل وتقوم بكل شيء، بل هي التي تذهب مع الزوج للجمعية التعاونية وتقول له ينقص المنزل كذا وكذا! بل وتقوم الخادمة بأدق وأخص مسائل العناية بالمنزل وكأنها هي صاحبة المنزل وراعية الشأن، وأما الراعية الأولى ففي عالم آخر غير مكترثة ببيتها وأسرتها³⁰⁴.

إن المرأة في بيتها ملكة

المبحث الرابع: موقف الإسلام من عمل المرأة .

سماحة الإسلام من عمل المرأة

أباح الإسلام للمرأة أن تمارس العمل المشروع الذي تحسن أداءه ولا يخالف طبيعتها وقيده بما يحفظ كرامتها ويصونها من الابتذال. فلم يمنعها من العمل كما لم يفرضه عليها وإنما تعمل بما شاءت حسب ما تقتضيه ظروفها والضرورة الاجتماعية.

وقد وضع الإسلام شروطاً لخروج المرأة للعمل منها:

1. أن لا يمنعها عملها من أداء مهمتها الأساسية كأم وزوجة.

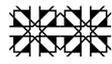
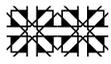
2. أن تتجنب الاختلاط والخلوة بالرجال الأجانب.

3. أن تؤدي عملها في وقار وحشمة.

وتختلف نظرة الإسلام لعمل المرأة اختلافاً كلياً عن نظرة الغرب الذي يخرجها للعمل دون قيد أو شرط. أما في الإسلام فهناك تقسيم للعمل وتخصيص للوظائف فالرجل مكلف بالعمل للإنفاق على المرأة لتتفرغ لوظيفتها الخطيرة في تربية الأجيال. ولا شك أن هذا التخصص يعطي جودة في الإنتاج وامتيازاً في النوعية. الإسلام دين العمل والجد والاجتهاد ودين البذل والعطاء. وحث الإسلام على العمل وأعلى شأنه مهما كان نوعه مادام عملاً مشروعاً. وأباح الإسلام للمرأة أن تضطلع بالوظائف

³⁰⁴ مصطفى بن حسني السباعي، المرأة بين الفقه والقانون، دار الوراق للنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة:

السابعة، 1420 هـ - 1999 م، ص: 345

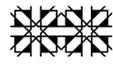
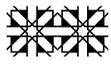


والأعمال المشروعة التي تحسن أداءها ولا تخالف طبيعتها فلم يحرم عليها أي عمل أو أي مهنة شريفة وإنما قيده بما يحفظ كرامتها ويصونها من الابتذال وينأى بها عما يتنافى مع الخلق الكريم. ومن سماحة التشريع أنه لم يمنعها من العمل كما لم يفرضه عليها بل جعله أمراً مباحاً تعمل متى شاءت حسب ما تقتضيه ظروفها. فلم يمنعها من العمل حتى وهي معتدة إذا كانت هناك ضرورة لذلك. فقد ورد في الحديث الصحيح (عن أبي الزبير أنه سمع جابر بن عبد الله قال: طُلقت خالتي فخرجت تجذ نخلها فزجرها رجل أن تخرج فأنت النبي صلى الله عليه وسلم فقال: بلى فجذني نخلك فإنك عسى أن تتصدقني وتفعلني معروفاً)³⁰⁵ فلم يمنعها من العمل حتى وهي في العدة مادام هذا العمل ضرورياً ومشروعاً ونافعاً.

ومن صفات المرأة أن الله حباها بالقدرة على تحمل المسؤوليات المختلفة والصبر عليها والقدرة الفائقة في تحقيق أهدافها وقد أثبتت الدراسات العلمية أن المرأة أكثر سرعة من الرجل في الاستجابة للدافع. ونرى ذلك في قدرتها العظيمة على أداء رسالتها في تربية الأجيال وإدارة أسرتها بالإضافة إلى تمكنها من استثمار قدراتها في المشاركة الفعالة في مجالات الحياة المختلفة وخير نموذج لنا يبرز مشاركة المرأة في الأعمال التجارية السيدة خديجة رضي الله عنها التي أدارت عملها التجاري مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قضى صدر شبابه عاملاً لها في مالها. وفي مجال الصناعة والحرف كانت هناك السيدة زينب بنت جحش رضي الله عنها فقد كانت امرأة تصنع بيدها فتديغ وتخز وتصدق في سبيل الله. وقد امتدح الرسول صلى الله عليه وسلم فعلها (قال صلى الله عليه وسلم لأزواجه يتبعني أطولكن يداً قالت عائشة فكنا إذا اجتمعنا في بيت إحدانا بعد النبي صلى الله عليه وسلم نمد أيدينا إلى الجدار نتناول فلم نزل نفعل ذلك حتى توفيت زينب بنت جحش وكانت امرأة قصيرة يرحمها الله ولم تكن أطولنا فعرفنا حينئذ أن النبي صلى الله عليه وسلم إنما أراد بطول اليد الصدقة).

والإسلام جعل للمرأة اقتصاداً مستقلاً فلها أن تملك وتبيع وتشتري وتهب... إلخ. وأعطاهها فرصاً متميزة لتكوّن مالاً كقاعدة اقتصادية فأعطاهها مثلاً الميراث والمهر فأصبح الميراث والمهر حقاً مفروضاً لها لا يملك أحد إلغاؤه حتى قيام الساعة ويمكن أن تساهم المرأة بجهدا بما تستطيع خدمة لمجتمعها كما فعلت المرأة الفقيرة في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم فكانت تقوم بكنس المسجد وتنظيفه وكان الرسول يقدر ذلك لها (حديث المرأة التي كانت تقيم المسجد)

1- صحيح مسلم بشرح النووي، ج3- كتاب الطلاق، باب جواز خروج المعتة البائن، ص 703



وكان عمر رضي الله عنه يقدر المرأة ويعرف حقها إذا كانت صاحبة تخصص فهذه الشفاء بنت عبد الله العدوية يقدمها في الرأي ويفضلها وربما ولأها شيئاً من أمر السوق. وقد وضع الإسلام ضوابط وشروطاً لخروج المرأة للعمل منها:

- أن لا يستغرق العمل وقتها وجهدها فيمنعها من أداء مهمتها الأساسية كأم وزوجة.
- أن لا يخرجها عن خصائصها ومقتضيات مهمتها الفطرية
- أن تؤدي عملها في وقار وحشمة حتى تكون بعيدة عن الفتنة وسوء الظن
- أن تتجنب الاختلاط والخلوة بالرجال الأجانب. فقد ورد عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال (لا يخلون رجل بامرأة إلا ومعها ذو محرم)³⁰⁶.

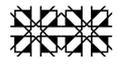
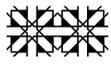
فإذا عملت المرأة ضمن هذه التصورات والمفاهيم الإسلامية فلا مانع من خروجها. وقد ترك لها الإسلام المجال مفتوحاً لتعمل حسب ظروفها وفي المجال المناسب لها كإمرأة مسلمة لا أن تخرج للعمل لمجرد العمل دون اعتبار لما تقدم.

ونظرة الإسلام لعمل المرأة تختلف اختلافاً كلياً عن نظرة الغرب الذي لا يفرق بين الرجل والمرأة في ضرورة العمل وكسب كل واحد منهما رزقه. فالمرأة في الغرب مكلفة كالرجل سواء بسواء فعليها أن تكد وتكدح وتعمل في كل الميادين حتى تعيش وتكسب لقمة عيشها وما يسد حاجاتها وضروراتها. أما تعاليم الإسلام فتقوم على تقسيم العمل وتخصيص الوظائف فجعل من مهام الرجل العمل والكسب للإنفاق على المرأة أمماً وزوجة وبنات وألزم الرجل بالنفقة عليها لتتفرغ لوظيفتها الخطيرة في تربية الأجيال.

ويتجلى في هذا التقسيم حكمة الخالق الذي أراد للبشرية أن يتخصص كل في مجاله الذي أعد له. ولا شك أن هذا التخصص يعطي جودة في الإنتاج وامتيازاً في النوعية. ويمكن تحقيق مكاسب التكامل في مجتمعنا بتقبل عمل المرأة في المجتمع بمجالاته المختلفة وخاصة من ناحية تحقيق التنمية الاقتصادية وذلك من خلال مراعاة الأمور التالية:

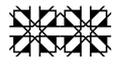
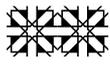
1. اعتبار عملها في بيتها وظيفية محسوبة ضمن خطط التنمية ولها أولوية خاصة.
2. إظهار شرع الله في حثه على العمل والخطاب في نصوص الشريعة عام يشمل المرأة والرجل.
3. وضع قوانين اقتصادية تحمي المرأة في عملها.

1- صحيح مسلم بشرح النووي، ج3-كتاب الحج، باب سفر المرأة مع محرم إلى الحج وغيره، ص 489



4. وضع ضمانات خاصة لاستقلالية عملها اقتصاديا قال تعالى: "للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن...."³⁰⁷
5. زيادة كفاءة المرأة بعمل دورات علمية اقتصادية متخصصة.
6. إصدار دليل اقتصادي استثماري ليساعدها في مسيرتها
7. الاهتمام بتأليف الكتب الخاصة بالاستثمار النسائي أو بالتشجيع في الكتابة في الصحف فيما يختص بأخلاقيات المرأة في العمل ومالها وما عليها.
8. مراعاة الأولويات في حياة المرأة بصفة خاصة بحيث لا يطغى العمل على مهامها الأساسية كالأولاد والأسرة.

لا يمنع الإسلام عمل المرأة ولا تجارتها فالله جل وعلا شرع للعباد العمل وأمرهم به فقال قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ﴾ ^(١٠٥) ﴿ التوبة: ١٠٥ وقال قَالَ تَعَالَى: ﴿ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴾ ^(٢) ﴿ الملك: ٢ وهذا يعم الجميع الرجال والنساء، وشرع التجارة للجميع، فالإنسان مأمور بأن يتجر ويتسبب ويعمل سواء كان رجلا أو امرأة، قَالَ تَعَالَى: ﴿ يَتَأْتِيهَا الذَّيْبُ ءَأَمْنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِّنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴾ ^(٢٩) ﴿ النساء: ٢٩ هذا يعم الرجال والنساء جميعًا. قَالَ تَعَالَى: وَأَسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَىٰ وَلَا يَأْبُ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا وَلَا تَسْمَعُوا أَنْ تَكْفُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰ ﴾ ^(٢٨٢) ﴿ البقرة: ٢٨٢ وهذا للرجال والنساء. فأمر بالكتابة عند الدين وأمر بالإشهاد ثم بين أن هذا كله فيما يتعلق بالمداينات، فالكتابة في الدين والإشهاد عام ثم قال ^طإِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا : ، أما الإشهاد فيشهد ولهذا قال بعدها: وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ. فهذا كله يعم الرجال والنساء، فالكتابة للرجال والنساء في الدين، والتجارة للرجال والنساء، والإشهاد للرجال والنساء، فيشهدون على بيعهم ويشهدون في تجارتهم وكتابتهم، ولكن التجارة الحاضرة لا حرج في عدم كتابتها؛ لأنها تنقضي ولا يبقى لها علق، وهذا يعم الرجال والنساء جميعًا.



وهكذا ما جاء في النصوص يعم الرجال والنساء كحديث النبي ﷺ حيث قال عليه الصلاة والسلام: البيعان بالخيار ما لم يتفرقا، فإن صدقا وبينا بورك لهما في بيعهما وإن كتما وكذبا محقت

بركة بيعهما³⁰⁸، قَالَ تَعَالَى: وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا (٣٧٥) ﴿البقرة: ٢٧٥﴾

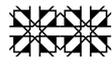
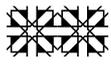
يعني للجميع. لكن يجب أن يلاحظ في العمل وفي التجارة: أن تكون الخلطة بينهم خلطة بريئة بعيدة عن كل ما يسبب المشاكل واقتراف المنكرات، فيكون عمل المرأة على وجه لا يكون فيه اختلاط بالرجال ولا تسبب للفتنة، ويكون كذلك تجارتها هكذا على وجه لا يكون فيه فتنة مع العناية بالحجاب والستر والبعد عن أسباب الفتنة. هذا يلاحظ في البيع والشراء وفي الأعمال كلها؛ لأن الله قال جل وعلا قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا (٣٣) ﴾ الأحزاب: ٣٣ وقال سبحانه: قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسَأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ (٥٣) ﴾ الأحزاب: ٥٣ وقال سبحانه: قَالَ تَعَالَى: ﴿ يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ قُلًا لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءَ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِيكَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلْبِيبِهِنَّ ذَلِكُمْ أَذْنُ أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذِنَنَّ اللَّهُ عَفْوَراً رَحِيماً (٥١) ﴾ الأحزاب: ٥٩

فبيعهن وشراؤهن على حدة بينهن لا بأس به، والرجال على حدة، وهكذا أعمالهن، هذه تعمل طيبة للنساء، ممرضة للنساء تعلم النساء لا بأس، وهذا طيب للرجال وهذا يعلم الرجال لا بأس. أما أن تكون طيبة للرجال والرجل طيبا للنساء أو تكون ممرضة للرجال والرجل يكون ممرضا للنساء فهذا مما ياباه الشرع لما فيه من الفتنة والفساد.

فلا بد مع السماح بالعمل لها وللرجل، والتجارة لها وللرجل أن يكون ذلك على وجه ليس فيه خطر على دينها وعرضها، وليس خطراً على الرجل، بل تكون أعمالها على وجه ليس فيه ما يسبب التعرض لدينها وعرضها، ولا يسبب أيضاً فساد الرجال، وفتنة الرجال، وهكذا عمل الرجال فيما بينهم، ولا يكون بينهم من النساء ما يسبب الفتنة والفساد. بل هؤلاء لهم أعمال وهؤلاء لهم أعمال على طريقة سليمة ليس فيها ما يضر هذا الصنف ولا هذا الصنف، ولا يضر المجتمع نفسه.

ضوابط عمل المرأة:

³⁰⁸ أخرجه البخاري في كتاب البيوع، باب إذا بين البيعان ولم يكتما ونصحها برقم 2079، ومسلم في كتاب البيوع، باب الصدق في البيع برقم 1532.



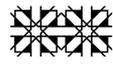
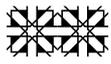
و حيث إن المجتمع الإسلامي و المرأة المسلمة قد تحتاج إلى عمل المرأة ببعض الأعمال ، و المهام على سبيل الضرورة ، كأن تعمل معلمة لتعليم بنات جنسها ، و طبيبة لمعالجة و تطبيب الإناث ، أو أن تعمل بأي عمل يفيد المجتمع وبنات جنسها مع مراعاة الضوابط الشرعية و التي من أهمها³⁰⁹ :
ألا يكون لعمل المرأة تأثيراً سلبياً على حياتها العائلية : عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : ألا كلكم راع ، وكلكم مسؤول عن رعيته ، فالأمير الذي على الناس راع وهو مسؤول عن رعيته ، و الرجل راع على أهل بيته ، و هو مسؤول عنهم ، و المرأة راعية على بيت بعلمها و ولده و هي مسؤولة عنهم ، و العبد راع على مال سيده ، و هو مسؤول عنه ألا فكلكم راع ، و كلكم مسؤول عن رعيته . ذلك أن المرأة راعية لبيتها ، و لأولادها و إن عملها خارج بيتها فيه مضیعة للأولاد ، و تقصير لحق الزوج ، لذلك فإن عملها محرم للفساد الذي ينتج من خلال عمل المرأة خارج بيتها .

قال الشيخ ابن باز عليه رحمة الله : (أن عمل المرأة بعيداً عن الرجال ، و كان فيه مضیعة للأولاد ، و تقصير بحق الزوج من غير اضطرار شرعي لذلك يكون محرماً ، لأن ذلك خروج عن الوظيفة الطبيعية ، و تعطيل للمهمة الخطيرة التي عليها القيام بها ، مما ينتج عنه سوء بناء الأجيال ، و تفكك عرى الأسرة التي تقوم على التعاون ، و التكافل .³¹⁰

ألا تعمل عملاً فيه محذور شرعي ، كالاختلاط و الخلوطة : لقوله تعالى : ((يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِزَوَّاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً)) (الأحزاب:59)، عن أم عطية قالت : أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نخرجهن في الفطر ، و الأضحي العواتق ، و الحيض وذوات الخدور . فأما الحيض فيعتزلن الصلاة ، و يشهدن الخير ، و دعوة المسلمين ، قلت : يا رسول الله إحدانا لا يكون لها جلباب ، قال : لتلبسها أختها من جلبابها . فالرسول الله صلى الله عليه وسلم قد أمر جميع المسلمات أن تلبس الحجاب إن أردن الخروج ، و عند عدمه لا يمكنها أن تخرج . و لقوله عليه الصلاة و السلام : ((إياكم ، و الدخول على النساء ، فقال رجل من الأنصار : يا رسول الله أفرأيت الحموم ، قال الحموم الموت)) . عَنْ أَبِي مَعْبُدٍ قَالَ سَمِعْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ يَقُولُ سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَخْطُبُ يَقُولُ لَا يَخْلُونَ رَجُلًا بِامْرَأَةٍ إِلَّا وَمَعَهَا ذُو مَحْرَمٍ وَلَا تُسَافِرُ الْمَرْأَةُ إِلَّا مَعَ ذِي مَحْرَمٍ فَقَامَ رَجُلٌ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ امْرَأَتِي خَرَجَتْ حَاجَةً وَإِنِّي اكْتَتَبْتُ فِي غَزْوَةٍ كَذَا وَكَذَا قَالَ انْطَلِقِي فَحُجِّ مَعَ امْرَأَتِكَ (و اللفظ لمسلم) ففي هذه

³⁰⁹ علي الأنصاري. المرأة تعليمها وعملها في الشريعة الإسلامية. صفحة 65.

³¹⁰ عبد الله بن وكيل الشيخ . عمل المرأة في الميزان . صفحة 11



الأحاديث ، و غيرها تصريح بعدم إجازة الدخول على النساء ، وبعدم الخلوة مع المرأة الأجنبية إلا مع ذي محرم حفاظا على الأعراض ، و وقاية من القيل و القال و الفتن .³¹¹
ألا يؤثر عملها على عمل الرجال ، كأن تكون سببا في قطع رزقه : فالمرأة قد تقبل أن تعمل بأجر زهيد على عكس الرجل الذي يعيش هو ، و من تحت جناحيه من هذا العمل ، مما يؤدي إلى انتشار البطالة ، و تفاقمها في صفوف الرجال . لقوله تعالى : ((الرجال قوامون على النساء)) . سورة النساء الآية 34 . و لقوله عليه الصلاة والسلام : (لا ضرر و لا ضرار في الإسلام) .
قال ابن عبد البر : (معنى لا ضرر : لا يدخل على أحد ضرر لم يدخله على نفسه ، و معنى لا ضرار لا يضار أحد بأحد) .³¹²

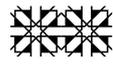
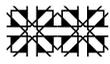
و قال الخشني : (الضرر الذي لك فيه منفعة ، و على جارك فيه مضرة ، و الضرر الذي ليس لك فيه منفعة ، و على جارك فيه المضرة) . فالمرأة عندما تعمل دون ضوابط شرعية تجلب منفعة لنفسها لا تتناسب مع المضرة التي تلحقها بغيرها على أحسن وجه ، و ربما تجلب من جراء عملها الضرر ، و المضرة و الضرار لها ، و لغيرها . إذا لم تراع الضوابط الشرعية التي وضعها العلماء المعتبرون .

أن يتوافق عملها ، و طبيعتها الأنثوية : فقد أثبتت الدراسات الطبية أن كيان المرأة النفسي ، و الجسدي الذي خلقه الله تعالى على هيئة تخالف تكوين الرجل ، و قد بني جسم المرأة ليتلاءم مع وظيفتها الأمومة ملائمة كاملة ، كما أن نفسياتها قد هيئت لتكون ربة أسرة ، و سيدة بيت ، و قد كان لخروج المرأة إلى العمل وتركها بيتها ، و أسرته نتائج فادحة في كل مجال .
يقول تقرير الصحة العالمية : (أن كل طفل مولود يحتاج إلى رعاية أمه المتواصلة لمدة ثلاث سنوات على الأقل . و أن فقدان هذه الغاية يؤدي إلى اختلال الشخصية لدى الطفل كما يؤدي إلى انتشار جرائم العنف المنتشر بصورة مريعة في المجتمعات الغربية و طالبت هذه الهيئة الموقرة بتفريغ المرأة للمنزل ، و طلبت من جميع حكومات العالم أن تفرغ المرأة ، و تدفع لها راتبها شهريا إذا لم يكن لها من يعولها حتى تستطيع أن تقوم بالرعاية الكاملة لأطفالها³¹³ .
و قد أثبتت الدراسات الطبية ، و النفسية أن المحاضن ، و روضات الأطفال لا تستطيع القيام بدور الأم في التربية و لا في إعطاء الطفل الحنان الدافق الذي تغذيه به .
و بعد هذه الشروط و الضوابط الشرعية ما هي مجالات العمل المسموح بها للمرأة المسلمة ؟ .

³¹¹ علي الأنصاري. المرأة تعليمها و عملها في الشريعة الإسلامية ، صفحة 89.

³¹² المرجع السابق ، ص: 90

³¹³ علي الأنصاري. المرجع السابق ، صفحة 91.



لعل خير عمل تعمل به المرأة هي رعاية بيتها ، و أولادها و زوجها ، كما يمكن أن تعمل في هذه المجالات ضمن الضوابط التي أوردتها علماء الأمة المعترين :

1- في مجال الدعوة إلى الله تعالى : كداعيات و معلمات يعلمن النساء أحكام الشريعة الإسلامية بكافة أصولها ، و فروعها في المدارس ، و المعاهد و الجامعات و للحصول على أعلى الشهادات العلمية و

و التعليمية
المعتبرة

2- مجال العلم ، و التعليم العام : كأن تعمل مدرسة للبنات ، فتعلمهن كافة علوم العصر الحديثة التي يحتاجها في حياتهن لأجل مجتمعهن مع مراعاة الضوابط الشرعية. عن الشفاء بنت عبد الله ، قالت : دخل علي رسول الله صلى الله عليه و سلم ، و أنا عند حفصة ، فقال لي : ألا تعلمين هذه الرقية النحلة كما علمتها الكتابة)³¹⁴.

3- في التطبيب : لمعالجة و تطبيب النساء من الأمراض ، و الحمل و الولادة و غيرها .

4- في مجال الشؤون البيتية : كأن تعمل في خياطة و تفصيل الألبسة النسائية و الولادية ، و غيرها من المهارات اليدوية المشابهة . عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، قال : كانت ابنة الرسول صلى الله عليه وسلم ، و كانت من أكرم أهله عليه ، و كانت زوجتي ، فجرت بالرحى حتى أثر الرحى بيدها ، و أسقت بالقربة حتى أثرت بنحرها ، و قمت - أي كنست - البيت حتى اغبرت ثيابها ، و أوقدت تحت القدر حتى دنست ثيابها ، فأصابها من ذلك ضرر .

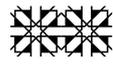
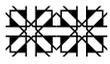
و بعد ، أليس الأجدد بالمرأة أن تؤدي واجباتها الأساسية كزوجة ، و أم ، و أخت ، لها مسؤولياتها في الأسرة على الوجه الذي رسمه ، و حدده لها الشرع الحنيف .³¹⁵

و أليس من الشطط أن يمجّد عمل المرأة خارج هذه الضوابط الشرعية من أجل تقليد الغربيات اللواتي لم يحققن من خروجهن على التعاليم الربانية إلا الخراب للبيوت الآمنة ، فانحلت الأخلاق ، و فسد المجتمع و شرد كثير من الأطفال مما ولد مشاكل عظيمة لدى حكومات الدول الغربية و من نهج نهجها في أسلوب حياتها في معالجة البطالة و أطفال الزنى و الأمراض الجنسية الخطيرة كالأيدز و غيرها و رصدت لذلك مئات الملايين من الدولارات و دون جدوى ، و فتكت البطالة في صفوف الرجال

أضرار عمل المرأة المتزوجة:

³¹⁴ علي الأنصاري. المرجع السابق ، صفحة 93

³¹⁵ علي الأنصاري. المرجع السابق ، صفحة 99.



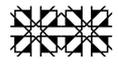
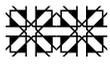
- لطالما كانت الأضرار الواقعة، من عمل المرأة المتزوجة، تكون المرأة هي المتضررة الأولى منها، فالعمل خارج المنزل، يزيد من الأعباء الواقعة على كاهل المرأة، وهذا يضطرها لبذل جهدٍ مضاعف.
- عمل المرأة بجانب واجباتها المنزلية، تجاه أولادها، وزوجها، يجعلها لا تجد وقتًا خاصًا بها؛ لكي ترتاح، وتهتم بنفسها، كأى امرأة، بالإضافة للتعب والإرهاق، الذي تعاني منه دومًا المرأة المتزوجة.
- احتكاك المرأة بالرجال في مجال العمل، قد يؤثر عليها نفسيًا، فهناك العديد من الرجال، ما زالوا ينظرون إلى المرأة نظرةً دونية، فهي بالنسبة لهم، مصدرًا للمتعة فقط، ناهيك عن التحرش، الذي تعاني منه 80% من النساء العاملات³¹⁶.
- عدم وجود وقت فائض، للترفيه عن نفسها، بالخروج مع صديقاتها مثلًا، زيارة عائلتها، حتى يوم الإجازة، معظم النساء تتخذنه يومًا لتنظيف المنزل، وإعداد الطعام

أضرار عمل المرأة على الأسرة:

- بالتأكيد من أكثر الأمور السلبية، التي تحدث عند خروج المرأة للعمل، هي عدم الاهتمام الكافي بالأطفال، وحتى إذا كان الأبناء أكبر نسبيًا، و يستطيعون الاعتماد على أنفسهم، فوجود الأم بالمنزل، يعطي شعورًا بالطمأنينة. وأن جميع الأمور على ما يرام.
- أغلب السيدات العاملات، نظمن الأسرة منذ البداية، فرعاية طفل، أو طفلين، أقل جهدًا، ووقتًا من رعاية عدد أكبر، ولكن صغر سن الأولاد، يجعلهم بحاجة دائمة للأم.
- تأثير غياب الأم على سلوك، ودراسة الأبناء، فهي لن تستطيع متابعة سلوك أبنائها أغلب الوقت، بالإضافة لعدم استطاعتها متابعة مستواهم الدراسي.
- بالتأكيد سوف يحدث قصور، في التواصل بين الأم العاملة، وأولادها، اختلال الأدوار أيضًا بين الأم والأب في المنزل، يجعل الابناء مترددين بعض الشيء، عند الاحتياج لمشاركة أحدهم في أمر ما³¹⁷.

³¹⁶ المقابلة الشخصية مع زوج امرأة موظفة (السيد أحمد بلا صغير) في بيته 2/11/2023م =10:30 صباحا

³¹⁷ : المقابلة الشخصية مع زوج امرأة موظفة (السيد أحمد بلا صغير) في بيته 2/11/2023م =10:30 صباحا



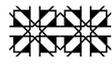
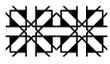
- النزاع الذي يحدث دائمًا بين الأب والأم بسبب عملها، يؤثر سلبياً على نفسية الأبناء، وهذا ما يجعل لغة الحوار مفقودة تمامًا داخل المنزل.
- اختلاف المواعيد، يجعل كل فرد في الأسرة يصل البيت في توقيت مختلف عن الآخر، وبالتالي كل فرد يأكل بمفرده، توقيت النوم أيضًا يختلف، فتجد هناك افتقار لروح الألفة، والمشاركة بين كل أفراد الأسرة³¹⁸.

تأثير عمل المرأة المتزوجة على علاقتها بزوجها:

- من أكثر الأمور السلبية الناتجة عن عمل المرأة، توتر العلاقة بينها، وبين زوجها، فنجد كثيرًا من الرجال غير راضٍ عن حياته؛ بسبب عمل زوجته، ولكنه مضطر أن يتقبل الوضع؛ نظرًا للظروف المادية الصعبة.
- بعض الرجال لا يمانعون عمل الزوجة، ولا يطلبون منها أيضًا المساعدة والإنفاق في المنزل، ولكن كل ما يحتاجون إليه هو الاهتمام من جانب زوجته، وطبعًا هذا يقل تدريجيًا عند خروج المرأة للعمل.
- فتبدأ العلاقة بالتوتر، وحدوث المشاكل تدريجيًا، إلى أن تصل إلى علاقة روتينية، ومستمرة فقط من أجل الأولاد، والشكل الاجتماعي أمام الناس، وهنا يلجأ معظم الرجال للعلاقات الخارجية، مما يزيد الأمور تعقيدًا.
- هناك جانب آخر من الرجال، كل ما يشغل اهتمامه الجانب المادي العائد من عمل الزوجة، بل ويلزمها بمصاريف معينة، للبيت، والأبناء، مما يجعل المرأة تضطر لإخفاء راتبها الحقيقي؛ لشعورها بالطمع، والاستغلال، من جانب زوجها.
- بالتأكيد إرغام المرأة على الإسراف في المنزل، ليس من الشريعة، ويحدث جفاءً كبيرًا من ناحية الزوجة لزوجها، مما يجعل العلاقة بينهما مظلمة، وهذا من ضمن الأسباب، التي تجعل المرأة هي الأخرى، تنظر خارجًا؛ بحثًا عن الاهتمام، من رجل يراها أنثى، وليست مصدرًا للمال، وتنظيف المنزل فقط.
- لا شك أن هناك علاقات زوجية ناجحة، والمرأة تعمل أيضًا، وهنا نجد كل طرف يتحمل الآخر، وهذا أصل العلاقة، والزواج الناجح.

الخاتمة:

³¹⁸ المقابلة الشخصية مع زوج امرأة موظفة (السيد أحمد بلا صغير) في بيته 2023/11/2 م = 10:300 صباحا



أن استقرار المرأة في بيتها والقيام بما يجب عليها من تديره بعد القيام بأمر دينها هو الأمر الذي يناسب طبيعتها وفطرتها وكيانها، وفيه صلاحها وصلاح المجتمع وصلاح الناشئة، فإن كان عندها فضل ففي الإمكان تشغيلها في الميادين النسائية؛ كالتعليم للنساء، والتطبيب، والتمريض، لهنّ ذلك مما يكون من الأعمال النسائية في ميادين النساء، كما سبقت الإشارة إلى ذلك، وفيها شغل لهن شاغل.

ولا ننسى هنا دور أمهات المؤمنين رضي الله عنهن ومن سار في سبيلهن، وما قمن به من تعليم للأمة، وتوجيه وإرشاد، وتبليغ عن الله سبحانه، وعن رسوله صلى الله عليه وسلم؛ فجزاهنّ الله عن ذلك خيرًا، وأكثر في المسلمين اليوم أمثالهن، مع الحجاب والصيانة والبعد عن مخالطة الرجال في ميدان أعمالهم.

والله المسؤول أن يبصر الجميع بواجبهم، وأن يعينهم على أدائه على الوجه الذي يرضيه، وأن يقى الجميع وسائل الفتنة، وعوامل الفساد، ومكايد الشيطان، إنه جواد كريم، وصلى الله على عبده ورسوله نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

المراجع والهوامش:



السنة النبوية في مواجهة ثقافة العنف صلح الحديدية أنموذجا

Najeeb Auwal Abubakar, PhD.

Department of Islamic studies and shari'ah

Bayero University, Kano.

naabubakar.isl@buk.edu.ng

08033974128/08054242760

ملخص البحث:

امتازت الشريعة الإسلامية عن الأنظمة العالمية قديما وحديثا بالوسطية والاعتدال، ونشر ثقافة الرفق والأناة والحلم، في تشريعاتها وطرحها للقضايا الانسانية، ونبت ثقافة العنف بشتى أشكاله عرض الحائط، ويتجسد هذا بكل جلاء في تعامل النبي عليه الصلاة والسلام هو وأصحابه مع خصمه في غيرما موقف، من ذلك واقعة صلح الحديدية التي سطرها التاريخ، وتهدف هذه المقالة الموجزة إلى بيان ذلك وتشخيص المسائل المتعلقة بذلك، لأن الأمة اليوم يمارس ضدها أنواعا من العنف في شتى ميادين حياتها، والغريب أن يقع ذلك من بعض المسلمين، والحال أن السنة النبوية مليئة بمواجهتها، وماذا يكون رد فعلها لو مارس آخر العنف نحوها، فالسنة النبوية اهتمت بجوانب حياتية ووقائية تمنع وقوع العنف أصلاً، كما اهتمت بشكل آخر بجوانب زجرية وعقابية، تمحو آثار العنف بالكلية، وتمنع من معاودته وتكراره في حالة وقوعه. خلافا للمناهج البشرية الجاهلية، والقوانين الوضعية التي تهتم بمعالجة العنف بعد وقوعه، أكثر من اهتمامها بمنع حدوثه ابتداءً.

مدخل:

يعتبر الاسلام بصفته كدين سماوي، وشريعة ومنهاج حياة نقيض العنف والقمع، فهو مبني على التسامح بمعناه الصحيح، والرحمة بالخلق والرؤفة بهم، والعفو. فكافة أشكال العنف مرفوضة في الاسلام، وكانت من أبرز صفات رسول الله عليه الصلاة والسلام كما في القرآن ما ورد في قوله تعالى: **قَالَ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (التوبة: ١٢٨)** بل بصفة كونه مبلغا عن الله للعالم أجمع، كان رحمة

للعالمين قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (١٧) الأنبياء: ١٠٧ فالرسل أجمعون خلقوا للرحمة، ومحمد عليه الصلاة والسلام خلق بنفسه رحمة، فلذلك صار أمانا للخلق، لما بعثه الله أمن الخلق العذاب إلى نفخة الصور. وسائر الأنبياء لم يخلوا هذا المحل، ولذلك قال عليه السلام: (أنا رحمة مهداة) يخبر أنه بنفسه رحمة للخلق من الله.

هذا، وقد رتبت هذا المقال على:

المبحث الأول: مفهوم السنة النبوية، مصدريتها وحجيتها في الاسلام

المطلب الأول: تعريفها اللغوي والاصطلاحي

المطلب الثاني: مصدريه السنة وحجيتها في الاسلام

المبحث الثاني: مفهوم ثقافة العنف، واقعة صلح الحديبية

المطلب الأول: تعريف العنف اللغوي والاصطلاحي

المطلب الثاني: نبذة مختصرة عما ورد في السنة من ذم العنف

المبحث الثالث: السنة النبوية في مواجهة ثقافة العنف صلح الحديبية أنموذجا

المطلب الأول: مظاهر عنف المشركين في صلح الحديبية

المطلب الثاني: وجوه مواجهة السنة لعنف المشركين في صلح الحديبية

ثم الخاتمة المحتوية على أهم النتائج وقائمة المصادر

المبحث الأول: مفهوم السنة النبوية، مصدريتها وحجيتها في الاسلام

المطلب الأول: تعريفها اللغوي والاصطلاحي

السنة في اللغة بمعنى الطريقة والسيرة بنوعها حسنة وقبيحة.

قال خالد الهذلي³¹⁹:

فلا تجزن من سيرة أنت سرتها فأول راض سنة من يسيرها

واصطلاحا لها عدة إطلاقات بحسب المجالات التي يبحث فيها أهل العلم، وكذلك والأوقات والأزمان. فهي عند أهل الحديث: ما أثر عن النبي صلى الله عليه وسلم من قول، أو فعل، أو تقرير أو صفة خلقية أو خلقية، أو سيرة بعد البعثة، وقد يدخل بعض ما قبلها.³²⁰ ولعل الباحث يكتفي بالتعريف المذكور بناء على أنه يبني مقاله على فهم أهل الحديث للسنة.

³¹⁹ أورده الدكتور عمر الحسيني في كتابه مكانة السنة وعزاه للإصابة ج2/ ص354

³²⁰ الحسيني، عمر بن مصلح الحسيني، مكانة السنة النبوية، ص24

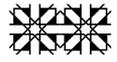
المطلب الثاني: مصدريه السنة وحجيتها في الاسلام

إن مصدريه السنة النبوية مستمدة من القرآن الكريم، من خلال سياقات عدة، كل منها يصلح أن يكون دليلا لمنزلتها ومصدريتها وحجيتها، من ذلك أن القرآن الكريم ألزم الأمة طاعة رسوله عليه الصلاة والسلام بقوله: {وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا} (الحشر، 7) وهذا فيه إلزام لاتباع شرعه وسنته فهو الواسطة بين الله وخلقه. ومنها أن السنة النبوية هي المفسرة للقرآن الكريم، فما يأتي في القرآن من إجمال، أو إطلاق، أو تعميم تكون السنة هي المفصلة والمقيدة والمخصصة لذلك، قَالَ تَعَالَى: ﴿ بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَنْفَكُرُونَ ﴾ (٤٤) النحل: ٤٤ فكيف السبيل إلى معرفة تفاصيل الأحكام الإسلامية من صلاة وصيام وزكاة ونحوها لولا السنة النبوية!

ومن ذلك أن ما يصدر عنه عليه الصلاة والسلام وحي إلهي، مبرؤ من كل عيب وهوى: قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ (٢) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ (٤) ﴾ النجم: ٣ - ٤. وهاتين الآيتين قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَوْ نَقُولُ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ (٤٤) لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ (٤٥) ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ (٤٦) ﴾ الحاقة: ٤٤ - ٤٦ وهذه تزكية ربانية في حقه عليه الصلاة والسلام يقتضي منها وجوب العمل بسنته.

ومنها أدلة تقضي بوجوب تعظيم سنته، ولا تعظيم للشئ من دون عمل به قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ (٦٥) النساء: ٦٥ فهو إقسام منه تعالى بربوبيته للرسول عليه الصلاة والسلام، الدالة على العناية الخاصة به، أنهم لا يؤمنون حقا، حتى يجعلوه حكما بينهم فيما يحصل بينهم من نزاع، وتحكيمه في حياته بالرجوع إليه، وبعد موته بالرجوع إلى سنته.³²¹ ومن أجل ما أوردته كله نجد سلف الأمة ينكرون جدا على من خالف السنة، ولعلي أكتفي بمثال واحد ورد في صحيح مسلم بسنده إلى ابن عمر أنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «لا تمنعوا نساءكم المساجد إذا استأذنكم إليها» قال: فقال بلال بن عبد الله: والله لئمنعن، قال: فأقبل عليه عبد الله: فسبه سبا

³²¹ المصدر السابق، ص 47



سينا ما سمعته سبه مثله قط وقال: " أخبرك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وتقول: والله لنمنعن ".³²² والعلم عند الله.

المبحث الثاني: مفهوم ثقافة العنف، و اقعة صلح الحديبية المطلب الأول: تعريف العنف اللغوي والاصطلاحي

تدل جملة من القواميس العربية التي استطاع الباحث الوقوف عليها على أن العنف ضد الرفق والشدة، فكل ما خرج عن حد الرفق، صدق عليه أن يسمى عنفا بغض النظر مرتبته أو كونه حسيا أو معنويا، فمعاملة الآخرين بنوع من الشدة والغلو بما يجحف حقهم، أو يلغي الاعتبار بهم عنف كله. قال صاحب التاج: يقال أعنفته تأنيفا أي عيرته ولمته ووبخته بالتقريع، والعنيف: الشديد في القول، والعنف: الغلظ والصلابة...³²³

وعلماء الاجتماع يعرفون العنف بكونه: استخدام القوة بشكل غير مشروع، وغير مطابق للقانون.³²⁴ وعلماء النفس يعرفونه سلوك بدني أو لفظي يتسم بالتطرف في عدوان صريح مباشر، بهدف إلحاق الأذى بالآخرين حسا أو معنى، وهو ميل انفعالي عدواني.

وعلى كل فالعنف في الاسلام لا يبعد عما يتناوله هؤلاء جملة، قال الحميدي: هو ترك الرفق وإظهار الشدة، والاستطالة في القول والفعل، ويقال اعتنف الرجل إذا أخذه بعنف وشدة.³²⁵

³²² مسلم، ابن الحجاج القشيري، الصحيح، بتحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ج 1/ ص 327

³²³ يمكن مراجعة جذور هذه الكلمة في القواميس التالية: تاج العروس 186/24، تهذيب اللغة 3/ 5، المصباح المنير ص 164

³²⁴ بهنسي، محمد البيومي، العنف الأسري، أسبابه، وآثاره، وعلاجه في الفقه الاسلامي، ج 9/ من العدد 32/ حولية الدراسات الاسلامية والعربية للبنات بالاسكندرية. ص 171

³²⁵ الحميدي، محمد بن فتوح، تفسير غريب ما في الصحيحين، مكتبة السنة، القاهرة، مصر، الطبعة: الأولى، 1415هـ، ص 508

ويرى الباحث أن ثقافة العنف ليست وليدة اليوم، وليست جديدة الفكرة، وإنما هي قديمة منذ بزوغ فجر تاريخ أبناء آدم كما يدل لذلك منطق القرآن عن ابني آدم.³²⁶ ولها بواعث ودوافع تدفع بأصحابها إلى ممارستها، غير أن مثل تلك البواعث والدوافع لا تكون مبررا لصنيعهم الممقوت في رؤية أهل الاسلام. كما أن لها أشكالا وأنواعا مختلفة.

المطلب الثاني: نبذة مختصرة عما ورد في السنة من ذم العنف

أولا: العنف لا يؤدي إلى الفلاح، وبلوغ المقصد في الأحوال، يدل له ما في الأدب المفرد للبخاري، بسند صححه العلامة الألباني عن عبد الله بن مغفل، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إن الله رفيق يحب الرفق، ويعطي عليه ما لا يعطي على العنف".³²⁷

ثانيا: لا يجوز ترويع الأمنين بأي شكل من الأشكال، يدل له ما أخرجه أبو داود وأحمد من طريق الأعمش عن عبد الله بن يسار عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال: حدثنا أصحاب محمد عليه الصلاة والسلام أنهم كانوا يسرون مع النبي صلى الله عليه وسلم فنام رجل منهم فانطلق رجل منهم إلى حبل معه فأخذه ففزع فقال رسول الله (ص): لا يحل لمسلم أن يروع مسلما.³²⁸

سدت السنة النبوية الشريفة كل المنافذ والأبواب والذرائع التي قد تكون وسيلة للترويع، من ذلك قوله عليه الصلاة والسلام في حديث أبي هريرة، يقول: قال أبو القاسم صلى الله عليه وسلم: «من أشار إلى أخيه بحديدة، فإن الملائكة تلعنه، حتى يدعه وإن كان أخاه لأبيه وأمه»³²⁹ وفي هذه

³²⁶ وسياق هذا العنف من ابن آدم الأول في حق أخيه مذکور قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَأَنْتَ عَلَيْهِمْ نَبَأٌ آتٍ ءَادَمُ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقْبِلُ مِنْ أَحَدِهِمَا وَمَنْ يُقْبَلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَا أُقْبَلُكَ قَالَ إِنَّمَا يَقْبَلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٣٧﴾ لَيْنٌ سَطَّتْ إِلَيْكَ يَدُكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطِ يَدِي إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنَّي أَخَافُ أَنَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٨﴾ إِنَّي أُرِيدُ أَنْ نَبِرَآءِئِنِّي وَإِنَّمَا فَتَكُونُ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الْفَٰلِغِينَ ﴿٣٩﴾ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٤٠﴾ المائدة: ٢٧ - ٣٠

³²⁷ الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الأدب المفرد للإمام البخاري، دار الصديق للنشر والتوزيع، الطبعة: الرابعة، 1418 هـ - 1997 م، ص 108

³²⁸ خرجه العلامة الألباني في غاية المرام في تخريج أحاديث الحلال والحرام، وقال بعد إيراده: فذكره وهذا اسناده صحيح قوله حبل بالحاء هكذا وقع في الترغيب وكذلك هو في سنن أبي داود، ووقع في المسند نبل بالنون وهو الصواب. ص 257

³²⁹ مسلم، ابن الحجاج القشيري، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ج 4/ص 2020

النصوص قطع لدابر أعداء الإسلام في الداخل والخارج من براءة الاسلام وأهله من العنف بكل أشكاله.

المبحث الثالث: السنة النبوية في مواجهة ثقافة العنف صلح الحديبية أنموذجا المطلب الأول: مظاهر عنف المشركين في صلح الحديبية

تعتبر حادثة صلح الحديبية من أهم الأحداث في تاريخ الدعوة الاسلامية، فهي بمثابة فرصة انتقالية ثمينة، استطاع من خلالها أصحاب النبي عليه الصلاة والسلام بتوجيه منه عليه الصلاة والسلام بث دعوة الاسلام، وبيان محاسنه الجملة لمناطق عديدة، لم تسمح الظروف والحالة لمفاتحتها بذلك الحديث والقضية قبل ذلك. وهذا بغض النظر عن تفاصيل الصلح التي كانت مجحفة، ومتسمة بعنف ليس بقليل، كما في رؤية كثير من الصحابة عليهم الرضوان، غير أن رؤية النبي عليه الصلاة والسلام المتصفة بريانية المصدر كانت أشمل، وأعمق وأدق بمآلات الأمور، وأنسب ما يواجه به عنف المشركين من غير إفراط ولا تفريط، فهده صراطا مستقيما في الحرب والمكيدة إن صح التعبير.

قال ابن القيم رحمه الله: **إِنْ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾** الفتح: ٢ نزلت في صلح الحديبية وكان المسلمون قد كرهوا ذلك الصلح ورأوا أن الرأي خلافه وكان الله تعالى عما يقولون ورسوله صلى الله عليه وسلم أعلم فأنزل الله على رسوله صلى الله عليه وسلم هذه الآية فلم يرد صراطا مستقيما في الدين وإنما أراد صراطا في الرأي والحرب والمكيدة.³³⁰
وفي هذه العجالة يحاول المقال تسليط أضواء يسيرة، عن مظاهر العنف في هذا الصلح (صلح الحديبية)

- امتناع المشركين عن السماح لرسول الله عليه الصلاة والسلام بدخول مكة، وإن كلفهم ذلك ثمنا باهظا، من سفك الدماء، وإتلاف الأموال، وتعريض حرمة المكان للإهانة. والحال أنهم أيقنوا بأنه أتى لعمره وليس لقتالهم، وهذا تصرف عنيف لا يحق لهم ذلك.
- العناد الكبير الذي اتصف به كفار مكة، من الاصرار على الباطل، والبعث إلى النبي عليه الصلاة والسلام الرسل ترى بغية الفتنة، وتخويفا للمؤمنين، وتطبيقا لسياسة العنف،

³³⁰ ابن القيم، محمد بن أبي بكر، بدائع الفوائد، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، بدون تاريخ، ج2/

على الرغم من صراحة موقفه عليه الصلاة والسلام كما صرح لبديل بن ورقاء الخزاعي زعيم خزاعة.³³¹

- أن العنف بطبيعته يؤدي لعنف آخر، فشباب مكة حاولوا إيقاف المباحثات، الجارية بينه عليه الصلاة والسلام وكفار قريش، كراهية منهم للصلح، فسعوا لشن الغارة على رسول الله عليه الصلاة والسلام وأصحابه، يدل لذلك ما روى مسلم³³² في صحيحه عن عمرو بن محمد الناقد، حدثنا يزيد بن هارون، أخبرنا حماد بن سلمة، عن ثابت، عن أنس بن مالك، " أن ثمانين رجلا من أهل مكة هبطوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم من جبل التنعيم متسلحين، يريدون غرة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه، فأخذهم سلما فاستحياهم، فأنزل الله عز وجل: **قَالَ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾ (٢٤) الفتح: ٢٤**
- الإجحاف بحق رسول الله عليه الصلاة والسلام من كل الجوانب، وتقدير ما يعود إليه بالضرر إما في أصل الدعوة أو في جانب من الجوانب التي تخدم دعوته، وتحت هذا الإطار صور أبرزها:
- لجوء المشركين لاستخدام أسلوب الاستفزاز، وعدم الاعتراف بما هو لب دعوته وهو التوحيد، وأن الله هو وحده الرحمن. قال سهيل بن عمرو كما في حديث الزهري³³³ عند البخاري وأحمد وفيه: أما الرحمن فوالله ما أدري ما هو، ولكن اكتب: باسمك اللهم كما كنت تكتب.
- لجوء المشركين إلى إنكار رسالته ونبوته بكل صراحة، لما احتوى الكتاب العبارة التالية: هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله، فقال سهيل: والله لو كنا نعلم أنك رسول الله ما صددناك

³³¹ ورد هذا صريحا عند ابن القيم في الزاد حيث قال له عليه الصلاة والسلام: (إنا لم ننجى لقتال أحد، ولكن جئنا معتمرين، وإن قريشا قد نهكتهم الحرب، وأضرت بهم، فإن شاءوا ماددتهم ويخلوا بيني وبين الناس، وإن شاءوا أن يدخلوا فيما دخل فيه الناس فعلوا وإلا فقد جموا، وإن هم أبوا إلا القتال فوالذي نفسي بيده لأقاتلهم على أمري هذا حتى تنفرد سألقي أو لينفذن الله أمره)

³³² مسلم، ابن الحجاج القشيري، الصحيح، ج 3/ ص 142

³³³ الألباني، محمد ناصر الدين، إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، المكتب الإسلامي - بيروت، الطبعة: الثانية 1405 هـ - 1985 م، ج 1/ ص 57

عن البيت ولا قاتلناك ، ولكن اكتب محمد بن عبد الله ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم:
والله إني لرسول الله وإن كذبتُموني ، اكتب محمد بن عبد الله.³³⁴

- الأناية الشديدة فيما يعود عليهم بالنفع، وظلم الآخر، أو الإجحاف بحقه، وإن لم يكن في صالح الرسول عليه الصلاة والسلام، كما يدل له قول سهيل: وعلى أنه لا يأتيك من رجل وإن كان على دينك، إلا رددته إلينا.³³⁵

المطلب الثاني: وجوه مواجهة السنة لعنف المشركين في صلح الحديبية

- عدم الانجرار وراء العواطف، واتخاذ قرار بيان الموقف للمتصرف بالعنف بغية رده إلى رشده.

فأول ما واجه به النبي، عليه الصلاة والسلام عنف المشركين، هو: الإقدام للبيان موقفه من دخول مكة، قطعاً للعذر إن كان ثمة عذر لأولئك، وإزالة للشبهة، فقرر أن يبعث صهره وخليفته الراشد عثمان بن عفان لمقابلة المشركين وينبئهم بما أتى من أجله.

ولما بلغه الخبر من أن خالد بن الوليد وصل كراع الغميم مما يدل على عنفهم، ونبذهم للسلام والأمن، غير أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يستفز بذلك، حتى ينجر وراء العواطف، بل غاياته أسى من ذلك فقال: يا ويح قريش! قد أكلتهم الحرب، ماذا عليهم لو خلوا بيني وبين سائر العرب، فإن هم أصابوني كان ذلك الذي أرادوا، وإن أظهرني الله عليهم دخلوا في الإسلام وافرين، وإن لم يفعلوا قاتلوا وهم قوة، فما تظن قريش، فوالله لا أزال أجاهد على هذا الذي بعثني الله به حتى يظهره الله أو تنفرد هذه السالفة، ثم قال: من رجل يخرج بنا على طريق غير طريقهم التي هم بها؟³³⁶ فعنفهم وإسراهم على الحرب لم يحرك ساكناً في ذات النبي عليه الصلاة والسلام الشريفة، أو يكون سبباً لغياب رؤيته السلمية.

- إذا كان صاحب العنف من الفجرة أو البغاة أو الظلمة أو من كان على شاكلتهم، على جانب من تعظيم حرمة الله، فلا يصد له الباب بالكلية، بل يعانون على ذلك.

هذه قضية واضحة بكل جلاء، فالقتال في مكة كبير، كما نص القرآن بقوله: قل قتال فيه كبير. من أجل ذلك أجاب المصطفى عليه الصلاة والسلام طلبهم، لأن مآل ذلك عائد إلى تعظيم ما عظمه الله، فكل من التمس المعاونة على محبوب لله، أجيب إلى ذلك كائناً من كان، ما لم يترتب على إعانتته على

³³⁴ المصدر السابق، بنفس الجزء والصفحة.

³³⁵ المصدر السابق بنفس الجزء والصفحة.

³³⁶ السرجاني، راغب، أخلاق الرسول في هدنة صلح الحديبية، مقال منشور بموقع

www.islamstory.com، بتاريخ 2013/03/10

ذلك المحبوب مبعوض لله أعظم منه، بل أفاد ابن القيم بأن مثل هذا من أدق المواضع، وأصعبها، وأشقها على النفوس، ولذلك ضاق عنه من الصحابة من ضاق، وقال عمر ما قال، حتى عمل له أعمالا بعده، والصديق تلقاه بالرضى والتسليم، حتى كان قلبه فيه على قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأجاب عمر عما سأل عنه من ذلك بعين جواب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وذلك يدل على أن الصديق رضي الله عنه أفضل الصحابة وأكملهم وأعرفهم بالله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم، وأعلمهم بدينه وأقومهم بمحابه وأشدهم موافقة له، ولذلك لم يسأل عمر عما عرض له إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم وصديقه خاصة دون سائر أصحابه.³³⁷

• **الوضوح والصرحة في بيان الموقف وإن قل سالكو الحق، أو كان مخالفا لموقف سابق.**
يدل لهذا سَيْرُ النبي صلى الله عليه وسلم حتى وصل الثنية التي يهبط عليهم منها، بركت به راحلته، فقال الناس: حل حل، فألحت. فقالوا: خلأت القصواء، خلأت القصواء، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما خلأت القصواء وما ذاك لها بخلق، ولكن حبسها حابس الفيل، ثم قال: والذي نفسي بيده لا يسألوني خطة يعظمون فيها حرمت الله إلا أعطيتهم إياها ثم زجرها فوثبت.. الخ³³⁸ ففي هذا إعلان واضح لموقفه تجاه القضية، وأن توجهه توجه تصالحي بكل معاني الكلمة، وأثر هذا الوضوح والصرحة في بيان الموقف عميق في الصحابة بلا شك، فلا يسعهم سوى اختيار ما اختاره قائدهم، الذي هو أتقاهم وأخشاهم لله، وأغير على دينه، ولهذا كان من نتائج ذلك انقياد جميعهم لأوامره في تلك الحادثة بلا استثناء.

• **استخدام أكثر من وسيلة خالية من العنف لمواجهة العنف، إذا كانت المصلحة في ذلك راجحة.**

فالنبي عليه الصلاة والسلام صرح بما من أجله جاء بمنتهى الصراحة: إنا لم نجئ لقتال..³³⁹ ثم صرح مرة أخرى: ولكننا جئنا معتمرين...³⁴⁰ ولم يكتف عند هذا الحد بل كان في ذلك الموقف يسعى لنصح قريش من أن لا تخوض معه في حرب، لأنه نهكتها الحروب، وأنها ليست في عوج قوتها، ثم طلب

³³⁷ ابن القيم، محمد بن أبي بكر، زاد المعاد في هدي خير العباد، مؤسسة الرسالة، بيروت، ج 3/ص 265
³³⁸ ابن كثير، إسماعيل أبو الفداء، البداية والنهاية، دار إحياء التراث العربي، الطبعة: الأولى 1408، هـ - 1988 م، ج 4/ص 198

³³⁹ البخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، باب الشروط في الجهاد والمصالحة، ج 3/ص 193
³⁴⁰ المصدر السابق نفسه.

مصالحتهم علنا بقوله: فإن شأؤوا مددتهم مدة. ومن هنا استنبط الفقهاء جواز طلب الإمام المسلم الصلح من الكفار إذا احتوى ذلك مصلحة للمسلمين، كما نص عليه ابن القيم رحمه الله.

• إعمال المرونة في التعامل مع العنف ليكون ذلك أوقع في رده، ودحض أثره.

ظهرت الحكمة والمرونة الكبيرة في تصرف النبي عليه الصلاة والسلام في حادثة الحديبية، وأنه لا يريد سوى الصلح بكل الوسائل، وكان ذلك في مقابل الفرار الدؤوب، والتشويش المتنوع، والإباء من قبل المشركين، كفار قريش.

فأول عنف أتى به سهيل بن عمرو لما شرع الفريقان في كتابة بنود الصلح: اصراره وإلزامه الكاتب أن يزيل اسم الجلالة (الرحمن) فدعى عدم معرفته بذلك الاسم! ثم ينتقل بعد ذلك لإنكار رسالة رسول الله، وأنه لا يؤمن بذلك، تصرف استفزازي، يلجئ إليه مستخدمو العنف، في كل زمان ومكان. وكان من مرونته عليه الصلاة والسلام أن قال تعامل مع ذلك بمرونة تليق بالمقام.

ورد في الصحيح من حديث المسور بن مخرمة ومروان، وفيه: قال الزهري في حديثه: فجاء سهيل بن عمرو فقال: هات اكتب بيننا وبينكم كتابا فدعا النبي صلى الله عليه وسلم الكاتب، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «بسم الله الرحمن الرحيم»، قال سهيل: أما الرحمن، فوالله ما أدري ما هو ولكن اكتب باسمك اللهم كما كنت تكتب، فقال المسلمون: والله لا نكتبها إلا بسم الله الرحمن الرحيم، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «اكتب باسمك اللهم» ثم قال: «هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله»، فقال سهيل: والله لو كنا نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت، ولا قاتلناك، ولكن اكتب محمد بن عبد الله، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «والله إني لرسول الله، وإن كذبتُموني، اكتب محمد بن عبد الله»³⁴¹

• النزول عند رغبة صاحب العنف نظرا للمآلات، والإلتزام بالمواثيق التي تم الاتفاق

عليها، حتى وإن كان في ذلك ثقل على النفس.

لما ألزم المشركون الرسول عليه الصلاة والسلام وألزموه برد كل من يأتيه مسلما من أهل مكة إذا طلب أولياؤه ذلك، وهذا بلغ المنتهى في العنف والإجحاف بحق الآخر، والكيل بمكيالين، لذلك قال المسلمون: سبحان الله كيف يرد إلى المشركين وقد جاء مسلما؟ فبينما هم كذلك إذ دخل أبو جندل بن سهيل بن عمرو يرسف في قيوده قد خرج من أسفل مكة حتى رمى نفسه بين أظهر المسلمين ، فقال سهيل: هذا أول ما أقاضيك عليه أن ترده إلى ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: إنا لم نقض الكتاب بعد ، قال: فوالله إذا لا أصالحك على شيء أبدا ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: فأجزه لي ،

³⁴¹ البخاري، محمد بن إسماعيل، الصحيح، ج/3 ص193

قال: ما أنا بمجيز ذلك , قال: بلى فافعل , قال: ما أنا بفاعل , قال مكرز: بلى قد أجزناه لك , قال أبو جندل: أي معشر المسلمين أرد إلى المشركين وقد جئت مسلما , ألا ترون ما قد لقيت؟ وتأتي رواية أخرى³⁴² توضح أكثر أن اتخاذ هذا الموقف ليس عجزا في الرؤية أو العمل، بل ينطوي ذلك على التربية على الشدائد والاحتساب على ذلك، والوفاء بالعهود حتى مع الكفار، لأن الغدر ممقوت، بل فيه بشارة منه عليه الصلاة والسلام بالفرج والمخرج لمن في ذلك المعزق، جريا على قاعدة: والله معكم ولن يتركم أعمالكم. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا أبا جندل اصبر واحتسب فإن الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجا ومخرجا، إنا قد عقدنا بيننا وبين القوم صلحا فأعطيناهم على ذلك، وأعطونا عليه عهدا وإنا لن نغدر بهم.

• رد كل عنف ومواجهته بما يتضمن مصلحة راجحة كاستقرار الأمن والحفاظ على سمعة المسلمين مثلا.

فقارئ مضامين صلح الحديبية يرى كيف شملت بنود المعاهدة وضع الحرب بين الفريقين، لمدة تصل عشر سنوات، وأن كل قبيلة أرادت أن تنضم إلى أحد الجانبين فلها ذلك، ولا لوم عليها. والنبي عليه الصلاة والسلام استطاع بحنكته الفريدة، وصره الجم أن يتغلب على كل المعوقات والحوادث التي تحول دون تحقيق هذا الصلح على الوجه المراد، ولا شك أن المسلمين ليسوا المستفيدين فحسب، بل هي قضية يعم أثرها الجزيرة العربية. الخاتمة المحتوية على ذكر أهم النتائج ثم التوصيات ثم قائمة المصادر.

خاتمة

أهم النتائج

- تبوئت السنة النبوية محل الصدارة في الاحتجاج والمصدرية بعد القرآن، من حيثيات متنوعة، من ذلك: كونها المصدر الأساسي، الذي تكفل ببيان مضامين القرآن، ومن حيثية إلزام الأمة طاعة رسوله عليه الصلاة والسلام، وكذلك باعتبار كونها وحيا من الله على لسان رسول الله عليه الصلاة والسلام، وأنه مما يجب العمل به.
- إن ثقافة العنف قديمة في المجتمع البشري، وقعت منذ بزوغ فجر تاريخ أبناء آدم، كما يدل لذلك سياق القرآن عن ابني آدم. وهي ظاهرة لها بواعث ودوافع تدفع بأصحابها إلى

³⁴² الحكي، حافظ بن محمد عبد الله، مرويات غزوة الحديبية جمع وتخريج ودراسة، مطابع الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة: 1406هـ

- ممارستها، غير أن مثل تلك البواعث والدوافع لا تكون مبررا لصنيعهم الممقوت في رؤية الاسلام، كما أن لها أشكالا وأنواعا مختلفة.
- إن للسنة النبوية دور فعال في مواجهة ثقافة العنف، من ذلك التحذير منه عموما، وأنه مما يشين الأمور ويفسدها، وعليه فإذا وقع العنف يجب عدم الانجرار وراء العواطف، والرد بالمثل، بل لا بد من اتخاذ قرار بيان الموقف للعنيف بغية رده إلى رشده.
 - مما واجهت به السنة ثقافة العنف في صلح الحديدية استخدام أكثر من وسيلة خالية من العنف لمواجهة العنيف، إذا كانت المصلحة راجحة في ذلك. ثم إعمال المرونة في التعامل مع العنيف ليكون ذلك أوقع في رده، ودحض أثره.
 - من أبرز الوجوه في مواجهة السنة لثقافة العنف كما في الحديدية أنه تارة لا بد من النزول عند رغبة صاحب العنف نظرا للمآلات، والإلتزام بالمواثيق التي تم الاتفاق عليها، حتى وإن كان في ذلك ثقل على النفس.

قائمة المصادر والمراجع

- الأزهري، محمد بن أحمد الهروي، تهذيب اللغة، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الأولى، 2001م
- الألباني، محمد ناصر الدين، إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، المكتب الإسلامي - بيروت، الطبعة: الثانية 1405 هـ - 1985 م
- الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الأدب المفرد للإمام البخاري، دار الصديق للنشر والتوزيع، الطبعة: الرابعة، 1418 هـ - 1997 م.
- _____، غاية المرام في تخريج أحاديث الحلال والحرام، المكتب الإسلامي - بيروت، الطبعة: الثالثة - 1405
- ابن كثير، إسماعيل أبو الفداء، البداية والنهاية، دار إحياء التراث العربي، الطبعة: الأولى 1408، هـ - 1988 م
- ابن القيم، محمد بن أبي بكر، بدائع الفوائد، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، بدون تاريخ، ابن القيم، محمد بن أبي بكر، زاد المعاد في هدي خير العباد، مؤسسة الرسالة، بيروت، البخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، باب الشروط في الجهاد والمصالحة
- بهنسي، محمد البيومي، العنف الأسري، أسبابه، وآثاره، وعلاجه في الفقه الإسلامي، ج9/ من العدد 32/ حولية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالاسكندرية.
- الحسيني، عمر بن مصلح الحسيني، مكانة السنة النبوية، من مطبوعات الجامعة الإسلامية، بالمدينة المنورة، 1441هـ، الطبعة الثالثة.
- الحكيمي، حافظ بن محمد عبد الله، مرويات غزوة الحديدية جمع وتخرير ودراسة، مطابع الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة: 1406هـ
- الحموي، حمد بن محمد بن علي الفيومي، المصباح المنير، الناشر: المكتبة العلمية - بيروت.
- الحميدي، محمد بن فتوح، تفسير غريب ما في الصحيحين، مكتبة السنة، القاهرة، مصر، الطبعة: الأولى، 1415هـ
- الزبيدي، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق، تاج العروس، مجموعة من المحققين، الناشر: دار الهداية
- السرّجاني، راغب، أخلاق الرسول في هدنة صلح الحديدية، مقال منشور بموقع www.islamstory.com، بتاريخ 2013/03/10
- مسلم، ابن الحجاج القشيري، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، دار إحياء التراث العربي - بيروت



محاسبة الموظف في إطار ضوابط تدير المال في الجمع والانفاق

دراسة فقهية مقاصدية

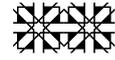
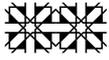
الدكتور/ رابع يحيى حسن
قسم الشريعة والدراسات الإسلامية
كلية الآداب والدراسات الإسلامية
جامعة بايروكنو- نيجيريا
البريد الإلكتروني: ryhassan.isl@buk.edu.ng

مستخلص المقالة

تهدف هذه المقالة إلى التنويه على ضرورة الاهتمام بمقصد حفظ الأموال، وذلك بدراسة بعض وسائل تحقيقه عن طريق إلقاء الضوء على النمط القيادي وركائزه التي ينبغي أن يتسم بها كل قائد وموظف؛ لكي يتفادى إشكالية نهب الأموال العامة التي وكلتها الأمة إليه أمانة، وذلك بمراعاة ضوابط تدير المال في الجمع والانفاق التي أرشد الإسلام الأمة إلى الأخذ بها في التعامل بالأموال لتحقيق المصالح وجلبها وتكثيرها، واستئصال المفسد ودرئها أو تقليبها بقدر الإمكان. وأن عدم مراعاة هذه الضوابط في سير الشؤون الإدارية يؤدي في الغالب إلى الاضطرابات في المعاملات، وبالتالي ينتج منها الفساد الإداري الذي يؤدي بدوره إلى الإخلال بالأمن العام كما نشاهد ذلك في كثير من المجتمعات المعاصرة التي تعاني من ويلات ذلك في ظل الظروف الراهنة. وتضمنت المقالة مقدمة وأربعة مباحث وخاتمة، واستخدم الباحث فيها منهج الاستقراء والاستدلال توصيفا وتحليلا عن طريق المكتبة، وتوصل في نهايتها إلى نتائج عدة، منها: لا تكون تصرفات الحكام والقادة وكذلك سائر الموظفين وفق المصلحة العليا لأي مجتمع إلا إذا وُضعت لها ضوابط ثم طبقت. ومنها: أن النمو الاقتصادي لأي دولة لا يمكن أن يتحقق بدون قواعد علمية متينة، وقواعد الإسلام أحكم وأوفى للمطلوب من النظم الوضعية وقواعدها الاقتصادية. ومنها: إن استغلال الامكانيات المتاحة لدى الأمة الإسلامية لتحقيق نهضتها العلمية والاقتصادية المتينة، إنما يتم ذلك في إطار منهجها الإسلامي القويم، ومقاصد شريعته الجوهرية.

المبحث الأول: التعريف بمصطلحات البحث الرئيسية

يمضي الباحث على منوال أهل العلم وطلابه في ابتدائهم بتوضيح مفهوم ما يريدون الكتابة فيه؛ ويوضح بعض مصطلحات هذا البحث على النحو التالي:



أولاً: المحاسبة:

المحاسبة في اللغة مصدر حاسب من المفاعلة، يقال حاسبه يحاسبه محاسبة أي ناقشه الحساب وجازاه³⁴²، وتعني ضبط الحسابات وتدقيقها، ولا يخرج المعنى الاصطلاحي عن المعنى اللغوي³⁴³. "وهو استيفاء الأعداد فيما للمرء وعليه"³⁴⁴، كما عرف هذا المفهوم اصطلاحاً بأنه: "نظام يختص بتحليل وتسجيل وتبويب وتلخيص وتفسير العمليات المالية للوحدة الاقتصادية بقصد نتيجة العمل والمركز المالي لها في نهاية فترة مالية معينة"³⁴⁵.

ثانياً: الوظيفة:

في اللغة اسم من قولك وظف الوظيفة يوظف توظيفاً بمعنى الولاية، وهي: ما يُقَدَّرُ للإنسان في كلِّ يومٍ من طعامٍ أو رزقٍ أو عملٍ أو غير ذلك في زمن معين والعهد والشرط والمنصب والخدمة المعينة³⁴⁶. والتوظيف هو: "تعيين عمل معين للشخص أو للشئ، ومنه توظيف الشخص لجباية الخراج، وتوظيف المال في تجارة كذا"³⁴⁷. وأما الوظيفة في الاصطلاح فهي: سلطة شرعية يتمكن بها صاحبها من إنشاء العقود والتصرفات وتنفيذها³⁴⁸. أو هي سلطة الحكم بمعنى الاستحقاق الشرعي للتصرف وفق القواعد والضوابط والحدود الهادفة إلى تحقيق المصلحة العامة في نطاق لعل النظام يكفله، وتشمل الولاية جميع الولايات ومراتب الحكم من الإمامة العظمى إلى أصغر الولايات والوظائف العامة³⁴⁹.

ثالثاً: الموظف:

يقصد به الوالي أو العامل الأجير عند الدولة يقوم بخدمة عامة، وهو في عرف الإسلام إما وكيل عن الناس يتصرف وفق مصلحة الموكل في حدود التوكيل، وإما أمين على مصالح الناس وأموالهم يتصرف فيها تصرف الوالي في أموال ومصالح الذين هم تحت رعايته³⁵⁰، ومهما تختلف تعاريف الموظف في القوانين الحديثة، فإنها لا تخرج عن هذا

³⁴²- إبراهيم أنيس وآخرون، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، الدار السودانية للكتب- الخرطوم، ودار الحديث- القاهرة، ط1/1991م/171.

³⁴³- القليوبي، حاشية قليوبي على شرح جلال الدين المحلي على منهاج الطالبين، ط1/1419هـ-1998م، دار الفكر-بيروت، لبنان 300/4

³⁴⁴- المناوي، محمد عبد الرؤوف، التوقيف على مهمات التعاريف، تحقيق: محمد رضوان الداية، ط1/1410هـ، دار الفكر-بيروت، لبنان، ص640.

³⁴⁵- زينة حمزة خضير، الإطار النظري للمحاسبة المالية، ص2.

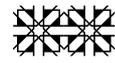
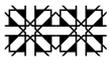
³⁴⁶- ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، دار صادر- بيروت/285، وإبراهيم أنيس وآخرون، المعجم الوسيط، مرجع سابق/2/1042.

³⁴⁷- محمد قلعي وحامد صادق قنبي، معجم لغة الفقهاء، دار النفائس-بيروت، ص158.

³⁴⁸- وهبة الزحيلي، الفقه الإسلامي وأدلته، ط3/1409هـ، دار الفكر- دمشق/4/139.

³⁴⁹- راجع: حمد بن محمد آل فريان، آراء ابن تيمية في الحكم والإدارة، ط1420هـ، دار الألباب- الرياض/2-589-590.

³⁵⁰- أحمد محجوب حاج نور، مقدمة في فقه الدولة، ط2/1417هـ-1996م، المركز القومي للإنتاج الإعلامي- الخرطوم، ص37.



المضمون³⁵¹. وعلى أي حال فالموظف العام في نظر الإدارة الإسلامية وكيل ماجور على سبيل التفويض؛ لينوب عن ولأه في القيام بأعباء الوظيفة بمقتضى عقد ولايته الصادر ممن يملك حق التصرف، وهي جائزة كما تجوز الإجارة³⁵².

رابعاً: ضوابط تدبير المال:

الضوابط جمع ضابط، عرفه بعض الفقهاء بأنه: "حكم كلي ينطبق على جزئيات كثيرة تفهم أحكامها منه"³⁵³؛ وهذا التعريف لمن يرى من العلماء عدم التفريق بين الضابط والقاعدة. وأما من يرى الفرق بينهما فإنهم عرفوه بأنه: "حكم أغلبي يتعرف منه أحكام الجزئيات الفقهية المتعلقة بباب واحد من أبواب الفقه مباشرة"³⁵⁴. هذا هو الأرجح، وقد تعرض كثير ممن كتبوا في القواعد الفقهية، والأشباه والنظائر للإشارة إلى الفرق بين (القاعدة) و(الضابط)، حيث نصوا على أن القاعدة تجمع فروعاً من أبواب شتى، والضابط يجمعها من باب واحد³⁵⁵. وعلى هذا، فالمقصود بضوابط تدبير المال في هذه المقالة: هي تلك المبادئ والأحكام الفقهية العادية المتعلقة بالأموال، المتضمنة للشروط والأسباب المشروعة للجمع والإنفاق وفق منهج الاقتصاد الإسلامي السليم في الإيراد والصرف من غير سرف ولا تقتير.

خامساً: الجمع:

الجمع مصدر قولك جمعت الشيء، يقال: جمَع الشيء عن تَفْرِقَةٍ يَجْمَعُهُ جَمْعاً، ويقال أيضاً أَجْمَعُ أمرَك ولا تَدَعُهُ مُنْتَشِراً، وقيل الجمع تمر مختلط من أنواع متفرقة وليس مرغوباً فيه، وما يُخْلَطُ إلا لردائه³⁵⁶، ويقصد به في هذه المقالة: الكسب والسعي في طلب الرزق والمعيشة واجتهاد في تحصيله، ويعني أيضاً: طلب الرزق وتحصيل المال

³⁵¹ - وراجع بعض هذه التعاريف في: ظافر القاسمي، نظام الحكم في الشريعة والتاريخ الإسلامي، ط6/1411هـ - 1990م، دار النفائس - بيروت، لبنان 475/1، والسيد هيكل، القانون الإداري السعودي، ط1/1415هـ. 1994م، عمادة شؤون المكتبات، جامعة الملك سعود - الرياض، ص136، وصالح المزيد، كسب الموظفين، وأثره في سلوكهم، ط1/1403هـ - 1983م، مطبعة المدني، والمؤسسة السعودية - مصر، ص70-71.

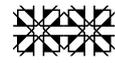
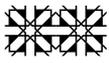
³⁵² - انظر: الكاساني، علاء الدين أبو بكر بن مسعود، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، ط1/1417هـ - 1996م، دار الفكر - بيروت 5/1554، وابن قدامة، عبد الله بن أحمد المقدسي، المغني (ومعه مختصر الخرق)، ط1/1406هـ، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي وعبد الفتاح الحلو، هجر للطباعة - القاهرة 5/67، 63، وحمد بن محمد آل فريان، آراء ابن تيمية في الحكم والإدارة، مرجع سابق 2/595.

³⁵³ - ابن النجار، محمد بن أحمد، شرح الكوكب المنير، ط1/1413هـ - 1993م، مكتبة العبيكان - الرياض 1/30.

³⁵⁴ - عبد الرحمن بن صالح العبد اللطيف، القواعد والضوابط الفقهية المتضمنة للتيسير، ط1/1423هـ - 2003م، منشورات عمادة البحث العلمي في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة 1/40.

³⁵⁵ - انظر: ابن نجيم، زين العابدين بن إبراهيم، الأشباه والنظائر، ط1405هـ، دار الكتب العلمية - بيروت، ص166، وتاج الدين السبكي، الأشباه والنظائر، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد عوض، ط1/1411هـ، دار الكتب العلمية - بيروت 1/11، والندوي، علي أحمد، القواعد الفقهية، ط1/1406هـ، دار القلم - دمشق، ص46.

³⁵⁶ - ابن منظور، لسان العرب، مصدر سابق 8/53.



على العموم، ويرى بعض الفقهاء أن جمع المال هو "كسب المال بالأوجه المشروعة والوسائل المباحة إما أن يكون عن طريق العمل والجد والكد كالتكسب بأنواع المهن والحرف من تجارة وزراعة وصناعة وصنوف المعاملات، وإما أن يكون تحصيلًا للمال وكسبًا له من غير عمل أو بذل جهد كالمال الذي يتحصل عليه الإنسان من وصية أو هبة أو ميراث"³⁵⁷.

سادسا: الإنفاق:

الإنفاق: مصدر للفعل الرباعي من قولك أنفق ينفق إنفاقا فهو منفق، يُقال: أنفق فلان: إذا أفترق وذهب ماله. وأنفق ماله: أنفدَهُ وأفناه³⁵⁸، وهو مشتق من النفوق الذي هو الهلاك يقال نفقت الدابة إذا ماتت وهلكت ومنه النفقة لأن فيها هلاك المال³⁵⁹، ويقصد به صرف المال إلى الحاجة³⁶⁰، وإخراجه من الملك، أو هو بذل المال ونحوه في وجه من وجوه الخير³⁶¹. ولا يخرج معناه عند الفقهاء عن هذا المفهوم، حيث قال بعضهم: "صرف المال في الحاجات الضرورية وغيرها"³⁶². أو هو "إخراج المال من ملكية صاحبه في سبيل تحصيل منفعة صحيحة عينية أو معنوية له أو لغيره"³⁶³.

سابعا: مقاصد الشريعة:

الملغة جمع مقصد بفتح الصاد مصدر ميي، وبكسرهما اسم المكان: مقصد، ويأتي بمعان متعددة منها الاعتماد والأُم، وإتيان الشيء، والتوجه إليه، كما يطلق على استقامة الطريق، ومنه قوله قَالَ تَعَالَى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَايِزٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَيْنَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾^(١) النحل: ٩ وأيضا يطلق على العدل والتوسط وعدم الإفراط³⁶⁴، ومنه قوله تعالى قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾^(١٩) لقمان: ١٩

³⁵⁷ - مجموعة الباحثين، موسوعة التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، موقع مركز تفسير للدراسات القرآنية، تاريخ النشر: 2019-08-01 08:59:14 م 11925/25.

³⁵⁸ - الزبيدي، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، أبو الفيض، الملقب بمرتضى، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، وآخرين، ط/1385هـ، وزارة الإرشاد والأنباء- الكويت/1/6600.

³⁵⁹ - القونوي، قاسم بن عبد الله بن أمير علي، أنيس الفقهاء في تعريفات الألفاظ المتداولة بين الفقهاء، تحقيق: د. أحمد بن عبد الرزاق الكبيسي، ط/1406، دار الوفاء - جدة، ص168.

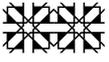
³⁶⁰ - الجرجاني، علي بن محمد بن علي، التعريفات، تحقيق: إبراهيم الأبياري، ط/1405هـ، دار الكتاب العربي - بيروت، ص57.

³⁶¹ - إبراهيم أنيس وآخرون، المعجم الوسيط، مرجع سابق/2/942.

³⁶² - محمد قلعي وحامد صادق قنبي، معجم لغة الفقهاء، مرجع سابق، ص93.

³⁶³ - مجموعة الباحثين، موسوعة التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، مرجع سابق/6/8.

³⁶⁴ - ابن منظور، ابن منظور، لسان العرب العرب، مصدر سابق/5/3642، وابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون، ط/2/1392هـ- 1972م، مطبعة مصطفى البابي الحلبي- مصر/5/95.



وأما الشريعة في اللغة: فقد ورد لفظها بمعنى الطريقة المستقيمة، ومنه قوله عز وجل في محكم تنزيله: {قَالَ تَعَالَى: ﴿ تَرَجَعْنَا عَلَى شَرِيعةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبَعَهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (١٨) الجاثية: ١٨ أي جعلناك على منهاج واضح من أمر الدين يشرع بك إلى الحق. كما جاء بمعنى مورد الماء الجاري الذي يُقصد للشرب، ومنه قولهم: شَرَعَتِ الْإِبِلُ، إذا وردت شريعة الماء. سميت الشريعة بذلك لوضوحها وظهورها³⁶⁵.
وأما مفهوم الشريعة اصطلاحاً فيقصد به: كل "ما شرعه الله لعباده من العقائد والعبادات والأخلاق والمعاملات ونظم الحياة في شعبيها المختلفة لتحقيق سعادتهم في الدنيا والآخرة"³⁶⁶. وهذا مفهومها بالمعنى العام، وأما الشريعة بالمعنى الخاص فهي: الأحكام العملية في العبادات والمعاملات. والشريعة بهذا المعنى تكون مرادفة للفظ الفقه بالاعتبار الذي أخذ به المتأخرون، ولكن المتأمل في المسألة يجد بينهما العموم والخصوص الوجيه.
أما مصطلح مقاصد الشريعة اصطلاحاً فيراد به: المعاني والأهداف والغايات المرادة من تشريع الأحكام لتحقيق العبودية وإسعاد العباد في الدارين³⁶⁷.

المبحث الثاني: ركائز القيادة الناجحة في إطار مقاصد الشريعة

ينبغي أن يعلم كل رئيس وإن كانت أدنى رئاسة أن النمط القيادي الذي يحقق الحاجات التي تتطلبها كل حالة معينة، ويسعى إلى جلب المصالح ودرء المفاسد هو أكثر أنماط القيادة الفعالية الذي تأخذ به الإدارة الإسلامية؛ لأنها إدارة تتسم بالمرونة لتواكب التطورات العصرية في كل زمان ومكان.

وعلى هذا الأساس فعلى القائد أن يراعي عند إصدار قراراته وأوامره جوانب زيادة رخاء الأمة، والاهتمام بمتطلباتهم، على كافة مستوياتهم وأماكنهم، ومن ذلك تقليل الضرائب، وحرية التجارة، ورد المظالم، ونشر العلم، والوعي الديني، كما عليه فتح الأبواب أمامهم وتسهيل الحجاب لهم، قال النبي صلى الله عليه وسلم: "من ولي من أمر الناس شيئاً فاحتجب عن أولي الضعفة والحاجة احتجب الله عنه يوم القيامة"³⁶⁸، وفي لفظ: "من ولي من أمر الناس ثم أغلق بابيه دون المسكين أو المظلوم أو ذي الحاجة أغلق الله عز وجل دونه أبواب رحمته عند حاجته وفقره أفقر ما يكون إليها"³⁶⁹. وفي هذا الحديث وعيد شديد لمن كان والياً فاحتجب عن الناس بغير عذر، لما في

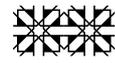
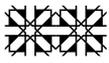
³⁶⁵ - انظر: ابن منظور، لسان العرب، مصدر سابق 175/8، ومحمد قلعي وحامد صادق قنبي، معجم لغة الفقهاء، مرجع سابق، ص 301.

³⁶⁶ - مناع القطان، تاريخ التشريع الإسلامي، ط/10، 1413 هـ مؤسسة الرسالة- بيروت لبنان، ص 15.

³⁶⁷ - رابع يحيى حسن، "مقاصد الشريعة الإسلامية في الأفضية النبوية وأثر مراعاتها في أحكام الوقائع المعاصرة"، بحث غير منشور مقدم لنيل درجة الدكتوراه في الشريعة من قسم الشريعة والقانون، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة إفريقيا العالمية، عام 2011م، ص 22.

1- أخرجه أبو داود في سننه، 1408 هـ - 1985 م، ط/دار الحديث - القاهرة، ك الخراج والإمارة والفيء رقم (2559) وأحمد في مسنده، مؤسسة قرطبة- مصر 441/3.

2- أخرجه أحمد في مسنده، المصدر السابق 441/3.



ذلك من تأخير إيصال الحقوق أو تضييعها³⁷⁰، وهو مناقض لمقاصد الإدارة الإسلامية. وإذا كان لا بد من اتخاذ الحاجب فليكن كما قال بعض السلف: "ليكن حاجبك من صالح مواليك، فإنه لسانك والمعبر عنك، وحُكَّ صاحب شرطتك على الأمانة"³⁷¹، بل اتفق العلماء على "أن من اتخذ بواباً أو حاجباً أن يتخذ ثقة عفيفاً أميناً عارفاً حسن الأخلاق، عارفاً بمقادير الناس"³⁷². وأن تتميز قيادته بالشمول، والتقصي لكافة أمور المسلمين، الدينية والدينيوية، كما عليه أن يفكّر دائماً في إثارة راحة رعيته على كل شيء طلعت عليه الشمس، ولن يتأتى ذلك إلا باتباع الشيء ذاته مع الولاة والقضاة وسائر الموظفين والرعية، قال صلى الله عليه وسلم: "كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته، فالأمير الذي على الناس راع وهو مسؤول عنهم"³⁷³.

كما عليه أن ينصح ويعظ من تحته، ويقبل النصح والإرشاد منهم، بل عليه أن يطلب ذلك من العلماء العاملين، ويلج في ذلك. لقد اتبع هذا النمط القيادي الخلفاء الراشدون، وكذلك خامسهم عمر بن عبد العزيز رضي الله عن الجميع، ومن استقرى سيرهم وسياساتهم الشرعية يجدها مليئة بذلك³⁷⁴، بل قد خصص الأخير رحمه الله تعالى في أيام خلافته مبلغاً ما بين مائة إلى ثلاثمائة دينار، لأيّ شخص قدم إليه في مظلمة، أو أمر يصلح به، خاصاً كان أو عامّاً من أمور الدين³⁷⁵؛ كل ذلك سعياً منه رحمه الله لتحقيق متطلبات الحياة الكريمة لمواطن المجتمع الإسلامي ورغد عيشه؛ ليكون عضواً صالحاً مصلحاً، مطمئناً في مجتمعه³⁷⁶، ولا يكون وبالاً وعضواً عاطلة عن تنميته وتقدمه.

3- انظر: ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، ط/1416هـ -1987م، دار الفكر- بيروت 13/133.

4- الطبري، تاريخ الأمم والملوك (تاريخ الطبري)، (ت311هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل، ط/4/1979م، دار المعارف - القاهرة 7/35. والقائل هو عمر بن هُبيرة أمير العراق وخرسان في خلافة يزيد بن عبد الملك، ووالي الجزيرة من قبل عمر بن عبد العزيز، كان من الدهاة الشجعان، قال هذه المقولة لمسلم بن سعيد حينما ولاه خراسان. وانظر: ظافر القاسمي، نظام الحكم، مرجع سابق 1/492.

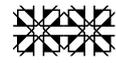
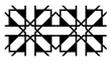
5- ابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري، مصدر سابق 13/133.

1- أخرجه البخاري في صحيحه، ك الفتن، باب العبد راع في مال سيده ولا يعمل إلا بإذنه ، رقم الحديث(2409)، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، ط/1/1422هـ، دار طوق النجاة 3/120، ومسلم في صحيحه، ك الإمارة، باب فضيلة الإمام العادل وعقوبة الإمام الجائر والحث على الرفق بالرعية والنهي عن إدخال المشقة عليهم، رقم الحديث(4828)، دار الجيل بيروت + دار الأفق الجديدة - بيروت 6/7.

2- انظر مثلاً: ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي، سيرة ومناقب عمر بن عبد العزيز الخليفة الزاهد، تحقيق نعيم زرزور، ط/1404هـ، دار الكتب العلمية-بيروت، ص142-171، والقحطاني، محمد بن مشبب، النموذج الإداري المستخلص من إدارة عمر بن عبد العزيز، وتطبيقاته في الإدارة وبخاصة الإدارة التربوية، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي، جامعة أم القرى-مكة المكرمة، ط/1/1418هـ، ص230 وما بعدها.

3- انظر: ابن الجوزي، سيرة ومناقب عمر بن عبد العزيز الخليفة الزاهد، المصدر السابق، ص 90.

4- القحطاني، محمد بن مشيب، النموذج الإداري المستخلص من إدارة عمر بن عبد العزيز وتطبيقاته في الإدارة وبخاصة الإدارة التربوية، ص232.



وبالجملة ينبغي على الرئيس أو الموظف الذي أنيط به الإشراف على أمر ما، أو قيادة فئة ما، أن يكون "قائدًا مساندًا يسعى لتحقيق احتياجات وآمال الأمة، وقائدًا موجّهًا لرعيته وعماله، في كافة الأعمال والمجالات، وقائدًا مشاركًا في اتخاذ القرارات، مسترشدًا بآراء العلماء وذوي المعرفة، وقائدًا موجّهًا للإنجاز محفزًا إليه" 377. فرضي الله عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب كان يقول فيمن قُلِدَ له أمر ما: "شدة في غير عنف، ورحمة في غير ضعف" 378. ومن قوله هذا رضي الله عنه أُخِذَ هذا المثل المشهور: "لا تكن يابسًا فتكسر، ولا لينًا فتعصر" 379. وهذا إشارة منه رضي الله عنه إلى مراعاة مقصد التوسط والاعتدال. ثم يجعل دائمًا نصب عينيه ركائز النمط القيادي في الإدارة الإسلامية وأسسها الراسخة، وهي الأمور التالية:

- 1- الالتزام بكتاب الله سبحانه وتعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم قولاً وفعلاً، بعيداً عن الشكليات والخيالات، بل يكون ذلك واقعاً ملموساً في تصرفاته.
- 2- التأسي بمن قبله من الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم أجمعين.
- 3- الحرص على تقديم القدوة الحسنة.
- 4- الاهتمام بمصالح الأمة وشؤون الرعية.
- 5- الحوار العلمي والإقناع في جميع المستويات، وعلى أي مصلحة من مصالح المسلمين.

ومن استقرى سيرة أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز رحمه الله وأمثاله من القادات الربانيين يجدها متمشية مع هذه الركائز النيرة 380، والأسس الراسخة التي تضيئ الطريق، والمنهج القيادي لكل من كان يرجو الله واليوم الآخر.

المبحث الثالث: الموظف والمال العام في إطار مقاصد الشريعة

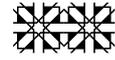
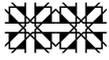
إذا قامت السلطة الإدارية بإعطاء كل ذي حق حقه من موظفيها، ووفرت لهم من المرتبات، والامتيازات ما يسد احتياجاتهم، واحتياجات من تلزمهم نفقاتهم من الأهل والذرية والأقارب، وقدمت لهم حوافز تغريهم إلى استمرار في الخدمة، فعلى الموظفين أن يقابلوا ذلك بأداء الواجبات المنوطة بأعناقهم، ويجتنبوا ما يسبب الفساد الإداري، والسموم الإدارية مثل الخيانة، والكذب، والرشوة، والهدايا الإدارية، والإسراف، والظلم للناس والجور عليهم وغير ذلك، وخاصة ذلك الإجرام الأبعث الذي يقع في كثير من الموظفين في هذا العصر من تصرفات مدهشة في الأموال

5- القحطاني، محمد بن مشيب، النموذج الإداري المستخلص من إدارة عمر بن عبد العزيز وتطبيقاته في الإدارة وبخاصة الإدارة التربوية، ص 238، وراجع أيضاً: عبد العزيز كامل، الحكم والتحاكم في خطاب الوحي، ط 1/1415 هـ، دار طيبة للنشر والتوزيع- الرياض 501/2- 504.

6- أبو عبيد، علاء الدين علي بن حسام الدين الهندي، كنز العمال، تحقيق: بكر حيّاني، ط/1979 م، مؤسسة الرسالة- بيروت 534/5، وظافر القاسمي، نظام الحكم في الشريعة والتاريخ الإسلامي، مرجع سابق 481/1.

³⁷⁹ - ظافر القاسمي، نظام الحكم في الشريعة والتاريخ الإسلامي، المرجع السابق 481/1.

³⁸⁰ - راجع: ابن عبد الحكم، سيرة عمر بن عبد العزيز على ما رواه مالك وأصحابه، تحقيق: أحمد عبيد، ط/1373، مكتبة وهبة- دمشق، ص 34-37، 48، وابن الجوزي، سيرة عمر بن عبد العزيز، مصدر سابق، ص 219، وابن سعد، الطبقات الكبرى، ط/1377 هـ-1958 م، دار الصادر. بيروت 5/334، و5/345، و5/377، والسيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، تاريخ الخلفاء، ط 1/1408 هـ-1998 م، دار الكتب العلمية- بيروت، ص 214، والقحطاني، محمد بن مشيب، النموذج الإداري المستخلص من إدارة عمر بن عبد العزيز وتطبيقاته في الإدارة وبخاصة الإدارة التربوية، مرجع سابق، ص 238-257.



العامة كما يشاءون بلا مبالاة ولا حدود، بل يسلبون هذه الأموال وينهبونها، ويشعرون كأنها ملك لهم يأكلونها هنيئاً مريئاً، ويكبلون الشعب بالديون الهائلة ورباها المزهل، عامرين بذلك بلدانهم بالفقر، والعمل على إفساد خلق كثير من رعيّتهم، وقد يؤدي ذلك إلى إعادة بعض الدول لصندوق الدّين (صندوق النقد الدولي)، أو البنك الدولي للإنشاء والتعمير، أو غيره، والعودة غالباً تكون بصورة أشنع كما نشاهد ذلك في الأيام الراهنة.

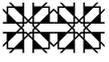
ولا ريب أن الفقر يجعل الدولة ضعيفة فريسة أمام المجتمع الدولي؛ لذلك تعمل بعض الدول المتقدمة في تخطيطها على إفقار البلاد الإسلامية وكذلك النامية لبسط نفوذها عليها، وإعادة استعمارها من جديد؛ وللأسف الشديد تجد بعض الحكام والموظفين العموميين يلوّحون بالمكاسب الهائلة في المشاريع الفاسدة الخاسرة التي يهرجون بها، وما هي إلا سنوات حتى يظهر فساد المشاريع وخسارتها بضياح أموال الدولة، وأموال الناس الذين اشتروا أسهمًا فيها. ولا شك أن ذلك من أكبر الخيانات وأعظمها خطرًا، وعلى الدولة برمتها أن تقوم بدرء هذه المفاسد وسد منافذها باتخاذ إجراءات إدارية مناسبة رادعة وزاجرة لمن اقتحمها، ولمن تسوّّل له نفسه الاقتحام فيها، وذلك لتُحفظُ بها الأموال العامة من عبث العابثين وعدوان الظالمين؛ لأن حفظ الأموال كما تقدم من المقاصد الضرورية الخمس التي يجب المحافظة عليها ورعايتها، وترك أمثال هؤلاء الموظفين الخوّنة على هذه الحالة مناقض لهذه المقاصد الجوهرية للشريعة الإسلامية.

فقد جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "من ولى لنا شيئاً، فلم يكن له امرأة فليتزوج، ومن لم يكن له مسكن فليتخذ مسكناً، ومن لم يكن له مركب فليتخذ مركباً، ومن لم يكن له خادم فليتخذ خادماً، فمن أعدّ سوى ذلك جاء يوم القيامة غالباً سارقاً" 381، ومن تأمل في هذا الحديث الشريف، وفي الحقوق التي منحها للعاملين، لا يجد مثلها عند أية دولة من دول العالم المعاصر؛ ذلك أن العامل قد يكون فقيراً، بل هو كذلك على الأعم الأغلب، وقد جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم مهر زوجته، إذا كان عزباً على بيت المال، وذلك بغية إحصانه، وغض بصره عن أعراض الناس 382. وهذا في حد ذاته مقصد شرعي من مقاصد الشريعة الإسلامية.

كذلك فإنه لا يعقل أن يكون العامل من غير مسكن، فجعل الرسول صلى الله عليه وسلم مسكنه على بيت المال. وليس مفروضاً في العامل أن يتنقل من بيته إلى محل عمله، أو لمراقبة أحوال الرعية مشياً على الأقدام؛ لذلك أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكون له مركب، وهو في لغة اليوم السيارة، ومن مقتضى تفرغ العامل في وظيفته أن يكون عنده من يقوم على خدمته؛ ولأجل ذلك نص رسول الله صلى الله عليه وسلم على اتخاذ الخادم.

1- أخرجه أبو داود في سننه، ك الخراج والإمارة والفئ، باب أرزاق العمال، رقم الحديث (2947) 95/3، وأحمد في مسنده، مصدر سابق 239/5، (مسند الأنصار)، والطبراني في المعجم الكبير، رقم الحديث (726) 203/16، وابن خزيمة في صحيحه، تحقيق: د. محمد مصطفى الأعظمي، ط/1390-1970، المكتب الإسلامي- بيروت، باب فرض الإمام للعامل على الصدقة رزقا معلوما، رقم الحديث (2370) 70/4، والقاسم بن سلام، الأموال، رقم الحديث (561) 114/2، وابن زنجويه، حيمد بن مخلد الأزدي، الأموال، رقم الحديث (758) 320/2، والحاكم في المستدرک، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ط/1411-1990، دارالكتب العلمية-بيروت، رقم الحديث (1473) 19/2، وقال: "هذا حديث صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه"، ووافقه الألباني في صحيح سنن أبي داود برقم (2945).

382 - انظر: ظافر القاسمي، نظام الحكم في الشريعة والتاريخ الإسلامي، مرجع سابق 497/1-498.



هذه الأشياء كلها يقع عبؤها على بيت المال، وإن لم يرد ذلك صريحاً في الحديث؛ فإنه إما أن يُفترض أن بيت المال يضمن له كل هذه الحقوق في اليوم الذي يولي فيه، وإما أن يكون راتبه كافياً لتدراك النفقة اللازمة بوفاء هذه الحقوق. وإلا لم يكن لهذه الأوامر الأربعة المتتالية معنى، فيما إذا كان العامل عاجزاً عن القيام بها³⁸³، بل هذا الحديث يشير إلى ما يطلق عليه في العصر الحديث "بمبدأ تحديد الحد الأدنى للأجور".

أما قوله صلى الله عليه وسلم: "فمن أعدَّ سوى ذلك جاء يوم القيامة غالاً سارقاً"، فإن أصل الغلول إخفاء ما يقع من الغنائم في يد الجنود، وعدم تقديمها إلى صاحب الغنائم. ثم وسع معنى الغلول، فأصبح يشمل كل ما يبتزّه العامل من أموال الدولة أو أموال الناس بوجه غير شرعي، وقد جاء التحذير من الغلول في الكتاب والسنة، واعتبره هذا الحديث سرقة صحيحة؛ لذلك فإن العامل الذي يتهبأ له المهر والمسكن والمركب والخدام³⁸⁴، وغير ذلك مما يسد احتياجاته، لا يجوز له أن يمد يده إلى أموال الدولة أو أموال الناس، وإلا كان حكمه حكم السارق³⁸⁵، بل يرى بعض العلماء إدخال هذا الصنف في إطار المحاربيين³⁸⁶؛ لأنه لا تفيد فيهم الاستغاثة بالعلماء ولا بغيرهم، ولكن الراجح أنهم لا يُلحقون بأهل الحراية لأخذهم من أموال الدولة؛ لوجود الشبهة فيها من تعلق حقوقهم بها، وهي سرقة دون السرقة، بل يعتبر ذلك خيانة عظمى للدولة ومصالحها العامة يجب تعزيرهم على ذلك تعزيراً رادعاً زاجراً مناسباً للجريمة، قال الإمام العز بن عبد السلام رحمه الله: "وصرف مال المصالح إلى غير مستحقّيه: الخصوم فيه يوم القيامة أكثر من الخصوم في الزكوات، فإن كان المال مستوعباً لجميع المصالح فالخصوم قد تقوّم، مستحقوه على قدر استحقاق كل واحد منهم، وإن لم يستوعب المصالح كانت الخصومة فيه من مستحقّ التقويم به"³⁸⁷. قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يَعْلَلْ مِمْعَلًا يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ [آل عمران: 161] وقال النبي صلى الله عليه وسلم: "من استعملناه منكم على عمل فكتّمنا مخيطاً فما فوقه، كان غلولاً يأتي به يوم القيامة"³⁸⁸، وقال صلى الله عليه وسلم أيضاً: "من استعملناه على عمل فزرقناه رزقاً فما أخذ بعد ذلك فهو غلول"³⁸⁹. أي "من عيناه في وظيفة وحددناه راتباً فأخذ زيادة على ذلك فهو سرقة"³⁹⁰.

383 - المرجع نفسه 1/498.

384 - المرجع نفسه 1/498.

385 - المرجع نفسه 1/498.

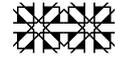
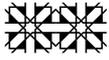
386 - الجزيري، عبد الرحمن بن محمد عوض، الفقه على المذاهب الأربعة، دار الفكر- بيروت 5/357.

387 - العز بن عبد السلام، الفوائد في اختصار المقاصد (القواعد الصغرى)، تحقيق إباد خالد الطباع، دار الفكر المعاصر- بيروت، ودار الفكر- دمشق، ط1/1416هـ. 1996م، ص 87-88.

388 - أخرجه مسلم في صحيحه، ك الإمامة، باب تحريم هدايا العمال، رقم الحديث (4848) 6/12، وأحمد في مسنده، رقم (17723) 29/261.

389 - أخرجه أبو داود في سننه، ك الخراج والإمارة والفيء، باب في أرزاق العمال، رقم الحديث (2943) 2/149، والبغوي في شرح السنة، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ومحمد زهير الشاويش، ط1/1390هـ، المكتب الإسلامي- بيروت 10/88-89، وقال الألباني: إسناده صحيح، راجع: ولي الدين التبريزي، مشكاة المصابيح، تحقيق: الألباني، ك الإمامة والقضاء باب رزق الولاة وهدياهم، رقم الحديث (3748) 2/338 من الهامش.

390 - محمد المبارك، نظام الحكم في الإسلام (العقيدة والعبادة)، دار الفكر- دمشق، ط1/1989م، ص 41.



وهذه النصوص وغيرها تدل على خطر هذا الإجماع، ومناقضته لمقاصد الشريعة الإسلامية؛ ومن أجل ذلك يجب على ولي الأمر أن يحاسب أموال ولاتته وسائر الموظفين في دولته حفاظاً لمقصد حفظ الأموال من الضياع والتلف درءاً للمفاسد وتقليلها وجلباً للمصالح وتكثيرها بقدر الإمكان.

المبحث الرابع: محاسبة الولاية والعاملين في إطار مقاصد الشريعة

إن استيفاء الحساب وضبط مقبوض المال ومصروفه من العمل الذي له أصل في الشريعة الإسلامية؛ لقوله تعالى **قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالْعَمَلِينَ عَلَيْهِمْ﴾** التوبة: ٦٠ وكان النبي صلى الله عليه وسلم يُحذِر هؤلاء السعاة أشد التحذير من تناول شيء من المال العام بغير حق مهما يكن قليلاً، وكان يحاسب بعضهم أحياناً، كما ثبت أن ابن اللتبية لما قدم حاسبه 391، وفي الصحيح عن أبي حميد الساعدي رضي الله عنه قال: استعمل رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ابن اللتبية - رجلاً من الأزدي - على الصدقة، فجاء بالمال فدفعه إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، فقال: هذا مألُكم، وهذه هدية أهديت لي، فقال له النبي -صلى الله عليه وسلم-: "أفلا قعدت في بيت أبيك وأمك، فتنظر أهدي إليك أم لا؟!،..... والذي نفسي بيده لا يأخذ أحد منه شيئاً إلا جاء به يوم القيامة يحمله على رقبتة إن كان بعيراً له رغاء أو بقرة لها خوار أو شاة تيعرُ" 392.

وهذا أصل في محاسبة العمال المتفرقين. والمستوفي الجامع نائب الإمام في محاسبتهم، ولا بد عند كثرة الأموال ومحاسبتهم من ديوان جامع. ولهذا علّق ابن القيم رحمه الله تعالى على ذلك بقوله: "وكان في هذا حُجّة على محاسبة العمال (الولاية) والأمناء، فإن ظهرت خيانتهم عزلهم وولى أميناً" 393. وللحكومة محاسبة الموظفين وأصحاب الولاية والسلطة في نواحي الدولة، ويمكنها أن تحاكمهم على أساس المبدأ القائل: "من أين لك هذا؟" ليتبين الوجه المشروع لكسب المال 394، بل إن خطاب الشريعة الإسلامية موجه للحاكم والمحكوم، فالجميع مكلفون لتحقيق الهدف الأسسى وهو تحقيق المقاصد الشرعية في جلب المصالح ودرء المفاسد، وضمان الحفاظ على الضروريات الخمس، وبذلك فهُم جميعاً (الحاكم والمحكوم) يخضعون لشريعة كاملة ومتكاملة، ويمارس الجميع مسؤولياتهم على اختلاف درجاتهم وفقاً لقواعد عليا محكمة لا يخرجون عنها ولا يحدون، وهذا الضابط أعطى الإدارة الإسلامية ميزة خاصة حيث أصبح الكل أمام أحكام الشريعة في وضع متساو، فالحرام حرام على الجميع، والحلال حلال للجميع، وهكذا في بقية الأحكام، ولا فارق بينهم إلا في درجة المسؤولية، ولا تفاضل بينهم إلا في التقوى 395. قَالَ تَعَالَى: ﴿يَتَأْتِيَ النَّاسَ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَىٰكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾

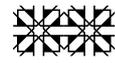
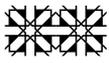
391 - القرضاوي، يوسف بن عبد الله، فقه الزكاة، ط4/1400هـ، مؤسسة الرسالة- بيروت 199/2.

392 - أخرجه البخاري في صحيحه، ك الأيمان والنذور، باب كيف كانت يمين النبي صلى الله عليه وسلم، رقم الحديث (6260)/6/2446، ومسلم في صحيحه ك الإمارة، باب احريم هدايا العمال، رقم الحديث (4844)/6/11.

393 - ابن القيم، محمد بن أبي بكر، زاد المعاد في هدي خير العباد، تحقيق: شعيب الأرنؤوط- عبد القادر الأرنؤوط، ط14/1407-1986، مؤسسة الرسالة - مكتبة المنار الإسلامية - بيروت - الكويت 3/445.

394 - المفصل في أحكام الربا 1-8 (1/12).

395 - انظر: حمد بن محمد آل فريان، مرجع سابق 2/574-575.



الحجرات: ١٣ ولذلك فلا يجوز للدولة أن تمنع أحدًا من مباشرة الأعمال المباحة إلا بمسوغ شرعي، ومن ذلك منع موظفيها من الاتجار والاكْتساب لئلا يستغلوا سلطانهم ونفوذهم، "وكثيرًا ما يقع الظلم من الولاية والرعية: هؤلاء يأخذون ما لا يحل، وهؤلاء يمنعون ما يجب" 396 بسبب ذلك؛ ومن أجل ذلك جاءت الشريعة الإسلامية بنظام محاسبة الولاية والعمال، وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه أول من وضع تنظيمًا دقيقًا لأحوال الأمراء والعاملين وأوضاعهم، ومن ذلك ما عرف عنه أنه كان يحصي أموال عماله قبل إيفادهم، ثم يحاسبهم حين عودتهم، حتى إذا وجد زيادة قاسمهم برد النصف إلى بيت مال المسلمين 397.

هذا التنظيم الدقيق الذي وُضع في الصدر الأول، لم يكن إلا من وحي الفطرة الصافية، التي هدَّتها الإسلام؛ لأنه كان في وقت لم يتصل فيه المسلمون بحضارات الأمم الأخرى، ولم يعرفوا طرق تنظيم الدولة عند الأعاجم 398، بل روعي فيه ما يرمي إليه روح الشريعة الإسلامية ومقاصدها العامة في أحكامها الشرعية.

ويجوز لولي الأمر أن يصادر أموال الموظف الذي لم يمتنع من مزاولة التجارة بعد أن قاسمه في ماله ولم ينزجر؛ لأنه كما هو معلوم حتى في القوانين الحديثة أن "الموظف لا يكون تاجرًا"، وإن كانت هذه القاعدة لم تتضمن عقوبة مالية بحق الموظف المخالف لها في هذه القوانين، وقد "شرع عمر رضي الله عنه للناس هذا المبدأ سنة ثلاث وعشرين (23) للهجرة، وجعلت عقوبة العامل الذي لا يتقيد بهذا المبدأ مصادرة الأموال التي تاجر بها لبيت المال؛ ذلك بأن الذي انتدب لخدمة عامة، لا بد وأن يُهمَّلها إذا حمل معه أموالاً للتجارة، ولا يمكن أن ينصرف كليًا إلى عمله، وربما غلب حب الربح على كل شيء، وتعطلت بذلك مصالح الخلق" 399؛ ولا شك أن هناك مراعاة لمقاصد الشريعة في تنزيل هذا القرار، وفي تطبيقه.

وعلى من يقوم بمحاسبة الولاية والموظفين أن يراعي القاعدة التي تقول: إن الأموال أمانة يجب أخذها من حبلها، ووضعها في محلها ولا تُمنع مستحقَّها 400، وانطلاقًا من هذه القاعدة وضع بعض العلماء ضوابط للتدبير المالي في جانبي الجمع والانفاق؛ لضمان حفظ الأموال وعدم تضييعها وتبديدها على الأمة، وهو مقصد من مقاصد

396 - ابن تيمية، أحمد بن عبد الحلیم، السياسة الشرعية، تحقيق وتعليق د. محمد البنا، ومحمد عاشور، ط/1390 هـ-

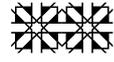
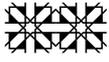
1990 م، دار الشعب - مصر، ص 161.

397 - انظر: الطبري، تاريخ الأمم والملوك، مصدر سابق 437/3، وابن الجوزي، سيرة عمر بن الخطاب، دار الفكر - دمشق، ص 89، وعبد الكريم زيدان، الفرد والدولة في الشريعة الإسلامية، ط/1965 م، مكتبة المنار - الكويت، ص 73، وظافر القاسمي، نظام الحكم في الشريعة والتاريخ الإسلامي 520/1 - 523.

398 - ظافر القاسمي، نظام الحكم في الشريعة والتاريخ الإسلامي، مرجع سابق 547/1 - 548.

399 - المرجع نفسه 522/1، وراجع أيضا: الطبري، تاريخ الأمم والملوك، مصدر سابق 4/220.

400 - انظر: ابن تيمية، السياسة الشرعية، مصدر سابق، ص 45.



الشريعة الكبرى، وتنطبق هذه الضوابط في نفس الوقت على كل من التصرفات المالية للرعاة والرعية. ومن ضوابط السياسة المالية في جانب جمع الأموال ما يأتي 401:

1- كل من عليه مال يجب أدائه، فإذا امتنع من أداء الحق الواجب من عين أو دين أو أخفاه ولم يظهره، وعرف أنه قادر على أدائه فإنه يستحق العقوبة، وفي الحديث: «لِيُؤَا جِدِ يُجِلُّ عِرْضَهُ وَعُقُوبَتُهُ» 402، وفي حديث آخر: «مَطْلُ الْعَنِيِّ ظُلْمٌ وَإِذَا أُتْبِعَ أَحَدُكُمْ عَلَى مَلِيٍّ فَلْيَتَّبِعْ» 403.

2- ما أخذه ولاة الأموال من مال المسلمين بغير حق، فلولي الأمر العادل استخراجهم منهم ورده لأهله كالهدايا التي يأخذونها بسبب العمل، ومحاباة الولاة في المعاملة من المبايعة والمؤاجرة والمضاربة، والمساقاة والمزارعة، ونحو ذلك من أنواع الهدية؛ لأنه استغلال نفوذ أو انتفاع بسبب الوظيفة.

3- إذا كانت الأموال أخذت بغير حق، وقد تعذر ردها إلى أصحابها ككثير من الأموال السلطانية تصرف هذه الأموال في مصالح المسلمين 404.

فليعلم الموظفون أن الإيرادات والنفقات العامة أمانة يجب أن تؤخذ من حلها وتوضع في محلها وتعطى مستحقيها، ولا يجوز إسراف فيها أو صرفها في غير محلها، بل على المسؤولين أن يدركوا أن الموارد العامة المتاحة لكل دولة مهما كثرت فهي محدودة، وعليه فلا بد من إجراء المفاضلة بين الأولويات في هذه النفقات؛ ولذلك كان على هؤلاء المسؤولين في كل دولة أن يختاروا بين أساليب الإنفاق المختلفة أدقها، ويتبعوا أفضل السبل المعينة على التخطيط السليم، مع مشورة ذوي الرأي والاختصاص في المجال تجنباً عن الوقوع في الخطأ الناشئ عن التخبط وسوء التخطيط 405؛ ومن أجل هذا كان لا بد من الأخذ بالضوابط التالية 406 في جانب تدبير النفقات العامة:

1- ليس لأولي الأمر أن ينفقوا هذه الأموال بحسب أهوائهم كما يقسم المالك ملكه، وإنما هم أمناء ونواب ووكلاء فيها.

⁴⁰¹ - راجع: فوزي خليل، المصلحة العامة من منظور إسلامي ويلييه تطبيقات المصلحة العامة في عصر الخلفاء الراشدين، ط1/1424هـ - 2003م، دار المؤيد- الرياض، ومؤسسة الرسالة- بيروت، ص369.

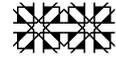
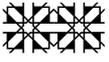
⁴⁰² - أخرجه أبو داود في سننه، ك الأفضية، باب في الحبس في الدين وعيره رقم (3630) 3/349، والنسائي في سننه، ط5/1420هـ، دار المعرفة- بيروت، ك البيوع، باب مطل الغني، رقم الحديث (4703) 7/363، وأحمد في مسنده، رقم الحديث (17946) 29/465، وأخرجه البخاري تعليقاً في باب لصاحب الحق مقال 5/46.

⁴⁰³ - أخرجه البخاري في صحيحه، ك الحوالات، باب إذا أحال على ملي فليس له رد، رقم الحديث (2288) 3/93، ومسلم في صحيحه ك المساقاة، باب تحريم مطل العني وصحة الحوالة واستحباب قبولها إذا أحيل على ملي، رقم الحديث (4085) 5/34.

⁴⁰⁴ - راجع: العز بن عبد السلام، القواعد الصغرى، مصدر سابق، ص85-90، وابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، مجموع الفتاوى، جمع وترتيب: عبد الرحمن بن قاسم النجدي وابنه محمد، ط1/1398هـ، مكتبة النهضة الحديثة- مكة المكرمة 28/278-284، وابن تيمية، السياسة الشرعية، مصدر سابق، ص59-60، وفوزي خليل، المصلحة العامة من منظور إسلامي، مرجع سابق، ص369-370.

⁴⁰⁵ - حسين راتب يوسف ريان، عجز الموازنة وعلاجه في الفقه الإسلامي، دار النفائس- بيروت، ص165.

⁴⁰⁶ - المرجع نفسه، ص165، وراجع فوزي خليل، المصلحة العامة من منظور إسلامي، مرجع سابق، ص370، وإبراهيم يوسف، النفقات العامة في الإسلام، ط1/1980م، دار الكتاب الجامعي- القاهرة، ص197.



- 2- أن يوضع المال في حقه ولا يمنع من مستحقه.
- 3- أن يُبدأ في المصارف بالأهم فالمهم من مصالح المسلمين العامة كالإنفاق فيما يحصل للمسلمين به منفعة عامة.
- 4- الموازنة بين المصالح والمفاسد فيما يراد صرف هذه الأموال فيه.
- 5- الموازنة بين تكلفة الإنفاق والعوائد التي تعود على المجتمع.
- 6- ألا تطلب الرعية من أولي الأمر ما لا يستحقونه فيكونون من جنس من قال الله فيهم قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَنْهُمْ مَنْ يَلْمُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطُوا مِنْهَا إِذَاهُمْ يَسَخَطُونَ ﴾ التوبة: ٥٨ لأن هذا من أكبر دواعي انتشار الفساد الإداري، والخيانات الوظيفية.

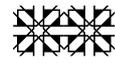
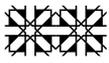
وجميع هذه الضوابط إنما وضعها الفقه الاقتصادي الإسلامي لضمان حفظ الأموال وعدم تضييعها وتبديدها على الأمة، جلباً للمصالح وتحصيلها، ودرءاً للمفاسد وإزالتها أو تقليلها⁴⁰⁷.

وانطلاقاً مما تقدم يجب على ولي الأمر ومن يتولى أمور المال العام في الدولة الإسلامية أن يقدم الأكثر أهمية على الأقل أهمية، وذلك حسب حاجة الجماعة وظروفها، ومن الحاجات ما هو أشد ضرورة في زمن معين فيقدم على ما هو أقل خطورة وضرورة، حتى يصل في النهاية إلى تحقيق الإشباع الكافي للحاجات العامة الأساسية⁴⁰⁸؛ لأن التكليف الإنفاقي وتديبره يتناول مصالح العباد مراعيًا في ذلك مراتبها الثلاثة (الضروريات، والحاجيات، والتحسينيات)، وقد بيّن العلماء أن كون الشيء ضروريًا أو حاجيًا أو تحسينيًا إنما يرجع للظروف والأحوال التي يمر بها المجتمع من حالة حرب أو سلم، أو قحط أو نصب، أو انتشار وباء وغير ذلك من الظروف؛ وعلى الدولة الإسلامية أن تسلك هذا الترتيب عند إشباع الحاجات العامة إذا ضاق عنها المال العام، فيُقدّم ما هو ضروري على ما هو حاجي، وما هو تحسيني أو كمالي، وهكذا، بل يرفض الاقتصاد الإسلامي أن توجه الموارد لإشباع حاجة من الحاجات مع وجود نقص في إشباع حاجة أخرى أكثر أهمية، وأقل تكلفة⁴⁰⁹.

⁴⁰⁷ - انظر: فوزي خليل، المصلحة العامة من منظور إسلامي، مرجع سابق، ص 369-370.

⁴⁰⁸ - انظر: حسين راتب، عجز الموازنة وعلاجه في الفقه الإسلامي، مرجع سابق، ص 165.

⁴⁰⁹ - انظر: ابن تيمية، السياسة الشرعية، مصدر سابق، ص 44-45، وابن قدامة، المغني، مصدر سابق 417/6، والشرازي، المهذب في فقه مذهب الإمام الشافعي، معه المجموع، مكتبة الإرشاد- جدة 2/248، والعز بن عبد السلام، قواعد الأحكام في مصالح الأنام (القواعد الكبرى)، تحقيق: عبد اللطيف عبد الرحمن، ط 2/1404 هـ 1980م، دار الجيل- بيروت، لبنان 72/1، وحسين راتب، عجز الموازنة وعلاجه، المرجع السابق، ص 169.



فمهمات المسلمين العامة هي الضروريات فإذا أشبعت فينفق على الحاجيات ثم الكماليات، وقبل سد الضروريات لا يجوز إنفاق المال على الحاجيات وما يليها في الأهمية والمرتبة 410، ومن فعل ذلك فقد خرج عن مقتضى الشريعة، وخالف مقاصدها العامة.

فمثلاً إعداد الجيوش وتصنيع السلاح وشراؤه، وتدريب المجاهدين كل ذلك من الضروريات، وإنشاء الحدائق والمنزهات، وكذلك المراسم والاحتفالات الشكلية التي لا تجر نفعاً وإنما تؤدي إلى تبديد الأموال وزيادة العجز والمديونية، كلها من الكماليات، فلا يجوز شرعاً ولا يليق عادة إضاعة الأموال في ذلك والجيش مستضعف، والسلاح معدوم، والمجاهدون لم يُعدّوا والأعداء متربصون من كل ناحية 411، بل الأمة في جهل وتخلف وتخبط وتمزق واختطاف واغتيال.

ومثال آخر: "إنشاء المستشفيات في البلاد التي ليس فيها مستشفى من المصالح الضرورية لتعلق ذلك بالحفاظ على النفس، وبناء الملاعب والمسارح من التحسينات - إن ترجحت مصلحتها- فلا ينبغي للدولة أن تقيم الملاعب وتبنى المسارح في كل المدن والبلاد، وتهمل إنشاء المستشفيات، فإنه لا يجوز إهمال مصالح الناس الضرورية من أجل الحسينيات، كما أن مصالح اللعب تحسينية جزئية ومصلحة الاستشفاء والتصدي للأمراض القاتلة ضرورية كلية، فكيف يقدم الجزئي على الكلي؟ والتحسيني على الضروري؟" 412، وكذلك الأمر في قضية بناء المطارات الولائية والأنفاق والجسور في المدن مع أن الشعب في جوع مخوف وأمية منتشرة، والأراضي الصالحة للزراعة مهملة، وصرف المياه الصحي الصافي المصالح الشرب معطل، والطاقة الكهرباء غير متوفرة والمصانع والشركات متوقفة. ولا يقتحم ذلك إلا من لا يهتم بسلم الأولويات، أو يجمله أصلاً.

الخاتمة: ونسأل الله حسنها:

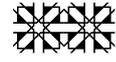
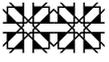
لقد توصل الباحث من خلال هذه الجولة البحثية الوجيزة إلى نتائج جمة جدير به أن يتطرق إلى أهمها في النقاط التالية:

- أسفر البحث أن معالجة الأزمات المالية ومكافحة المشكلات الاقتصادية التي تهدد الاستقرار والعيش الرغد في المجتمعات المعاصرة لا يمكن أن تتحقق بدون مراعات الضوابط المعتمدة في الجمع والإنفاق للأموال على حد السواء في المستوى الدولي أو الإقليمي أو الوطني أو على مستوى القطاع الخاصة للمؤسسات والمنظمات الحكومية أو غير الحكومية، وكذلك الأمر على مستوى الأفراد.

⁴¹⁰ - راجع: حسين راتب، عجز الموازنة وعلاجه في الفقه الإسلامي، المرجع السابق، ص 169، وعبد الله الزبير عبد الرحمن، من فقه الدعوة: رعاية المصالح والموازنة فيها، مجلة الدراسات الدعوية، العدد الرابع، يوليو 2000م- ربيع الثاني 1421هـ، من منشورات مركز الدعوة وتنمية المجتمع بجامعة إفريقيا العالمية، الخرطوم، ص، ص 173-177.

⁴¹¹ - انظر: المرجعين السابقين، الأول، ص 175-177، والثاني، ص 175.

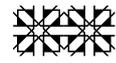
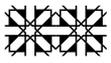
⁴¹² - عبد الله الزبير عبد الرحمن، من فقه الدعوة رعاية المصالح والموازنة فيها، المرجع السابق، ص 170.



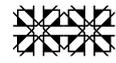
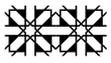
- لا تكون تصرفات الحكام والقادة وكذلك سائر الموظفين وفق المصلحة العليا لأي مجتمع إلا إذا وُضعت لها ضوابط ثم طبقت.
- أن النمو الاقتصادي لأي دولة لا يمكن أن يتحقق بدون قواعد علمية متينة، وقواعد الإسلام أحكم وأوفى للمطلوب من النظم الوضعية وقواعدها الاقتصادية.
- أن استغلال الامكانيات المتاحة لدى الأمة الإسلامية لتحقيق نهضتها العلمية والاقتصادية المتينة، إنما يتم في إطار منهجها الإسلامي القويم، ومقاصد شريعته الجوهرية.
- أن تربية الأمة على الأخلاق الفاضلة، واختيار الموظف، وتطبيق القوانين، والأخذ بالشورى، والمحاسبة الرادعة، من أهم ما يؤدي إلى تنمية اقتصاد الأمة، وتحقيق مقصد حفظ الأموال وترواجها.
- أن ما طرأ من تطور وتغير كبير في حياة الأفراد والمجتمعات يقرر لنا الحاجة الماسة للنظام الاقتصادي الإسلامي في عصرنا الحاضر أكبر وأشد من أي عصر آخر.
- أن الاقتصاد الإسلامي يعالج باطن الإنسان وكيانه الداخلي، ويظهر نفسه بالمراقبة المستمرة لله عز وجل، ويربطه بالإيمان بالله واليوم الآخر.
- يفوق الاقتصاد الإسلامي غيره بصور الإنفاق للأقربين والمحتاجين، وأداء الزكاة، والتكافل والبر بالأيتام، وعدم الغش وأكل أموال الناس بالباطل والخوف من الإضرار بالآخرين.
- أن الاقتصاد الإسلامي يسعى لتحقيق العدالة والتوازن بين حاجات الفرد والمجتمع، وكذلك بين مصلحة الفرد والجماعة أو الأمة بأسرها.

قائمة المصادر والمراجع للمقالة:

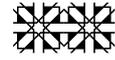
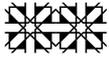
- (1) أحمد بن حنبل الشيباني (ت241هـ)، المسند، مؤسسة قرطبة، مصر، (ب ت).
- (2) أبو عبيد، علاء الدين علي بن حسام الدين الهندي، كنز العمال، تحقيق: بكر حيّاني، مؤسسة الرسالة- بيروت، ط/1979م.
- (3) إبراهيم أنيس وآخرون، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، الدار السودانية للكتب- الخرطوم، ودار الحديث - القاهرة، ط1/1991م.
- (4) إبراهيم يوسف، النفقات العامة في الإسلام، دار الكتاب الجامعي- القاهرة، ط1/1980م.
- (5) ابن تيمية، أحمد بن عبد الحلیم، السياسة الشرعية، تحقيق وتعليق د.محمد البناء، ومحمد عاشور، دار الشعب - مصر، ط/1390هـ - 1990م.
- (6) ابن تيمية، أحمد بن عبد الحلیم، مجموع الفتاوى، جمع وترتيب: عبد الرحمن بن قاسم النجدي وابنه محمد، مكتبة النهضة الحديثة- مكة المكرمة، ط1/1398هـ.
- (7) ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي، سيرة عمر بن الخطاب، دار الفكر- دمشق.
- (8) ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي، سيرة ومناقب عمر بن عبد العزيز الخليفة الزاهد، تحقيق نعيم زرزور، دار الكتب العلمية - بيروت، ط 1404هـ.



- (9) ابن حجر، أحمد علي العسقلاني(ت852هـ)، فتح الباري شرح صحيح البخاري، دار الفكر- بيروت، ط/1416هـ-1987م.
- (10) ابن خزيمة، محمد بن إسحاق بن خزيمة أبو بكر السلمي النيسابوري، صحيح ابن خزيمة، تحقيق: د.محمد مصطفى الأعظمي، المكتب الإسلامي- بيروت، ط/1390-1970.
- (11) ابن سعد، محمد ابن سعد بن منيع الزهري البصري، الطبقات الكبرى، دار الصادر. بيروت، ط/1377هـ-1958م.
- (12) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون، مطبعة مصطفى البابي الحلبي- مصر، ط2/1392هـ-1972م.
- (13) ابن قدامة، عبد الله بن أحمد المقدسي موفق الدين (ت620هـ) المغني (ومعه مختصر الخرق)، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي وعبد الفتاح الحلو، هجر للطباعة-القاهرة، ط1/1406هـ.
- (14) ابن القيم، محمد بن أبي بكر، زاد المعاد في هدي خير العباد، تحقيق: شعيب الأرنؤوط- عبد القادر الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة - مكتبة المنار الإسلامية-بيروت- الكويت، ط14/1407-1986.
- (15) ابن عبد الحكم، عبد الله بن عبد الحكم المصري(ت 214 هـ)، سيرة عمر بن عبد العزيز على ما رواه مالك وأصحابه، تحقيق: أحمد عبيد، مكتبة وهبة- دمشق، ط/1373.
- (16) ابن النجار، شرح الكوكب المنير، مكتبة العبيكان- الرياض، ط/1413هـ-1993م.
- (17) ابن نجيم، الأشباه والنظائر، دار الكتب العلمية- بيروت، ط/1405هـ.
- (18) ابن منظور، محمد بن مكرم الأنصار(ت711هـ)، لسان العرب، دار صادر- بيروت(ب ت).
- (19) البخاري، محمد بن إسماعيل (ت256هـ)، صحيح البخاري (الجامع الصحيح)، ومعه شرحه فتح الباري، تحقيق مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، اليمامة- بيروت، ط3/1407هـ-1987م.
- (20) البيهقي، عبد الله بن محمد بن عبد العزيز أبو القاسم(ت317هـ)، في شرح السنة، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ومحمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي- بيروت، ط1/1390هـ.
- (21) تاج الدين السبكي، عبد الوهاب بن تقي الدين (ت771هـ)، الأشباه والنظائر، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد عوض، دار الكتب العلمية- بيروت، ط1/1411هـ.
- (22) الجرجاني، علي بن محمد بن علي، التعريفات، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي- بيروت، ط1/1405هـ.
- (23) الجزيري، عبد الرحمن بن محمد عوض، الفقه على المذاهب الأربعة، دار الفكر- بيروت.
- (24) حاج نور، أحمد محجوب، مقدمة في فقه الدولة، المركز القومي للإنتاج الإعلامي- الخرطوم، ط2/1417هـ-1996م.
- (25) حسين راتب يوسف ريان، عجز الموازنة وعلاجه في الفقه الإسلامي، دار النفائس- بيروت.
- (26) حمد بن محمد آل فريان، آراء ابن تيمية في الحكم والإدارة، دار الألباب - الرياض، ط/1420هـ.
- (27) رابع يحيى حسن، "مقاصد الشريعة الإسلامية في الأقضية النبوية وأثر مراعاتها في أحكام الوقائع المعاصرة"، بحث غير منشور مقدم لنيل درجة الدكتوراه في الشريعة من قسم الشريعة والقانون، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة إفريقيا العالمية، عام2011م.



- (28) الزبيدي، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، أبو الفيض، الملقب بمرتضى، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، وآخرين، وزارة الإرشاد والأنباء- الكويت، ط/1385هـ.
- (29) سليمان بن أحمد الطبراني (ت360هـ)، المعجم الأوسط، تحقيق: طارق بن عوض وعبد المحسن بن إبراهيم الحسني، دار الحرمين- القاهرة، ط/1415هـ.
- (30) سليمان بن أحمد الطبراني (ت360هـ)، المعجم الكبير، تحقيق: حمدي بن عبدالمجيد السلفي، مكتبة العلوم والحكم- الموصل، ط2/1404-1983م.
- (31) سليمان بن الأشعث السجستاني (ت275هـ)، سنن أبي داود، دار الحديث- القاهرة، 1408هـ-1985م.
- (32) السيد هيكل، القانون الإداري السعودي، عمادة شؤون المكتبات، جامعة الملك سعود- الرياض، ط1/1415هـ-1994م.
- (33) السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، تاريخ الخلفاء، دار الكتب العلمية- بيروت، ط1/1408هـ-1998م.
- (34) الشرازي، أبو إسحاق إبراهيم بن علي، المهذب في فقه مذهب الإمام الشافعي، معه المجموع، مكتبة الإرشاد- جدة.
- (35) صالح المزيد، كسب الموظفين، وأثره في سلوكهم، مطبعة المدني، والمؤسسة السعودية- مصر، ط/1403هـ-1983م.
- (36) الكاساني، علاء الدين أبو بكر بن مسعود، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، دار الفكر- بيروت، ط1/1417هـ-1996م.
- (37) فوزي خليل، المصلحة العامة من منظور إسلامي وبلية تطبيقات المصلحة العامة في عصر الخلفاء الراشدين، دار المؤيد- الرياض، ومؤسسة الرسالة- بيروت، ط1/1424هـ-2003م.
- (38) القونوي، قاسم بن عبد الله بن أمير علي، أنيس الفقهاء في تعريفات الألفاظ المتداولة بين الفقهاء، تحقيق: د. أحمد بن عبد الرزاق الكبيسي، دار الوفاء - جدة، ط1/1406هـ.
- (39) القليوبي، أحمد سلامة، حاشية قليوبي على شرح المحلي على منهاج الطالبين للنووي، دار الفكر- بيروت، لبنان، ط1/1419هـ-1998م.
- (40) القحطاني، محمد بن مشبب، النموذج الإداري المستخلص من إدارة عمر بن عبد العزيز، وتطبيقاته في الإدارة وبخاصة الإدارة التربوية، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي، جامعة أم القرى- مكة المكرمة، ط1/1418هـ.
- (41) القرضاوي، يوسف بن عبد الله، فقه الزكاة، مؤسسة الرسالة- بيروت، ط4/1400هـ.
- (42) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك (تاريخ الطبري)، (ت311هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل، دار المعارف - القاهرة، ط4/1979م.
- (43) ظافر القاسمي، نظام الحكم في الشريعة والتاريخ الإسلامي، دار النفائس- بيروت، لبنان، ط6/1411هـ-1990م.
- (44) عبد الرحمن بن صالح العبد اللطيف، القواعد والضوابط الفقهية المتضمنة للتيسير، من منشورات عمادة البحث العلمي في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ط1/1423هـ-2003م.



- (45) عبد الله الزبير عبد الرحمن، من فقه الدعوة: رعاية المصالح والموازنة فيها، مجلة الدراسات الدعوية، العدد الرابع، يوليو 2000م-ربيع الثاني 1421هـ، من منشورات مركز الدعوة وتنمية المجتمع بجامعة إفريقيا العالمية، الخرطوم.
- (46) عبد الكريم زيدان، الفرد والدولة في الشريعة الإسلامي، مكتبة المنار- الكويتة، ط/1965م.
- (47) عبد العزيز كامل، الحكم والتحاكم في خطاب الوحي، دار طيبة للنشر والتوزيع- الرياض، ط/1415هـ.
- (48) العز بن عبد السلام، قواعد الأحكام في مصالح الأنام (القواعد الكبرى)، تحقيق: عبد اللطيف عبد الرحمن، دار الجيل- بيروت، لبنان، ط/2-1404هـ-1980م.
- (49) العز بن عبد السلام، الفوائد في اختصار المقاصد (القواعد الصغرى)، تحقيق إباد خالد الطباع، دار الفكر المعاصر- بيروت، ودار الفكر- دمشق، ط/1-1416هـ-1996م.
- (50) مجموعة الباحثين، موسوعة التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، موقع مركز تفسير للدراسات القرآنية، تاريخ النشر: 2019-08-01 08:59:14 م.
- (51) محمد قلعي وحامد صادق قنبي، معجم لغة الفقهاء، دار النفائس- بيروت (ب ت النشر).
- (52) محمد المبارك، نظام الحكم في الإسلام (العقيدة والعبادة)، دار الفكر- دمشق، ط/1-1989م.
- (53) مسلم بن حجاج القشيري، (ت261هـ)، صحيح مسلم، دار الجيل بيروت + دار الأفق الجديدة - بيروت، ط/2-1392هـ-1972م.
- (54) مناع القطان، تاريخ التشريع الإسلامي، مؤسسة الرسالة- بيروت لبنان، ط/10، 1413هـ.
- (55) المناوي، محمد عبد الرؤوف، التوقيف على مهمات التعاريف، تحقيق: محمد رضوان الداية، دار الفكر- بيروت، لبنان، ط/1-1410هـ.
- (56) الندوي، علي أحمد، القواعد الفقهية، دار القلم- دمشق، ط/1-1406هـ.
- (57) النسائي، أحمد بن شعيب (ت303هـ)، السنن، ترقيم عبد الفتاح أبي غدة، دار البشائر الإسلامية- بيروت، ط/1406هـ.
- (58) وهبة الرحيلي، الفقه الإسلامي وأدلته، دار الفكر- دمشق، ط/3-1409هـ.



اجتهادات السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها في تفسير القرآن الكريم

By

Dr. Mustapha Muhammad Qasim

Department of Islamic studies, Bayero university Kano

E-mail: kagarko7@gmail.com

Phone Number: 08060708190 & 08056357773

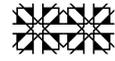
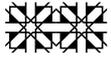
مستخلص البحث

إن للمرأة مكانة عالية في الإسلام، فهو يخاطب الرجال والنساء على السواء، ويعاملهم بطريقة شبه متساوية، فالقرآن والسنة يخضن على معاملة المرأة بعدل ومنحها جميع حقوقها سواء كانت دينية أو اجتماعية. وكان النبي صلى الله عليه وسلم يعلم النساء كما يعلم الرجال، وكانت السيدة عائشة من كبار تلميذاته إن لم تكن أكبرهن، فجمعت منه علوماً كثيراً، وقد لا توجد بعضها عند الرجال من كبار الصحابة، ومما ساعدها على جمع العلوم وهضمها هو لزومها لمعلمها صلى الله عليه وسلم، وأنها تلقت العلوم منه وهي في ريعان شبابها، وكذلك أن الله تبارك وتعالى قد وهبها ذكاء فائقاً، وعقلاً جباراً، وذهناً صحيحاً عجبياً في الحفظ والاستحضار، ولساناً طليقاً. وبعد انتقال النبي صلى الله عليه وسلم إلى الرفيق الأعلى كانت تستقطب كل يوم جمعاً من الطلبة الذين يلتفون حولها للأخذ والاستفادة منها، ومنهم الصحابة والتابعين، ومن الفنون التي تجتهد السيدة عائشة فيما تفسر القرآن الكريم وبيان معاني آياتها. فيلقي الباحث الضوء على الأصول التي بنت اجتهاداتها في تفسير القرآن، ونماذج منها. ويعتمد الباحث في معالجة هذا الموضوع، على المنهج الوصفي والتحليلي والاستدلالي.

المقدمة

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق والخاتم لما سبق وعلى آله وصحابه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين. أما بعد، فإنه لا بد للمرأة المسلمة أن تبحث عن القدوة الصالحة، فإن لم يكن لها أسوة حسنة في أمهات المؤمنين، وكانت الفتوى منهن في معظم شرائع الدين وخاصة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، فسوف تتخذ قدوة من أمهات الكافرين في عاداتها وتقاليدها. ولا يخفى علينا أن تعداد النساء في العالم اليوم يزيد على الرجال، والنساء شقائق الرجال في جميع ما ورد من الشريعة الإسلامية إلا أشياء خصهن الله تعالى بها دون الرجال، وقد تفضل عليهن كما تفضل على الرجال فلهن ما لهن وعلمهن ما علمهم في جملة الشرائع والأحكام.

ولما بعدت الشقة بين نساء عصرنا وبين ما عليه أمهات المؤمنين، خصوصاً السيدة عائشة رضي الله عنها، قامت الباحثة ببيان الجهود الجبارة التي بذلتها أم المؤمنين في بيان المعاني لكتاب الله، والأصول التي بنت عليها



اجتهادها، كي تقتدي بها نساؤنا اليوم في طلب العلم الشرعي ونشره بين الناس، وبخاصة كتاب الله. وإزالة التوهّم أن بلوغ المنزلة العالية في العلم مقيداً على الرجال. وقد قسّم الباحث هذه الورقة إلى مبحثين:

المبحث الأول: ترجمة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها

المبحث الثاني: أصول التفسير عند السيدة عائشة رضي الله عنها، وتحته أربعة مطالب:

المطلب الأول: تفسير القرآن بالقرآن

المطلب الثاني: تفسير القرآن بالسنة

المطلب الثالث: تفسير القرآن بأسباب النزول

المطلب الرابع: تفسير القرآن باللغة العربية

المبحث الأول

ترجمة السيدة عائشة رضي الله عنها

نسيها: هي عائشة بنت أبي بكر الصديق خليفة رسول الله ﷺ عبد الله بن أبي قحافة عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي القرشية التيمية المكية. وأمها أم رومان بنت عامر بن عويمر بن عبد شمس⁴¹³.

أسرتها: انحدر أم المؤمنين عائشة من أسرة اشتهرت بالفضل والتدين والسيرة المحمودة، حظيت هذه الأسرة بأصحاب الفضل والمجد والتقوى والعلم والنور، ملئت بهم كتب التاريخ، ومما يسجله التاريخ الإسلامي بعزٍ وفخرٍ أن القرن الأول الهجري والسادس الميلادي ظهر في هذه الأسرة الطيبة من يفخر بهم العالم الإسلامي إلى يوم القيامة، يأتي في مقدمتهم أفضل شخص في أمة محمد صلى الله عليه وسلم، وهو أبو بكر الصديق رضي الله عنه، وأبو قحافة، وكان له صحبة أيضاً، رضي الله عنه، ثم تأتي تالياً في نفس القرن جمانة العقد وواسطته، ابنت أبي بكر وحفيدة أبي قحافة السيدة عائشة، وكانت من علماء الصحابة ذوي المكانة العلمية العالية التي جعلت طلبة العلم يقصدونها ويتلقون منها العلم، ومنهم الصحابة والتابعين.

ولادتها: بشرت العائلة الصديقية بولادة سليلتها النجيبية: السيدة عائشة رضي الله عنها، في شهر رجب وفي السنة الثامنة قبل الهجرة، وقيل في السنة التاسعة قبل الهجرة، وهي ممن ولد في الإسلام، وهي أصغر من فاطمة بنت رسول الله ﷺ بثماني سنين. وقد استقبلها أبوها بكفالتة منذ ولادتها وأحاطها بعناية خاصة، رضي الله تعالى عنه⁴¹⁴.

نشأتها وزواجها: نشأت وترعرعت تحت رعاية أبيها، ورباها تربية إسلامية صحيحة، لأنها كانت ممن ولد في الإسلام، وكانت تقول: "لم أعقل أبوي إلا وهما يدينان بدين الإسلام"⁴¹⁵.

⁴¹³ - ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، دار الفكر، بيروت، بدون تاريخ، ج4، ص: 89.

⁴¹⁴ - المرجع السابق، نفسه، ج4، ص: 90.

⁴¹⁵ - ابن سعد، محمد، الطبقات الكبرى، دار صادر، بيروت، بدون تاريخ، ج3، ص: 173.

أما زواجه صلى الله عليه وسلم بها، فقد وروى الطبراني بسند حسن عن يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب عن عائشة رضي الله عنها قالت: لما توفيت خديجة قالت خولة بنت حكيم بن أمية بن الوقاص، امرأة عثمان بن مظعون وذلك بمكة: يا رسول الله، ألا تزوج؟ قال: "من؟" قالت: إن شئت بكرا، وإن شئت ثيبا. قال: "فمن البكر؟" قالت: ابنة أحب خلق الله إليك، عائشة بنت أبي بكر. قال: "ومن الثيب؟" قالت: سودة بنت زمعة، آمنت بك واتبعتك على ما أنت عليه. قال: "فاذهبي فاذاكركم علي". فجاءت فدخلت بيت أبي بكر، فوجدت أم رومان أم عائشة فقالت: يا أم رومان، ماذا أدخل الله عليكم من الخير والبركة؟ أرسلني رسول الله ﷺ أخطب عائشة. قالت: وددت انتظري أبا بكر فإنه آت فجاء أبو بكر فقالت: يا أبا بكر ماذا أدخل الله عليكم من الخير والبركة؟ أرسلني رسول الله ﷺ أخطب عليه عائشة. قال: هل تصلح له؟ وإنما هي بنت أخيه. فرجعني إلى رسول الله ﷺ فذكرت ذلك له فقال: "ارجعي إليه فقول له أنت أخي في الإسلام وأنا أخوك، وابنتك تصلح لي". فأتت أبا بكر فقال لخولة: ادعي لي رسول الله ﷺ، فجاء فأنكحه، وأنا يومئذ ابنة ست سنين⁴¹⁶.

أما زفاف أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها إلى النبي ﷺ فقد كان بعد بلوغها تسع سنين كما روى البخاري ذلك عن عروة بن الزبير عن عائشة رضي الله عنها قالت: تزوجني النبي ﷺ وأنا بنت ست سنين، فقدمنا المدينة فنزلنا في بني الحارث بن خزرج، فوعكت، فتمزق شعري فوفى جميمة، فأتتني أمي أم رومان وإني لفي أرجوحة، ومعى صواحب لي، فصرخت بي فأتيتها، لا أدري ما تريد بي، فأخذت بيدي حتى أوقفتني على باب الدار، وإني لأنهج حتى سكن بعض نفسي، ثم أخذت شيئا من ماء فمسحت به وجهي ورأسي، ثم أدخلتني الدار، فإذا نسوة من الأنصار في البيت، فقلن على الخير والبركة، وعلى خير طائر، فأسلمتني إليهن فأصلحن من شأنني، فلم يرعني إلا رسول الله ﷺ ضحى، فأسلمتني إليه، وأنا يومئذ بنت تسع سنين⁴¹⁷.

حياتها العلمية: فقد وعى التاريخ من جليل أعمال أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، وعلمها وفضائلها ما يملأ النفوس إعجابا لها وإعجابا بها، ولا غرو أن تبلغ أم المؤمنين رضي الله عنها ما بلغته من العلم والثقافة وبصيرة الفهم، وأن تصبح مرجعا أساسا من مراجع الدين ويأخذ عنها المسلمون ما فيه تمام دينهم، فهي الصديقة بنت الصديق وهي زوجة النبي ﷺ⁴¹⁸.

دخلت عائشة رضي الله عنها مدرسة النبي ﷺ في نحو التاسعة من عمرها، ولبثت تسع سنين تتلقى عن الرسول ﷺ، وتوفي عنها معلمها ورائدها وهي في ريعان شبابها بعد أن تخرجت على يديه وتلقته عنه، فكانت نابغة عصرها، ومنارا يسترشد به الناس في أمور دينهم، ومرجعا من مراجع العلم، ونابغة المفسرين والفقهاء والمحدثين، وعالمة غزيرة العلم، وراوية من رواة الشعر النابيين⁴¹⁹.

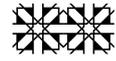
⁴¹⁶ - الطبراني، سليمان بن أحمد، المعجم الكبير، مكتبة العلوم والحكم، الموصل، 1404هـ، ج23، ص:32. وقال الحافظ

المزي في تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف: حسن، ج:3، ص:45، ورقم الحديث:367.

⁴¹⁷ - البخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، دار ابن كثير، بيروت، بدون تاريخ، ج3، ص:1414.

⁴¹⁸ - ابن عبد الغفار، فؤاد بن سراج، حياة الصحابييات وسيرتهن العطرة، المكتبة التوفيقية، القاهرة، 2001م، ص:96.

⁴¹⁹ -- عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، دار ابن كثير، دمشق، ج:10، 1986م،



وإن كان هناك الكثير من فضليات المؤمنات تملأ أخبارهن وأسماؤهن صحائف متعددة في كتب طبقات المحدثين وغيرهم، حتى لقد استغرقت أعلام المحدثات وأبناؤهن المجلد السادس من مسند الإمام أحمد بن حنبل إلا قليلاً من صحائفه، فإن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها تأتي في مقدمتهن⁴²⁰. يقول الإمام الذهبي: "ولا أعلم في أمة محمد ﷺ ولا في النساء مطلقاً امرأة أعلم منها". وأضاف قائلاً: "وذهب العلماء إلى أنها زوجة نبينا ﷺ في الدنيا والآخرة، فهل فوق ذلك مفخر"⁴²¹.

تعد السيدة عائشة من المكثرين في رواية الحديث، حيث يبلغ عددها (2210) حديث، اتفق لها البخاري ومسلم على (174) حديث، وانفرد البخاري بـ(54) ومسلم بـ(69)⁴²². ولذلك يمكننا أن نعد أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها من المكثرين بعد أبي هريرة الذي له (2638) حديث، وبعد عبد الله بن عمر بن الخطاب الذي روي له (2638) حديث، وقبل عبد الله بن عباس الذي روي له (1504) حديث، وقبل أبي سعيد الخدري الذي روي (1170) حديث، لذلك أنشد فيهم:

سبع من الصحب فوق الألف قد نقلوا من الحديث عن المختار خير مضر
أبو هريرة، سعد، جابر، أنس صديقة وابن عباس كذا ابن عمر⁴²³

تلاميذها ومن روى عنها: قد حفظت عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ شيئاً كثيراً، وعاشت بعده قريباً من خمسين سنة، فأكثر الناس الأخذ عنها، ونقلوا عنها من الأحكام والآداب شيئاً كثيراً، حتى قيل إن ربع الأحكام الشرعية منقولة عنها رضي الله عنها⁴²⁴. وعن مسروق أنه قيل له: هل كانت عائشة تحسن الفرائض؟ فقال: والذي نفسي بيده لقد رأيت مشيخة أصحاب رسول الله ﷺ يسألونها الفرائض⁴²⁵. وقال عطاء بن أبي رباح: كانت عائشة رضي الله عنها أفقه الناس وأحسن الناس رأياً في العامة⁴²⁶. فيمكن تقسيم تلاميذها ومن روى عنها إلى مجموعتين:

المجموعة الأولى: الصحابة رضوان الله عليهم: فمنهم عمر بن الخطاب، وابنه عبد الله، وأبو هريرة، وأبو موسى، وزيد بن خالد، وابن عباس، وربيعة بن عمرو الرملي، والسائب بن يزيد، وصفية بنت شيبة، وعبد الله بن عامر، وعبد الله بن حارث بن نوفل، وعروة بن الزبير، وغيرهم⁴²⁷.

420 - ابن عبد الغفار، فؤاد بن سراج، مرجع سابق، ص: 87.

421 - الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد، سير أعلام النبلاء، مؤسسة الرسالة، دمشق، 1417هـ، ج3، ص: 119.

422 - الذهبي، محمد بن أحمد، مرجع سابق، ج2، ص: 139.

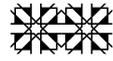
423 - الشربجي، محمد يوسف، الإمام السيوطي وجهوده في علوم القرآن، مكتبة الرشيد، الرياض، 1409م، ص: 167.

424 - ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني، تهذيب التهذيب، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، 1404هـ، ج8، ص: 300.

425 - برهان، محمد، نساء حول الرسول، مكتبة الشعب، القاهرة، 1999م، ص، 282.

426 - ابن سعد، محمد، مرجع سابق، ج8، ص: 52.

427 - ابن عبد الغفار، فؤاد بن سراج، مرجع سابق، ص: 60.



المجموعة الثانية: التابعون رحمة الله عليهم: وروى عنها من التابعين: سعيد بن المسيب، وعمرو بن ميمون، وعلقمة بن قيس، ومسروق بن الأجدع، وعبد الله بن حكيم، والأسود بن يزيد، وأبو سلمة بن عبد الرحمن، وأبو وائل، وآخرون كثيرون⁴²⁸.

وفاتها رضي الله عنها: توفيت عائشة رضي الله عنها وهي ابنة ست وستين سنة، وأوصت أن تدفن ليلتها، واجتمع الأنصار وحضروا فلم تر ليلة أكثر ناسا منها، فدفنت بعد الوتر بالبقيع، وصلى عليها أبو هريرة رضي الله عنه، ونزل في قبرها خمسة من محارمها وهم: عبد الله وعروة ابنا الزبير، والقاسم وعبد الله ابنا محمد بن أبي بكر الصديق⁴²⁹.

المبحث الثاني

أصول التفسير عند أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها

المطلب الأول: تفسير القرآن بالقرآن:

تعريفه: هو تفسير بعض آيات القرآن بما ورد في القرآن نفسه؛ فإن القرآن يفسر بعضه بعضا. فما أجمل في مكان قد فسّر ويُن في مكان آخر، وما أوجز في موضع قد بسط وبين في مكان آخر⁴³⁰

كانت السيدة عائشة من أوائل الصحابة الذين يفسرون القرآن بالقرآن، ومن أمثلة التفسير التي تناسب هذا المطلب هو تفسيرها لقوله تعالى ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ (١٣) الأنعام: ١٠٣ عَنْ مَسْرُوقٍ، عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: "مَنْ زَعَمَ أَنَّ مُحَمَّدًا، أَبْصَرَ رَبَّهُ فَقَدْ كَذَبَ، قَالَ اللَّهُ: " لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ " ⁴³¹ ذكرت ذلك حينما سألتها عن الرؤية وقال: هل رأى محمد ربه: لقد تكلمت بشيء قف له شعري فقال مسروق: رويها، ثم قرأ قوله تعالى: ﴿لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾ (١٨) النجم: ١٨ فقالت: أين يذهب بك؟ إنما هو جبريل من أخبرك أن محمد رأى ربه أو كتم شيئا مما أمر بهن ويعلم الخمس التي قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ، عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنزِلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَآذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (٣٤) لقمان: ٣٤

وقد بذلت الباحثة جهدها في البحث عن الأمثلة الأخرى التي تناسب هذا الموضوع إلا أنها لم تجد إلا مثالا واحداً، وهو الذي سبق عرضه.

المطلب الثاني: تفسير القرآن بالسنة:

⁴²⁸ - المرجع السابق، نفسه، ص: 61.

⁴²⁹ - ابن عبد الغفار، فؤاد بن سراج، مرجع سابق، ص: 96.

⁴³⁰ - محمد بن محمد، أبو شهبة، الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير، مكتبة السنة، جدة، ص، 47.

⁴³¹ - رواه مسلم في صحيحه، باب معنى قول الله لا تدركه الأبصار، ج: 2، 211، ورقم الحديث: (311)

لقد كان تفسير الصحابة يقوم على دعامتين أساسيتين وهما: القرآن والسنة، والسنة تعتبر مفسرة وموضحة لكثير مما في القرآن الكريم من أحكام و تشريعات، كما قال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: " العلم ثلاثة: كتاب الله الناطق، وسنة ماضية، ولا أدري⁴³².

وتعد السيدة عائشة رضي الله عنها من أكثر الصحابة رواية عن رسول الله ﷺ، كما سبق، وكانت تكثر من استخدام السنة في التفسير، - وخاصة العملية - كما لاحظت - لأنها عاشت تسع سنوات في بيت النبوة، وكانت على قرب شديد من رسول الله ﷺ وكانت تربط بذلك بين القرآن والسنة.

لقد وصل علم السيدة عائشة رضي الله عنها إلى حد أن بعض الصحابة روى حديثا نبويا وتوهم في سماعه، فكانت تكشف له الحقيقة وترده إلى الصحيح⁴³³ الأمر الذي شجع بعض العلماء على جمع هذه الاستدراكات وتدوينها في كتب ومنها كتاب: الإجابة فيما استدركته عائشة على الصحابة " تأليف العلامة بدر الدين الزركشي المتوفى سنة (794 هـ) وهو كتاب نفيس. وهكذا كانت السيد عائشة تملك قدرة دقيقة في التمييز بين الصحيح وغيره من الأحاديث، وأكثر ما فسرت أم المؤمنين به القرآن هو السنة. وفي ما يأتي نموذجين من هذا النوع:

النموذج الأول: قوله تعالى: ﴿ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ، وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ۝١٢٣ ﴾ النساء: ١٢٣.

عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي لِأَعْلَمُ أَشَدَّ آيَةٍ فِي الْقُرْآنِ، فَقَالَ: "مَا هِيَ يَا عَائِشَةُ؟" قُلْتُ: "مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ"، قَالَ: "هُوَ مَا يُصِيبُ الْعَبْدَ الْمُؤْمِنَ حَتَّى النَّكْبَةُ يُنَكِّبُهَا"⁴³⁴ فقد فصلت السيدة عائشة في هذه القضية التي لم يفهمها بعض الناس عن طريق السنة بأن معناها ما يجزى به المومن في مصيبتة في ما يؤذيه، ولو كانت المصيبة مثل شوكة.

النموذج الثاني: قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا كَتَبْنَا فَتَنًا وَإِثْمًا مُبِينًا ۝٥٨ ﴾ الأحزاب: ٥٨

عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَصْحَابِهِ: "أَيُّ الرِّبَا أَرْبَى عِنْدَ اللَّهِ؟"، قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: "أَرْبَى الرِّبَا عِنْدَ اللَّهِ اسْتِحْلَالُ عِرْضِ امْرِئٍ مُسْلِمٍ، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا كَتَبْنَا فَتَنًا وَإِثْمًا مُبِينًا ۝٥٨ ﴾"⁴³⁵ فسر النبي ﷺ لأصحابه أن أخطر شيء في الربا استحلال عرض المسلم عن طريق شتمه أو سبه أو قذفه وما إلى ذلك. هذه أمثلة من تفسير السيدة عائشة للقرآن بالسنة والتي لم نجد مفسرا للقرآن الكريم من أهل السنة والجماعة إلا استعان بها في تفسيره إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

⁴³² - الجوزية، محمد بن أبي بكر بن القيم، إعلام الموقعين عن رب العالمين، مكتبة الكليات الأزهرية، ج: 1، 1968م، ص: 59.

⁴³³ - الزركشي، بدر الدين، الإجابة لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة، دار العلم، بيروت، 1970م، ص: 5.

⁴³⁴ - رواه أبو داود في سننه، باب عيادة النساء، ج: 5، ص: 10، ورقم الحديث: 3093. وقال الألباني في صحيح وضعيف سنن أبي داود: صحيح لغيره، ج: 7، ص: 93، ورقم الحديث: 3093.

⁴³⁵ - د- عائشة بنت الشاطئ، نساء النبي ﷺ، دار المعارف، مصر (بدون تأريخ) ص: 24.



المطلب الثالث: تفسير القرآن بأسباب النزول:

لقد نزلت أغلب آيات القرآن وسوره دون سبب خاص وذلك مع استثناء السبب الأصلي في نزول القرآن وهو هداية الناس إلى طريق الحق ولكن هناك بعض الآيات نزلت مرتبطة بسبب معين يختص بشخصيات معينة أو بوقائع خاصة أو ردا على سؤال أو حلا لمشكلة. ولقد اهتم المفسرون اهتماما بالغاً باستخدام أسباب النزول في تفسيرهم وذلك لأنه يساعد في الوصول إلى المعنى الحقيقي للآية ويزيل الغموض، ولقد كانت أسباب النزول من أهم الأصول التي أقامت عليها السيدة عائشة في تفسيرها أيضا، لأنها عايشة الدعوة الإسلامية وعاصرت أهم الأحداث الإسلامية وشاهدت الوقائع والنوازل، وأحيانا هي الشخصية الأساسية المرتبطة بنزول بعض الآيات، ومن نموذج ذلك قَالَ تَعَالَى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ يَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ

المائدة: ٦

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّهَا اسْتَعَارَتْ مِنْ أَسْمَاءَ قِلَادَةً فَهَلَكَتْ فَبَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلًا فَوَجَدَهَا فَأَدْرَكَهُمْ الصَّلَاةَ وَلَيْسَ مَعَهُمْ مَاءٌ فَصَلُّوا فَشَكُّوا ذَلِكَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ آيَةَ التَّيْمُمِ فَقَالَ أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ لِعَائِشَةَ جَزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا فَوَاللَّهِ مَا نَزَلَ بِكَ أَمْرٌ تَكْرَهِيْنَهُ إِلَّا جَعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ لَكَ وَلِلْمُسْلِمِينَ فِيهِ خَيْرٌ⁴³⁶ فعائشة هنا - رضي الله عنها وأرضاها كانت في ضمن المسافرين الذين شهدوا نزول هذه الآية، وبيانها لسبب نزولها أوضح أن الأصل في الموضوع يكون بالماء أما إذا استعصاء وجوده كما حدث لهم في تلك السفر يجوز للمسلم أن يتيمم للصلاة.

النموذج الثاني قَالَ تَعَالَى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا ذَلِكَ

خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ النور: ٢٧

عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: "كُنْتُ أَكُلُ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَيْسًا فِي قَعْبٍ، فَمَرَّ عُمَرُ، فَأَصَابَتْ إِصْبَعَهُ إِصْبَعِي، فَقَالَ: حَسْ، أَوْ أَوْه، لَوْ أَطَاعُ فَيُكَنُّ مَا رَأَيْتُكَ عَيْنٌ، فَانزَلَ الْحِجَابُ".⁴³⁷

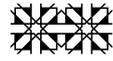
اختلفت أم المؤمنين مع بعض الصحابة في سبب نزول الحجاب كابن مسعود في قوله بأن عمر أمر نساء النبي ﷺ بالحجاب فقالت زينب بنت جحش: يا ابن الخطاب إنك تغار علينا والوحي ينزل في بيوتنا فأنزل الحجاب⁴³⁸. وقال القرطبي: هذا باطل كما بينه البخاري ومسلم، ورجح قول أم المؤمنين بأنه أصح ما قيل في أمر الحجاب، وقال أيضا: روي في الصحيح عن ابن عمر قال قال عمر رضي الله عنهما قال: وافقت ربي في ثلاث، في مقام

⁴³⁶ - البخاري، محمد بن إسماعيل، مرجع سابق، ج: 1، ص: 346.

⁴³⁷ - رواه الطبراني في المعجم الأوسط، باب من اسمه إبراهيم، ج: 1، ص: 149، ورقم الحديث: 2947. وقال ابن حجر

الهيثي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: رجاله الصحيح، باب سورة الأحزاب، ج: 7، ص: 211، ورقم الحديث: 11281.

⁴³⁸ - القرطبي، محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، دار إحياء التراث العربي، ج: 14، ص: 224.



إبراهيم وفي الحجاب وفي أسارى بدر⁴³⁹. ترجح الباحثة رواية عائشة رضي الله عنها، لقربها من رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكذلك اهتمامها البالغ بأمر الحجاب، أما رواية ابن مسعود فلا نهمله، ولعل قد وقع لكنه غير مباشر، لأن سبب النزول قد يكون من سبب واحد فأكثر.

المطلب الرابع: تفسير القرآن باللغة العربية:

كانت السيدة عائشة -رضي الله عنها على درجة كبيرة من المعرفة باللغة العربية، وكانت ذات حس أصيل بالأسلوب العربي وبلاغته وأسرار نظامه وجماله، فقد نشأت نشأة عربية صميمة إذ دفعها أبوها كعادة العرب إلى البادية، فتولى تربيتها جماعة من بني مخزوم، وتعلمت الفصاحة والبلاغة منذ أن كانت صغيرة لم تبلغ التاسعة من عمرها انتقلت إلى بيت النبوة زوجة لرسول الله ﷺ وهو أفصح من نطق بالضاد، قال الشعبي: وما ظنكم بأدب النبوة؟⁴⁴⁰ كانت أم المؤمنين فخمة الأسلوب متينة اللغة بليغة الكلمات عذبة الألفاظ، وقد برز ذلك كله في أسلوبها، وهذا نموذج في رثاء أبيها الصديق رضي الله عنه: "رحمك الله يا أبت، لقد قمت بالدين حين وهى شعبه وتفاقم صدعه ورجفت جوانبه. وقالت أيضا: نضر الله وجهك يا أبت فلقد كنت للدينيا مذلا بإدبارك عنها، وللآخرة معزا بإقبالك عليها.⁴⁴¹

هذا نموذج كيف كانت أم المؤمنين فخمة اللغة ومتينة التركيب، وقال القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق: ما رأيت متكلمًا ولا متكلمة قبلها ولا بعدها أبلغ منها⁴⁴² وكانت رضي الله عنها تستشهد بالشعر دائما في مختلف المواقف، ومن أمثلة ما فسرتة باللغة تفسيرها للقروء في قوله تعالى ﴿ وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ ﴾ البقرة: ٢٢٨

روى ابن أبي حاتم عن سفيان بن عيينة، عن الزهري، عن عمرة، عن عائشة، قالت: "الأقراء: الأطهار"⁴⁴³، فسرت السيدة عائشة (الأقراء) بالأطهار وليس بالحيز، ولفظة (القروء من الأضداد أي ((اللفظ المشترك)) قد يراد بها الحيز وقد يراد بها الطهر، والأصل المشترك في هذين المعنيين هو الوقت المعتاد سواء أكان الوقت للمجيء أو الإدبار وهذا هو سر لغوي في قول العرب: أقرأ النجم إذا جاء وقت طلوعه أو وقت أفوله وأقرأت الريح بمعنى هبت لوقتها وحين هبوبها⁴⁴⁴ وقد قال شاعرهم في ذلك:

إذا ما لثريا وقد أقرأت أحسن كان منها أفولا

⁴³⁹ - المرجع السابق، ج: 14، ص: 201.

⁴⁴⁰ - الذهبي، محمد بن أحمد، سير أعلام النبلاء، مؤسسة الرسالة، القاهرة، ج: 1، 1996م، ص: 82.

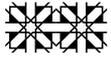
⁴⁴¹ - الدينوري، محمد بن عبد الله بن قتيبة، عيون الأخبار، دار الثقافة والإرشاد القومي، بمصر، ج: 3، 1963، ص: 313.

⁴⁴² - الأصبهاني، أبو الفرج، مفردات القرآن، الأميرية بولاق، لندن، ج: 21، 1385هـ، ص: 50.

⁴⁴³ - رواه مالك في موطنه، في باب انقضاء الحيز، ج: 1، ص: 105، ورقم الحديث: 603. وقال ابن الملقن في البدر المنير:

حسن، ج: 8، ص: 219.

⁴⁴⁴ - الطبري، محمد بن جرير، مرجع سابق، ج: 2، ص: 444.



وقال مالك بن الحارث الهذلي:

شنتت العقر عقر بني سليل إذا هبت لقارئها الرياح⁴⁴⁵

وعلى هذا الأساس سمي بعض العرب وقت مجيء الحيض "قرء" إذا كان وقتا معلوما معتادا لظهور الدم وإدبار الطهر، كما سمي بعض آخر من العرب وقت مجيء الطهر "قرء" وعلى هذا جاء الاختلاف بين العلماء فرأى فريق أن المقصود من القروء هنا الحيض، ومنهم عمر وعلي وابن مسعود وأبو موسى الأشعري ومجاهد وقتادة وعكرمة والسدي والربيع والضحاك.

بينما يرى فريق آخر أن المقصود من القروء هنا الأطهار، وهو قول عائشة وابن عمر وزيد بن ثابت والزهري. والواقع أن رأي السيدة عائشة هو الرأي الصحيح لأنها فهمت المطلوب القرآني من لفظة القروء هنا يحد القروء بثلاثة، وفهم السيدة عائشة للعدد ثلاثة هو الذي جعلها تحدد تفسير القروء هنا بالأطهار وليس بالحيض، على أساس أن الطلاق لا يقع إلا في الطهر وأن عدة المطلقة تبدأ عقب وقوع الطلاق في ذلك الطهر، لذلك فالطهر الذي يقع فيه الطلاق وتبدأ من العدة هو الطهر الأول في الحساب الشرعي، ثم تأتي بعده الحيضة الأولى وطهر ثان أي قرء ثان ثم تأتي بعده حيضة ثانية وطهر ثالث، أي قرء ثالث، فإذا دخلت في الحيضة الثالثة بانث من زوجها المطلق وحلت للأزواج، وذلك لأنها استوفت الأطهار الثلاثة التي حددها الشرع. فهذا يؤكد أن تفسير السيدة عائشة هو التفسير الأدق الصحيح.

مثال آخر: كلمة (نحلة) من قوله تعالى: ﴿وَأَتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً﴾ النساء: ٤ اختلف العلماء في تفسير كلمة (نحلة) على قولين:

القول الأول: ذهب السيدة عائشة إلى أن معناها واجب، كما روى عن مُحَمَّدِ بْنِ سَلَمَةَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ عُرْوَةَ، عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: " وَأَتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً " قَالَتْ: وَاجِبَةٌ. قَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ: وَرَوَى عَنِ قَتَادَةَ، وَمُقَاتِلِ بْنِ حَيَّانَ، قَالَ: فَرِيضَةٌ. وهو قول قتادة وابن جريج⁴⁴⁶.

القول الثاني: أن معناها (المهر) وهو قول ابن عباس⁴⁴⁷.

القول الراجح في المسألة والمختار عند الباحثة هو قول عائشة، لأن النحلة في أصل كلام العرب (الواجب) كما قرره ابن زيد⁴⁴⁸.

وجمع الإمام القرطبي وابن كثير بين هذين القولين فقال ابن كثير: إن الرجل يجب عليه دفع الصداق إلى المرأة حتمًا، وأن يكون طيب النفس بذلك، كما يمنح المنيحة ويعطي النحلة طيبًا بها، كذلك يجب أن يعطي المرأة

⁴⁴⁵ - المرجع السابق نفسه. ج: 2، ص: 446 .

⁴⁴⁶ - السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، دار المعارف، بيروت، لبنان، 1، (بدون تأريخ) ص:

⁴⁴⁷ - المرجع السابق نفسه، ص: 34

⁴⁴⁸ - نفس المرجع السابق، ص: 41



صداقها طيبا بذلك، فإن طابت هي له به بعد تسميته أو عن شيء منه فليأكله حلالا طيبًا؛⁴⁴⁹ ولهذا قال تعالى ﴿فَإِنْ طَبَّنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَرِيئًا﴾ ويؤيد ذلك ما يدل عليه سياق الآية فقد ورد ذكر الصداق في المقطع الأول من الآية فتفسير النحلة بالصداق يقتضي التكرار بلا فائدة والقرآن منزّه عن ذلك.

الخاتمة

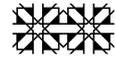
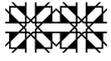
أهم النتائج التي توصل إليها وهي:

- إن السيدة عائشة كما لاحظ الباحث هي مجتهدة في جميع الفنون الإسلامية، ومنها تفسير القرآن الكريم وأصوله، حتى كان كبار العلماء من الصحابة يسألونها عما يتعلق بتفسير الآية فتجيبهم على ضوء تلك الأصول الأربعة، فهذا يدل على أن للمرأة المسلمة حقّ التعلم والتعليم في شتى مجالات العلمية الدينية والعصرية، حتى يصرن من العالمات الكبيرات قدوة وأسوة بالسيدة عائشة.
- ما ورد من النصوص الشرعية من الحكم على النساء بضعف الرأي والعقل وعلى الرجال بالحزم وقوة الرأي إنما هو حكم أغلبي، وإلا فقد وجد من النساء من فاق كثيرا من الرجال في قوة الرأي والحزم وقوة العزيمة، وذلك من أمثال السيدة عائشة وباقي أمهات المؤمنين، وصدق من قال:
فَلَوْ كَانَ النِّسَاءُ كَمِثْلِ هَذِي ... لَفُضِّلَتِ النِّسَاءُ عَلَى الرِّجَالِ
فَمَا التَّائِيثُ لِاسْمِ الشَّمْسِ عَيْبٌ ... وَلَا التَّذْكِيرُ فَخْرٌ لِلْهَلَالِ
- على الأمهات المتعلمات أن يتوجهن إلى علاج مشكلات العوام من النساء بما فسرتة السيدة عائشة من الآيات وبخاصة في المسائل المتعلقة بالحيض والنفاس والاستحاضة والجنابة والمعاشرة الزوجية والزواج والطلاق والرضاعة والحجاب وتربية الأولاد والمعاملات الاجتماعية وما إلى ذلك، لأن آراءها أرجح وأنسب للمرأة المسلمة، وذلك لشدة حرصها على حفظ كرامة النساء.

قائمة المراجع:

- الأصبهاني، أبو الفرج، مفردات القرآن، الأميرية بولاق، لندن، ج: 21، 1385هـ.
- ابن سعد، محمد، الطبقات الكبرى، دار صادر، بيروت، بدون تاريخ، ج: 3.
- ابن عبد الغفار، فؤاد بن سراج، حياة الصحابيات وسيرتهن العطرة، المكتبة التوفيقية، القاهرة، 2001م.
- أبو الفداء، إسماعيل بن عمر بن كثير، تفسير القرآن العظيم، تحقيق عبد العزيز غنيم ومحمد أحمد عاشور ومحمد إبراهيم البنا، دار الشعب، مصر، ج: 2، (بدون تاريخ)
- البخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، دار ابن كثير، بيروت، بدون تاريخ، ج: 3.
- برهان، محمد، نساء حول الرسول، مكتبة الشعب، القاهرة، 1999م.

⁴⁴⁹ - أبو الفداء، إسماعيل بن عمر بن كثير، تفسير القرآن العظيم، تحقيق عبد العزيز غنيم ومحمد أحمد عاشور ومحمد إبراهيم البنا، دار الشعب، مصر، ج: 2، (بدون تاريخ) ص: 22.



- الجوزية، محمد بن أبي بكر بن القيم، إعلام الموقعين عن رب العالمين، مكتبة الكليات الأزهرية، (1968) ج 1: .
- الدكتور محمد بن محمد، أبو شهبه، الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير، مكتبة السنة، جدة، 2008م.
- د. عائشة بنت الشاطي، نساء النبي ﷺ، دار المعارف، مصر (بدون تاريخ)
- الدينوري، محمد بن عبد الله بن قتيبة، عيون الأخبار، دار الثقافة والإرشاد القومي، بمصر، ج: 3، (1963) (
- الزركشي، بدر الدين، الإجابة لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة، دار العلم، بيروت، (1970).
- الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد، سير أعلام النبلاء، مؤسسة الرسالة، دمشق، ج: 3، 1417هـ،
- الذهبي، محمد بن أحمد، سير أعلام النبلاء، مؤسسة الرسالة، القاهرة، ج: 1، 1996م.
- الشريجي، محمد يوسف، الإمام السيوطي وجهوده في علوم القرآن، مكتبة الرشيد، الرياض، 1409م.
- العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، دار الفكر، بيروت، بدون تاريخ، ج: 4.
- العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر، تهذيب التهذيب، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، 1404هـ، ج: 8.
- عبد العلي بن أحمد بن محمد ابن العماد، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، دار ابن كثير، دمشق، ج: 10، 1986م.
- القرطبي، محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، دار إحياء التراث العربي، ج: 14 .
- الطبراني، سليمان بن أحمد، المعجم الكبير، مكتبة العلوم والحكم، الموصل، 1404هـ، ج: 23.



التربية العربية في ظل الدولة الإسلامية

الدكتور إبراهيم عبد الله ثاني
قسم الدراسات الإسلامية والشريعة
جامعة بايروكنو
08034511049

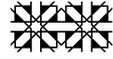
ملخص البحث

تتلخص هذه الدراسة المعنونة بـ"التربية العربية في ظل الدولة الإسلامية" في افتتاحها بالتلميح إلى ملخص البحث وعنوانه والمنهج المتبع في إجرائه كجزء مهم من أساسيات البحث الأكاديمي العلمي، احتوى البحث على سبع مباحث، حيث قدم الباحث في المبحث الأول منها تعريفا موجزا لمفهوم التربية في ظل الدولة الإسلامية، وعرض في صفحات لاحقة من المبحث الثاني حول أهمية التربية الإسلامية، وناقش المبحث الثالث أهداف التربية الإسلامية، ثم تطرق المبحث الرابع خصائص التربية الإسلامية، ثم عرج الباحث إلى المبحث الخامس الذي يحتوي على أساليب التربية الإسلامية، وفي المبحث السادس عن ميادين التربية الإسلامية وأخير وفي المبحث السابع عن مصادر التربية الإسلامية، ثم عقب كل ذلك خاتمة البحث حيث نوهت بأهم نتائج الدراسة. استخدم الباحث في دراسته هذه المنهج الوصفي.

المقدمة

الحمد لله الرب الهادي إلى صراطه المستقيم، المتفرد الموحد بالربوبية والألوهية وصفات الكمال والأسماء الحسنى إلى يوم الدين، والصلاة والسلام على سيدي وحببي النبي العربي المعظم بأخلاقه الحميدة والشمائل العالية رحمة للعالمين، وعلى آل بيته المرين الطاهرين، وصحابته الذين أنشأهم ورباهم على معالم الإسلام وشريعته الحنيفة أجمعين والتابعين لهم بإحسان في تربية الأجيال الصفوة الطيبين.

أما بعد، فهذه الأوراق القليلة تحوي في طياتها دراسة مختصرة شاملة لمباحث التربية العربية الإسلامية، وكاشفة لثوابت أسلمة التربية العربية بطلوع الإسلام في الجزيرة العرب ومواطنهم وأراضيهم، ومثبتة استئصال مبادئ التربية العربية وتأسيسها على تعاليم الإسلام وشريعته الغراء. هذا، وقد اشتمل البحث على فصول تحتها مباحث درست موضوع التربية العربية في ظل الدولة الإسلامية. استخدم الباحث في دراسته المنهج الوصفي، وتوصل إلى عديد من النتائج



المبحث الثاني: أهمية التربية الإسلامية

يعد موضوع التربية والتعليم من أهم الموضوعات التي أهتم بها الأمم والشعوب عبر تاريخها. فقد عرفها الإنسان منذ وجوده على الأرض، واستمرت تلازم حياته حتى يومنا الحاضر، وأخذت أهميته في التزايد كلما ارتقى الإنسان إلى سلم الحضارة والرفق فالتربية عملية متطورة ونامية مع تطور الإنسان ونموه، فبالتربية والتعليم تتقدم الأمم وتتطور المجتمعات، وتزدهر الحضارات، وتعلو الثقافات. وبغيابها تتأخر الأمم وتمتار المجتمعات وتسقط الحضارات وتندثر الثقافات. يقول أحد الباحثين: "إن من أول الأمور التي تحتاج إلى مراجعة حين تصاب الأمة بالنكبات، أو حين تكثر في طريق تقدمها العقبات، ونظمها التربوي التعليمي. وقد تحدث عدد من الباحثين عن أهمية التربية، يمكن إيضاحها في النقاط التالية:

المطلب الأول: أهمية التربية للفرد والأسرة

أولاً: أهمية التربية للفرد

فالإنسان يختلف عن سائر الكائنات الحية الأخرى، فهو بحاجة إلى مساعدة الآخرين بعد الله والاعتماد عليهم، وخاصة في مراحل نموه الأولى، أي بحاجة إلى الرعاية الوالدية وإلى التنشئة الاجتماعية، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى تعقد البيئة الإنسانية والمادية وتشعب عناصرها، الأمر الذي يجعل الحاجة للتربية أشد إلحاحاً.⁴⁵⁷

ثانياً: أهمية التربية للأسرة

إن التربية الصالحة مهمة في الأسرة وللأسرة، لأن في قيام الأبوين بواجبها مرضاة للرب، وأداء لحق المسؤولية ووقاية من شرور الأبناء، وسعادة للأبوين في الدنيا والآخرة. ويمكن ذلك فيما يلي:

أ- طاعة الله تعالى:

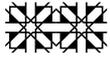
إن الله تعالى أمرنا أن نجنب أبناءنا وأهلينا نارا وقودها الناس والحجارة كما قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوًا أَنفُسُهُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاطٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾⁴⁵⁸

ب- أداء لحق المسؤولية:

إن التربية مسؤولية منوطة بالأسرة أولاً، ومؤسسات المجتمع ثانياً، وكل فرد بحسب موقعه وقدرته ومعرفته. روى الإمام مسلم في حديث ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((أَلَا كَلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ فَالْأَمِيرُ الَّذِي عَلَى النَّاسِ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ وَالرَّجُلُ رَاعٍ عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ

⁴⁵⁷ . مدخل إلى التربية الإسلامية لعبد الرحمن الغامدي (ص: 10)

⁴⁵⁸ . سورة التحريم (الآية: 6)



عَنْهُمْ وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ عَلَى بَيْتِ بَعْلِهَا وَوَلَدِهِ وَهِيَ مَسْئُولَةٌ عَنْهُمْ وَالْعَبْدُ رَاعٍ عَلَى مَالِ سَيِّدِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُ إِلَّا فَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ))⁴⁵⁹

ج- وقاية من عداوة الأبناء:

وقاية من عداوة الأبناء هي الحرص من عداوة الأبناء. إن التربية للأبناء على المنهج الإسلامي فيه وقاية من عداوة الأبناء التي قد تحدث نتيجة الإهمال التربوي، أو نتيجة التربية البعيدة عن المنهج الإسلامي، وقد أمرنا الله تعالى بالحنز منهم، قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ابْنَ مِنْ أَرْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَأَحْذَرُوهُمْ وَإِنْ تَعَفَّوْا وَتَصَفَّحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾⁴⁶⁰

ومن أساليب الحذر منهم تربيتهم على المنهج الإسلامي، حتى يكونوا عوناً لهم على طاعة الله تعالى، ولنا في سيرة السلف الصالح دروس وعبر، فقد نشأ عمر بن عبد العزيز. رحمه الله تعالى. أبناءه تنشئةً صالحة، بالنصح والإرشاد و القدوة الحسنة، حتى بلغه أن أحداً أبناؤه اشترى فصاً لخاتمه بألف درهم، فكتب إليه عمر: " فقد بلغني أنك اشتريت فصاً بألف درهم، فبعه و أشبع به ألف جائع، واتخذ خاتماً من حديد صيني واكتب عليه رحم الله امرء عرف قدر نفسه ".⁴⁶¹

د- مصدر سعادة للوالدين:

إن التربية الصالحة ثماراً يجنيها الأبوان في الدنيا والآخرة، فمقتضى التربية الإسلامية أن يراعي الأبناء حقوق الوالدين، ويؤدوها وافية غير منقوصة،⁴⁶² وفق ما أمر به الله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا لِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أَلْفٌ وَلَا نَهْرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلِيلِ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾⁴⁶³

قال ابن كثير: " أي لا تسمعهما قولاً شياً حتى ولا التأفف الذي هو أدنى مراتب القول الشئء، ولا يصدر منك إليهما فعل قبيح ".⁴⁶⁴ وهذا مصلحة يعايشها الأبوان مع أولادهما في الدنيا، حيث يقوم الأبناء بتقديم رغبات والديهم على رغباتهم، بل بتقديم طاعتها على نوافل الطاعات التي يتقربون بها إلى الله تعالى . وقد جاء رجل

⁴⁵⁹ . رواه مسلم في صحيحه (باب فضيلة الإمام ج 6، ص: 7، برقم: 4828)

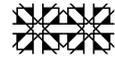
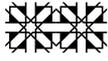
⁴⁶⁰ . سورة التغابن (الآية: 14)

⁴⁶¹ . سيرة ومناقب عمر بن عبد العزيز لابن الجوزية (ص: 315)

⁴⁶² . أصول التربية الإسلامية لخالد بن حامد الحازمي (ص: 34)

⁴⁶³ . سورة الإسراء (الآية: 23-24)

⁴⁶⁴ . تفسير القرآن العظيم لابن كثير (ج 3، ص: 37)



إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فاستأذنه في الجهاد فقال: ((أَحْيِيَّ وَالِدَاكَ قَالَ نَعَمْ قَالَ فَفِيهِمَا فَجَاهِدْ)).⁴⁶⁵ وفي هذا الحديث أن بر الوالدين قد يكون أفضل من الجهاد.⁴⁶⁶ وهذا يدل على عظم حق الأبوين على الأبناء.

المطلب الثاني: أهمية التربية للمجتمع والدولة

أولاً: أهمية التربية للمجتمع

وحول أهمية التربية مجتمعاتنا الإسلامية تحدث الباحث عبد الرحمن الغامدي بكلام نافع أخصها في النقاط التالية:

- أ. أهمية التربية في المحافظة على ثقافة المجتمع. فأساليب حيات المجتمعات، وأنماط تفكيرها، وكافة تراثها، لا تنتقل انتقالاً "بيولوجياً" كما تنقل بعض الصفات الجسمانية، فمن طريق التربية يصبح كل وليد شخصية إنسانية ناضجة، وذلك عن طريق اندماجه في حياة الجماعة، واكتسابه ما يعرفه الكبار، وعن طريق تربية الناشئة يضمن المجتمع أساليب معيشتها واستمرارها.
- ب. أهمية التربية في تبسيط التراث الثقافي للمجتمع. لم تتوقف أهمية التربية على المحافظة على التراث الثقافي ونقله، وإنما تسهم في تبسيطه. فالثقافة تراكمية وأي تزداد وتتراكم على مر العصور، وتشمل على تطورات كثيرة في شتى المجالات، يصعب على المتعلم الإلمام بها، لولا إسهام التربية في تبسيطها.
- ج. أهمية التربية في تطهير التراث الثقافي. التراث الثقافي عملية معقدة، ومتشابكة بمعنى أن مكوناتها - مادية ومعنوية - يؤثر كل منها على الآخر، وتتفاعل كل عناصرها ببعضها ببعض. فالمجتمع يعمل من خلال المؤسسات التربوية على تمحيص هذا التراث وتنقيته من العوامل والعناصر السلبية التي تعوق تقدمه كما تلجأ المؤسسات التربوية إلى الأبحاث العلمية في كافة ميادين النشاط الإنساني لغرض التجديد الابتكار وكل ما يعزز ذلك التراث.⁴⁶⁷

ثانياً: أهمية التربية في بناء الدولة العصرية وتحقيق العدل

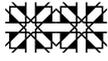
إن قوة أي دولة لا تقاس بما تملكه من أدوات وأسلحة حربية، أو ترواث مادية وإنما تقاس في الدرجة الأولى بما تملكه من قوة بشرية واعية مدربة، تكون مصدراً للإنتاج المتقن، وللابتكار والتجديد، وللتطوير والتغيير إلى الأفضل. وقد بينت تجارب الدول المعاصرة المتقدمة أن من أهم الشروط اللازمة لإحداث تنمية شاملة، وجود قاعدة بشرية عريضة تمتلك حداً أدنى من التعليم. ولذلك أن من أهمية التربية هي بناء الدولة العصرية القوية التي تحفظ الفرد الأسرة وقيمها وثورتها.

ثالثاً: أهمية التربية في تحقيق العدل والمساواة

⁴⁶⁵. صحيح البخاري للإمام البخاري (باب الجهاد بإذن الأبوين ج: 2، ص: 359 رقم: 2782)

⁴⁶⁶. فتح الباري لابن حجر العسقلاني (ج 6، ص: 140)

⁴⁶⁷. مدخل إلى التربية الإسلامية لعبد الرحمن الغامدي (ص: 11)



فالتربية هامة للفرد والمجتمع والدولة، بل إن التربية قوة ينبغي أن تستغل في كافة مناشط الحياة وجوانبها. فالفرد لا يقوى إلا بتربية كافة جوانب شخصيته، والمجتمع لا يقوى إلا بتنمية اقتصاديا واجتماعيا وثقافيا وعسكريا وسياسيا وصحيا، وهذا لا يتحقق إلا عن طريق التربية والتعليم، وإذا تحقق ذلك تحققت العدالة والمساواة وحفظت كرامة الإنسان وحقوقه، لما لهذه الأمور من علاقة قوية بينها وبين التنمية.⁴⁶⁸

المبحث الثالث: أهداف التربية الإسلامية

المطلب الأول: تحقيق العبودية لله عزّوجلّ وتكوين الإنسان الصالح

أولا: تحقيق العبودية لله عزّوجلّ:

إن غاية وجود الإنسان تتمثل في الوظيفة الموكلة إليه من قبل استخلافه في الأرض، وهي العبودية الحقّة لله، بأن يكون هناك عبد يعبد ورب واحد يُعَبَد، وأن تستقيم وتنتظم حياة البشر تضمن هذه الغاية. لذا فإن جميع الجوانب التربية الإسلامية تهدف إلى تحقيقها.

وعن طريق التربية الإسلامية، يتوصل إلى المعرفة الحقّة بعظمة الخالق، ثم بمكانة الإنسان في الكون والحياة، وبذلك تتضح العلاقة القائمة بين العبد والمخلوق وبين العبد والخالق.

ولتحقيق هذه العبادة لا بد من مراعاة المعنى الصحيح لها في إطار شموليتها لجميع أوجه النشاط البشري، بحيث يصبح العمل وعمارة الأرض كالشعائر التعبدية والجهاد في سبيل الله. فكلها عناصر تتعدد وتنوع تحت منظومة واحدة سماها (العبادات في الإسلام)، ولذلك يشترط في العبادة التي تهدف التربية الإسلامية إلى تحقيقها (الإخلاص) و(الصواب)، كما جاء في تفسير الفضيل بن عياض لحسن العمل الذي ورد في قوله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيُبْلُوَكُمْ أَتُّكْرَهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾⁴⁶⁹ قال: "أخلصه وأصوبه، فإن العمل إذا كان خالصا ولم يكن صوابا لم يقبل حتى يكون خالصا وصوابا، والخالص أن يكون لله، والصواب أن يكون على السنة".⁴⁷⁰

ثانيا: تكوين الإنسان الصالح في نفسه المصلح لغيره

فالتربية تغرس في النفس الإنسان صلاح نفسه بأن توجهه لأن يتعلم أمور دينه ويعمل بها، ولكنها لا تتوقف عند هذا الحد، بل تتعداه إلى إصلاح أهله ومن حوله بل والعالم بأسره لأن هذا الدين لم يأت لأمة دون أخرى ولم يختص به زمن دون غيره وإنما التي للناس جميعا إذ يقول تعالى:⁴⁷¹

⁴⁶⁸ . مدخل إلى التربية الإسلامية لعبد الرحمن الغامدي (ص: 11)

1. سورة الملك (الآية: 2)

⁴⁷⁰ . مجموع الفتاوى لابن تيمية (ج: 1، ص: 99)

⁴⁷¹ . التربية الإسلامية الأصول والتطبيقات لمحمد عبد السلام العجمي (ص: 46)

﴿ قُلْ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾

472

ثالثا: إيجاد الخليفة على الأرض

كان المقصود من الخليفة في الأرض في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾⁴⁷³ أي قوم يخلف بعضهم بعضا قرنا بعد قرن وجيلا بعد جيل، كما قال ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ ﴾⁴⁷⁴ وخلافة الأرض إنما هي المسؤولية التي يقول عنها النبي صلى الله عليه وسلم كما في حديث نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((كلكم راع وكلكم مسؤول عن راعيته))⁴⁷⁵.

المطلب الثاني: تكامل الشخصية الإسلامية وترسيخ معاني الحب في الله والقُدوة الحسنة

أولا: تكامل الشخصية الإسلامية إيمانيا وروحيا وعقلا ونفسيا وجسميا

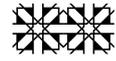
فمن أهداف التربية الإسلامية تكامل الشخصية الإسلامية إيمانيا وروحيا والقيام بالفرائض والواجبات والأزدياد من الطاعات وترك المعاصي والمحرمات لأن الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية. وفي مجال التربية الشخصية الإسلامية إنماء العقل وتوسيع مداركه، ومادة العقل هي العلم والمعرفة. وفي مجال تربية الشخصية الإسلامية لا بد من تربية النفس والنفس أمارة بالسوء، وبدخلها تمكن غرائز وأحاسيس الإنسان جميعا من حب وبغض وخوف وغيرها، وعليه فلا بد أن يكون للإنسان إرادة قوية يملك بها نفسه ويتحكم بها في غرائزه وأعلا مراتب الإرادة هو حب الله. وأما التربية الجسمية مما حرص عليه الرسول صلى الله عليه وسلم، وخص عليه ومارسه في أكثر من موضوع. وقد اختلفت أنواع التربية الجسمية عبر الزمان وعلى مر العصور. ولا مانع من مزاولة الأفراد لأي نوع من التربية الجسمية ما لم يخل ذلك بقواعد الأخلاق والآداب الإسلامية أو يصطدم مع نصوص الشريعة السمحة.

⁴⁷² . سورة الأعراف (الآية: 158)

⁴⁷³ . سورة البقرة (الآية: 30)

⁴⁷⁴ . سورة الأنعام (الآية: 165)

⁴⁷⁵ . صحيح المسلم للإمام المسلم (باب فضيلة الإمام ج 6، ص: 7، برقم: 4828)



ثانيا: ترسيخ معاني الحب في الله والأخوة الإسلامية بين الأفراد وهي من معان عظيمة القدر لما لها من المكانة في الإسلام والفضل عند الله وهي منة ونعمة الإلهية مكانها القلب.⁴⁷⁶ يقول تعالى ﴿ وَالْفَّ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلْفَتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾⁴⁷⁷

ثالثا: القدوة الحسنة

أن من أجل وأعظم أهداف التربية الإسلامية تقديم القدوة الحسنة إلى المجتمع، ونرى ذلك في سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم، حيث كان هو قدوة صالحة لأصحابه في ترجمة القرآن الكريم سلوك عملي مشاهد. كما قال تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾⁴⁷⁸

المطلب الثالث: إخراج الأمة المجاهدة واكتشاف القدرات والتأقلم مع الواقع وهذه النقاط تعد من أهم النقاط التي تتعلق بأهداف التربية باعتبارها وسائل النجاح لهذه التربية ولهذه الدعوة وسأحاول أفصل هذه المفاهيم حسب التفصيل الآتي:

أولاً: إخراج الأمة المجاهدة

إن من أهم أهداف التربية الإسلامية إخراج الأمة المجاهدة وذلك لإيقاظ روح الجهاد الإسلامي لدى المسلم لمقاومة الأعداء والقيام بواجب رسالة الإسلام نظراً لأهمية الجهاد في حياة الأمة المسلمة، ولأن في تركه ذلك المسلمين، ولذلك حذر الرسول صلى الله عليه وسلم عن التخاذل أو التشاغل عنه بأي أمر من الأمور لأن ذلك يورث النفاق كما يورث النذل قال الرسول صلى الله عليه وسلم: عن أبي هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((من مات ولم يغزُ ، ولم يُحَدِّثْ به نَفْسَهُ ، مات على شُعْبَةٍ من النفاق))⁴⁷⁹.

ثانيا: اكتشاف القدرات وتوجيه الطاقات

إن من أهداف التربية الإسلامية أن تبحث عن قدرات الأفراد في الأمة المسلمة واكتشاف مواهبها لأن الله تعالى أودع الإنسان مواهب وقدرات معينة ولم يجعلها في فرد واحد أو افراد معينين بل توزعت هذه القدرات على جميع الأفراد حتى يكمل بعضهم بعضاً في جميع التخصصات العلمية منها والشريعة.

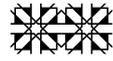
⁴⁷⁶ . التربية الإسلامية الأصول والتطبيقات لمحمد عبد السلام العجمي (ص: 46)

⁴⁷⁷ . سورة الأنفال (الآية: 63)

⁴⁷⁸ . سورة الأحزاب (الآية: 21)

⁴⁷⁹ . جامع الأصول من أحاديث الرسول لابن الأثير (باب الجهاد وما يتعلق به من الأحكام ج 1 ، ص: 1073 رقم: 1043)

صححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (رقم: 1390)



ثالثاً: التأقلم مع الواقع واستخدام التفنيات

لقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم، وخلفاؤه عصريين في عصرهم شاركوا في بناء مجتمعاتهم ولم تمنعهم مراكزهم الاجتماعية والسياسية من النزول إلى الواقع والاحتفال بالناس والعمل والتوجيه والإرشاد.⁴⁸⁰

المبحث الرابع: خصائص التربية الإسلامية

للتربية الإسلامية عدة خصائص وسمات نشير إلى بعض منها على نحو التالي:

المطلب الأول: الربانية

تتسم التربية الإسلامية: بأنها ربانية المصدر والغاية وتعني بتربية المسلمين في إطار الدين والأخلاق، وتصيغ أهداف التربية وأساليبها ومنهجها بالصبغة الإسلامية.⁴⁸¹ الربانية تميز التربية الإسلامية عن النظريات والفلسفات الوضعية. وشتان بين تربية تستسقي معالمها من رب البشر وأخرى من وضع البشر. يقول تعالى:

﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾⁴⁸²

الربانية في التربية الإسلامية تربط المسلم بخالقه فتجعل لحياة الفرد معنى ولأعماله أهداف، وبها تتنامى دوافعه للتعلم والعمل، وتسمو أخلاقه، وتزكو نفسه ويصبح مؤهلاً لخلافة الله في الأرض. والربانية في ذلك ليست كهنوتية تعزل الأفراد عن الحياة وإنما تدعم وتعزز صلة العبد بربه بالتفاعل مع ظواهر الكون وميادين الحياة وليس عن طريق الإيمان بالغيبيات أو أداء الشعائر والعبادات فقط، فتنمية الإيمان عن طريق علوم الفلك والطبيعة والجيولوجيا والحيوان والنبات لاتقل أهمية عن تنمية الإيمان عن طريق العلوم الشرعية.⁴⁸³ يقول تعالى: ﴿ وَمَنْ آتَيْنَاهُ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْلَفْنَا سِنَنَكُمْ وَالْوَالِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ

لَآيَاتٍ لِلْعَالَمِينَ ﴾⁴⁸⁴

المطلب الثاني: الشمولية

إن الشمولية من خصائص التربية الإسلامية أي يشمل جميع نواحي الحياة جسمية وعقلية وروحية واجتماعية وغير ذلك. تعتبر الشمولية من أبرز الخصائص التي تتسم بها التربية الإسلامية فهي تهتم بشخصية الفرد في أبعادها ووجوها المختلفة جسمية وعقلية وروحية وفكرية ونفسية واجتماعية وأخلاقية ومهنية وانفعالية.

وهي أيضاً تشمل جميع فئات المجتمع من حيث إقرار مبدأ المساواة بين جميع أفراد الأمة.

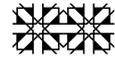
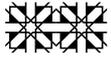
⁴⁸⁰ . التربية الإسلامية الأصول والتطبيقات لمحمد عبد السلام العجمي (ص: 46)

⁴⁸¹ . أصول التربية الإسلامية لسعيد اسماعيل القاضي (ص: 217)

⁴⁸² . سورة الأنعام (الآية: 162)

⁴⁸³ . أصول التربية الإسلامية لسعيد اسماعيل القاضي (ص: 217)

⁴⁸⁴ . سورة الروم (الآية: 22)



قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ النَّاسَ إِنَّا خَلَقْتُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْفُسُكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾⁴⁸⁵ وتأتي شمولية التربية الإسلامية من عنايتها بتلبية متطلبات الشخصية الإنسانية: روحية، عقلية، اجتماعية، وجدانية، جسمية ... واهتمامها بمتطلبات مجالات الحياة المختلفة وذلك انطلاقاً من شمولية الإسلام، يقول تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ بَيِّنَاتٍ لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾⁴⁸⁶ تأتي شموليتها كذلك من كونها موضوعية: تهتم بأمور الدين والدنيا، وفطرية تلي مطالب الروح والجسد وتعنى بعلاقة الإنسان بخالقه وبنفسه وأسرته ومجتمعه وتعنى بالرجال والنساء والصبياء.⁴⁸⁷

المطلب الثالث: التوازن

اكتسبت التربية الإسلامية سمة التوازن من كون الإسلام يضم بين طياته كل ما هو روحي وأخلاقي وما هو مادي وجسدي في الوقت نفسه، ولكونه يرفض كل دعوة للانحراف أو التطرف سواء بالرهينة المطلقة أو الانحراف المادي المفرغ من قيم الروح والأخلاق. وبالمطالعة الواعية لكتاب الله عز وجل - وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، نجد أننا إزاء حركة حضارية شاملة بين مسألة الإيمان ومسألة الإبداع، بين التلقي عن الله تعالى والتوغل قدما في مسالك الطبيعة ومنتجاتها في ضوء من منهج الله. تربط بين تحقيق مستوى روحي عال للإنسان على الأرض وبين تسخير قوانين الطبيعة لتحقيق نفس الدرجة من التقدم والرقي الحضاري على المستوى المادي. ولم يفصل الإسلام بين هذا وذاك.⁴⁸⁸

المطلب الرابع: المحافظة والتجديد

تتسم التربية الإسلامية بالمحافظة على ثواب الأمة وترسيخ العقيدة والقيم الأصيلة وفي الوقت ذاته مسابرة العصر في كل جديد لا يتناقض مع الثوابت. والله سبحانه وتعالى يوجه إلى استشراق المستقبل وتهيئة النفس البشرية لاستقبال الجديد والاستفادة من المستحدثات والحرص على اكتشاف ما ينفع البشرية. يقول تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾⁴⁸⁹

المطلب الخامس: الواقعية

لواقعية هي مراعاة الواقع الكون من حيث هو حقيقة واقعة، ووجود المشاهد، ولكنه يدل على حقيقة أكبر منه، ووجود أسبق وأبقى من وجوده، وهو وجود الواجب لذاته، وهو وجود الله الذي خلق كل شيء فقدره

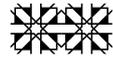
⁴⁸⁵ . سورة الحجرات (الآية: 13)

⁴⁸⁶ . سورة النحل (الآية: 89)

⁴⁸⁷ . أصول التربية الإسلامية لسعيد اسماعيل القاضي (ص: 219)

⁴⁸⁸ . أصول التربية الإسلامية لسعيد اسماعيل القاضي (ص: 219)

⁴⁸⁹ . سورة فصلت (الآية: 53)



تقديرًا.⁴⁹⁰ اتسمت التربية الإسلامية بالواقعية في توافقها مع الفطرة البشرية والقدرات الإنسانية بعيدا عن الخيال والمثاليات المجردة فهي لا تقوم في فراغ ولا تنعزل عن الواقع الثقافي والاجتماعي، وهي تنطلق من مقاصد الشريعة التي تؤكد على اليسر ورفع الحرج عن الناس، فلم تكلفه بما يفوق قدراته وامكاناته، يقول تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾⁴⁹¹

ومن القواعد التي قررها الفقهاء في هذا الشأن: قاعدة "الضرورات تبيح المحظورات" وقاعدة "المشقة تجلب التيسير". وهذا يؤكد أن التربية الإسلامية تتوافق مع قدرات الإنسان العقلية والوجدانية والجسمية، بخلاف التربية عند البعض والتي تكلف الإنسان فوق طاقته بما يصطدم مع الفطرة البشرية فيصعب تطبيق نظرياتها، لكن التربية الإسلامية لها تطبيقاتها الفعلية والواقعية ولذلك فهي توجه إلى السمو الأخلاقي الواقعي في جوانب العدل والإحسان والصدق والتواضع وحب الفضيلة واجتناب الرذيلة.

المطلب السادس: الاستمرارية

تتسم التربية الإسلامية بالاستمرارية فلا تنتهي بفترة زمنية أو مرحلة دراسية، فهي تربية من المهد إلى اللحد، مجددة تؤكد على التواصل والاستمرار في طلب العلم والاستزادة منه فحد التعليم حد الحياة.⁴⁹² وترتبط هذه الصفة بالتربية الإسلامية من تأكيد الإسلام على طلب العلم وجعله فريضة على كل مسلم.

المطلب السابع: الوسطية

لوسطية هي الجمع بين الأمور الدنيوية والأمور الأخروية. اتسمت التربية الإسلامية بالوسطية انطلاقا من وسطية الإسلام ووسطية الأمة الإسلامية، يقول تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾⁴⁹³

وهي وسطية في العقائد والعبادات والمعاملات والأخلاق ووسطية في التصور والتفكير، وسطية تحمي الإنسان والمجتمع من الانحراف في الجوانب المادية والمعنوية. فالوسطية هي ميزت الحضارة الإسلامية على كثير من الحضارات الأخرى وذلك بدعمها لقيم العدل والتسامح ورفضها للتشدد والتعصب.⁴⁹⁴

المطلب الثامن: العالمية

أولا: تربية متطورة ونامية (وصالحة لكل زمان)

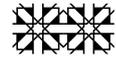
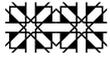
⁴⁹⁰ . الخصائص العامة للإسلام للدكتور يوسف القرضاوي (ص: 157)

⁴⁹¹ . سورة البقرة (الآية: 286)

⁴⁹² . أصول التربية الإسلامية لسعيد اسماعيل القاضي (ص: 221)

⁴⁹³ . سورة البقرة (الآية: 143)

⁴⁹⁴ . التربية الإسلامية الأصول والتطبيقات لمحمد عبد السلام العجمي (ص: 46)



فهي ليست بجامدة في قابل ثابت، أو لفترة زمنية محددة، أو لجيل دون ما يستقبل من أجيال. وليست مرنة بغير حدود، لأن المرونة والانفتاح بغير حدود، يؤدي إلى مسخ الشخصية الإسلامية. فهي صالحة لكل زمان منذ أن أعلن النبي صلى الله عليه وسلم دعوة ربه إلى أن يرث الأرض ومن عليها. وهي ثابتة في قواعدها الأساسية، فيما يجب أن يخلد ويبقى، في إطارها العام. ثم أن هناك أموراً متغيرة، تتغير تبعاً لظروف المجتمع مما يجعل هناك ضرورة لوجود مرونة كافية، لمواجهة مثل هذه الأمثال.

ثانياً: تربية إنسانية وعالمية (وصالحة لكل مكان)

فهي تربية لكل البشرية، وصالحة لكل بقعة من بقاع العالم. وعندما تعد، فإنما تعد الإنسان الصالح، وليس المواطن الصالح الذي قد ينحصر صلاحه في نطاق موطنه المحدود. وذلك لأن الدين الإسلامي دين للبشرية جمعياً. وفي تأكيده على وحدة الخالق والمنشأ لكل الجنس البشري، تأكيد على عالميته، ومن ثم عالمية التربية الإسلامية⁴⁹⁵. قال تعالى مخاطباً كافة البشرية ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاهُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْفَعَكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾⁴⁹⁶

المبحث الخامس: أساليب التربية الإسلامية

التربية الإسلامية كما تضمنها القرآن الكريم والحديث الشريف تربية شاملة كاملة متوازنة، تسعى لتحقيق النمو لجميع جوانب الشخصية الإنسانية وقد نهجت التربية الإسلامية أساليب ووسائل لتحقيق أهدافها. وفيما يلي أهم أساليب التربية الإسلامية:

أولاً: القدوة الصالحة

يرى الإسلام أن القدوة أعظم أسلوب من أساليب التربية، فيقيم تربيته الدائمة على هذا الأساس، وكان المرابي الأول محمد صلى الله عليه وسلم، هو القدوة الصالحة لأمة الإسلام، وهي المثل الذي يجب الإحتذاء به.⁴⁹⁷ قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾⁴⁹⁸

ثانياً: الموعظة الحسنة

من أساليب التربية الإسلامية الموعظة الحسنة، قال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَحَدِّثْ لَهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾⁴⁹⁹

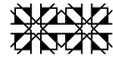
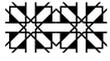
⁴⁹⁵ . أصول التربية الإسلامية لسعيد اسماعيل القاضي (ص: 221)

⁴⁹⁶ . سورة الحجرات (الآية: 13)

⁴⁹⁷ . مناهج التربية الإسلامية لمحمد قطب (ص : 180)

⁴⁹⁸ . سورة الأحزاب (الآية: 21)

⁴⁹⁹ . سورة النحل (الآية: 125)



والموعظة هي كلمة يشمل فيها الترغيب والترهيب. والموعظة المؤثرة تفتح طريقها إلى النفس المباشرة عن طريق الوجدان، وتهزه وتثير كوامنه لحظة من الوقت، والموعظة في التربية وحدها غير كافية إذا لم يكن بجانبها القدوة المنظورة الملموسة.⁵⁰⁰

ثالثا: الترغيب والترهيب

لا تغفل التربية الإسلامية أي أسلوب توجه به الإنسان وترشده، فإذا لم يفد أسلوب القدوة الموعظة لجأت إلى أسلوب الترغيب تارة والترهيب تارة أخرى. وقد استخدم القرآن الكريم والحديث الشريف بهذا الأسلوب.

رابعا: القصة

للقصة في التربية الإسلامية وظيفة تربوية لا يحققها لون آخر من ألوان الأداء اللغوي. والقصة تؤثر في نفس قارئها وسامعها. قارئ القصة وسامعها لا يملك موقفا سلبيا من شخومها وحوادثها واستخدامها في التربية يساعد على إيضاح وتفسير وتذليل ما يصادف المعلم من صعوبات و تعقيدات في إيصال الحقائق إلى المتعلمين وأكثر ما تؤثر في النفس. وقد تضمن القرآن الكريم والحديث الشريف قصصا تربوية هادفة.⁵⁰¹

خامسا: العادة

أسلوب التربية بالعادة من الأساليب التي استخدمها الإسلام وسيلة من وسائل التربية لتحويل الخير كله إلى عادة تقوم بها النفس بغير جهد وبغير مقاومة. وبدأ الإسلام بإزالة العادات السيئة التي وجدها سائدة في البيئة العربية، وقد اتخذ لذلك إحدى وسيلتين، إما القطع الحاسم وإما التدرج البطيء حسب نوع العادة التي يعالجها وطريقة تمكثها من النفس.⁵⁰²

سادسا: الأحداث

وقد ميز التربية بالأحداث على غيرها من وسائل التربية أنها تحدث في النفوس حالة خاصة، هي أقرب إلى الانصهار. وقد قام القرآن الكريم وهو يربي الأمة الإسلامية في منشئها باستغلال الأحداث في تربية النفوس استغلالا عجيبا وعميق الأثر. وكان من نتيجته بروز أمة عظيمة في التاريخ شهد لها خالقها بأنها خير أمة على وجه الأرض،⁵⁰³ قال تعالى: ﴿ كَذَّبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَآخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَاللَّهُ

شَدِيدُ الْعِقَابِ ۝⁵⁰⁴

⁵⁰⁰ . مناهج التربية الإسلامية لمحمد قطب (ص : ٤٠-٤١)

⁵⁰¹ . مناهج التربية الإسلامية لمحمد قطب (ص: 192)

⁵⁰² . المرجع السابق (ص: 200)

⁵⁰³ . التربية الإسلامية - مصادرها - أسسها - وأهدافها - ميادينها - أساليبها - وخصائصها - ودورها في مكافحة جريمة

المخدرات - متطلبات تعميمها لسليمان عبد الرحمن الحقييل (ص: 67)

⁵⁰⁴ . سورة آل عمران (الآية: 110)



سابعاً: تفريغ الطاقة

من أساليب التربية تفريغ الطاقات التي تتجمع في نفس الإنسان وفي جسمه وإطلاقها في سبيل البناء والتعمير والخير. وهي طاقات محايدة بالفطرة تصلح للخير وللشر للبناء والهدم والإسلام يوجهها الوجهة الصحيحة للخير، ويهتم بعدم تخزين تلك الطاقات أكثر مما ينبغي حتى لا تحدث أمراضاً نفسية للفرد وتنفرج انفراجاً يجعلها تنطلق إلى فساد.⁵⁰⁵

ثامناً: الأمثال

يعد أسلوب الأمثال من أهم الأساليب في عملية التربية لما له من تأثير إيجابي في إثارة العواطف والمشاعر وفي تحريك دوافع الخير في النفس البشرية، وفي تقريب المعاني والمجردات للأذهان في صورة محسوسة. وللأثر التربوي الذي تحدث الأمثال فقد اهتمت به التربية الإسلامية بهدف التعليم وأخذ العبرة والموعظة.⁵⁰⁶ يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾⁵⁰⁷

تاسعاً: الممارسة والتوجيه العملي

يعد الأسلوب العملي أرسخ للفهم والتعليم والإيضاح حيث يتحول القول إلى فعل والنظرية إلى تطبيق وممارسة. ومن أهم الفوائد التربوية لأسلوب الممارسة العملية:

1. تحقيق الربط بين العلم ونتائجه.
2. الوصول إلى أعلى درجة من الدقة والإتقان.
3. شعور المسلم بضرورة أداء المسؤولية الواجبة عليه.
4. تحقيق سعادة الفرد في رؤيته لنتائج جهده.
5. تقليل نسبة الأخطاء وزيادة درجة الجودة.

ولقد اهتمت التربية الإسلامية بهذا الأسلوب لكونه أبلغ أثراً وأعظم فائدة فلا جدوى للأفكار النظرية ما لم تكن مقترنة بعمل صالح⁵⁰⁸. يقول تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحَسُنَ مَا أَجْرُهُمْ﴾⁵⁰⁹

⁵⁰⁵ . التربية الإسلامية - مصادرها - أسسها - وأهدافها - ميادينها - أساليبها - وخصائصها - ودورها في مكافحة جريمة

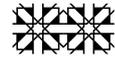
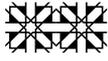
المخدرات - متطلبات تعميمها لسليمان عبد الرحمن الحقييل (ص: 68-69)

⁵⁰⁶ . التربية الإسلامية الأصول والتطبيقات لمحمد عبد السلام العجمي (ص: 137)

⁵⁰⁷ . سورة العنكبوت (الآية: 43)

⁵⁰⁸ . التربية الإسلامية الأصول والتطبيقات لمحمد عبد السلام العجمي (ص: 146)

⁵⁰⁹ . سورة الرعد (الآية: 29)



المبحث السادس: ميادين التربية الإسلامية

قلنا في الفصل الذي نتكلم عن أهداف التربية الإسلامية، إن هدف التربية الإسلامية هو تحقيق العبودية الخالصة لله جل وعلا، وتحقيق هذا هدف عظيم يتطلب تحقيق النمو المتكامل الشامل للإنسان روحا وجسما وعقلا واجتماعا. لهذا المفهوم يمكن تقسيم ميادين التربية الإسلامية إلى ما يلي:

أولا: التربية الروحية

ثانيا: التربية الجسمية

ثالثا: التربية العقلية

رابعا: التربية الاجتماعية

المطلب الأول: التربية الروحية

لما كانت التربية الإسلامية تنشئ بناء الإنسان بناء متكامل من جميع الجوانب، فمما لا شك أن الناحية الروحية تشكل جانبا أساسيا من ذلك البناء، لا بل أن جانب الأخرى إن لم تستند إلى هذا الجانب، وتكن في خدمته، فإن شخصية الإنسان تكون غير سليمة ولا تنسم بالاستواء.⁵¹⁰ الروح هي طاقة مجهولة لا نعرف كمها، إلا أنها وسيلتنا للاتصال بالله. وهي مهتدية إلى الله بفطرته، إنها من روح الله التي أودعها قبضة الطين قال تعالى:

﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ، وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾⁵¹¹.

ومن ثم فهي تهتدي إلى خالقها، وتتصل به على طريقتهما: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا﴾⁵¹². وتهتدي إليه كما يهتدي كل شيء من خلق الله بفطرته دون كد أو تعب ولا جهد في الاهتداء. والإسلام يعني عناية خاصة بالروح لأنه دين فطرة، فالحق أن الطاقة الروحية في الإنسان هي أكبر طاقته وأعظمها وأشدّها اتصالا بحقائق الوجود.⁵¹³ وطريقة الإسلام في تربية الروح هي عقد الصلة الدائمة بينها وبين الله في كل لحظة وكل عمل وكل فكرة وكل شعور فهو يذكي شعلة الإيمان فتظل على الدوام مضيئة ويستخدم لذلك وسائل شتى منها:

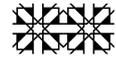
١. إثارة حساسية القلب بوجود الله وقدراته المطلقة التي ليست لها حدود.
٢. إثارة حساسية القلب برقابة الله الدائمة عليه وإثارة وجدان التقوى والخشية الدائمة من الله
٣. إثارة الحب لله والتطلع دائما إلى رضاه
٤. بعث الطمأنينة في القلب والتسليم بقضاء الله وقدره.

⁵¹⁰ . مناهج التربية الإسلامية لمحمد قطب (ص: 40)

⁵¹¹ . سورة الحجر (الآية: ٢٩)

⁵¹² . سورة الأعراف (الآية: ١٧٢)

⁵¹³ . مناهج التربية الإسلامية لمحمد قطب (ص: ٤٠-٤١)



فعلى المرابي أن ينشئ من يريبه منذ نشأته على هذه المفاهيم من التربية الإيمانية وعلى هذه الأسس من التعاليم الإسلامية، حتى يربط بالإسلام عقيدة وعبادة، ويتصل به منهجا ونظاما، فلا يعرف بعد هذا التوجيه والتربية سوى الإسلام دينا، وسوى الوحي دليلا، وسوى رسول الله صلى الله عليه وسلم قائدا وقوده.⁵¹⁴

المطلب الثاني: التربية الجسمية

حين نتحدث عن الجسم في مجال التربية فليس المقصود هو عضلاته وحواسه ووشائجه فحسب، وإنما نقصد كذلك الطاقة الحيوية المنبثقة من الجسم، والمتمثلة في مشاعر النفس وطاقة الدوافع الفطرية والنزوعات والانفعالات أي طاقة الحياة الحسية على أوسع نطاق.⁵¹⁵

وتهدف التربية الإسلامية إلى أن تحافظ على الجسم قويا نشيطا قادرا، وتعمل على تهذيب الطاقة المنبعثة منه بما يتمشى مع مطالب الذات الإنسانية ككل، من توافق على هذه المطالب بحيث لا يترك العناية بشهوات الجسد من شهوة بطن أو فرج، ولا يكبت رغبة من رغبات الجسد دون ما سبب، والتربية الإسلامية تعمل على تربية الكائن البشري بجميع خصا بجميع خصائصه، وجميع طاقاته واستغلالها كلها لتحقيق أهداف الحياة المشروعة، ومنهج الإسلام في هذه التربية هو احترام كل طاقة مادامت تؤدي مهمتها التي فطرها الله عليها.⁵¹⁶

وإسلام في تربيته للجسم، والطاقة الحيوية يراعى الأمرين معا، يراعى الجسم من حيث هو الجسم، ليصل منه إلى الغاية النفسية المرتبطة به. فحين يقول الرسول الكريم عن أبي محمد عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: أَخْبَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((إِنْ لَبَدْنَاكَ عَلَيْكَ حَقًّا))⁵¹⁷: من إطعام وإراحة وتنظيف وتقويم، فهو يدعو إلى هذه العناية الشاملة بالجسم كله، ليأخذ الإنسان بنصيب من المتاع الحسى الطيب الحلال الذي أمر الله به في توجيهاته الكثيرة ﴿وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾⁵¹⁸ ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ، وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾⁵¹⁹

أي لغاية نفسية مقامة على قاعدة جسمية، ثم ليوفر الطاقة الحيوية اللازمة لتحقيق أهداف الحياة، وهي أهداف تشمل كل كيان الإنسان.⁵²⁰

1. تربية الإنسان على اكتساب قواعد النظافة والطهارة بما يحافظ على سلامة الجسد
2. تربية الإنسان على تنظيم طعامه وشرابه، وعدم خضوعه لشهوة الطعام والشراب
3. تربية الإنسان على اكتساب المهارات البدنية لكي يتمكن جسده ممارساته

⁵¹⁴ . التربية الإسلامية مفهومها مصادرها... لسليمان بن عبد الرحمن (ص: ٤٠)

⁵¹⁵ . مناهج التربية الإسلامية لمحمد قطب (ص: ١٠٤)

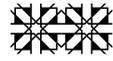
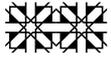
⁵¹⁶ . التربية الإسلامية مفهومها مصادرها... لسليمان بن عبد الرحمن (ص: ٤٢)

⁵¹⁷ . رياض الصالحين للإمام النووي (باب الإقتصاد في العبادة ج 1، ص: 120) صححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (رقم: 2587)

⁵¹⁸ . سورة القصص (الآية: 77)

⁵¹⁹ . سورة الأعراف (الآية: ٣٢)

⁵²⁰ . مناهج التربية الإسلامية لمحمد قطب (ص: ١٠٤)



4. تربية الإنسان على الحصول على مطالبه الجنسية واشباعها حسب الأسس التي حددها الإسلام هذه الأهداف التربوية الإسلامية في تربية الجسم، من الأساليب التي حرصت عليها التربية الإسلامية في الحفاظ على الصحة الوقائية، فالوقاية خير من العلاج، وما تحريم الخمر إلا وقاية للجسم من الأمراض، وللعقل من الانحراف.

المطلب الثالث: التربية العقلية

يقصد بالتربية العقلية تزويد فكر الناشئ، بكل ما هو نافع من العلوم الشرعية والثقافية والعلمية والتوعوية الفكرية الحضارية حتى ينضج الناشئ فكريا ويتكون علميا وثقافيا.⁵²¹ العقل البشري طاقة من أكبر طاقاته، ونعمة من أكبر نعم الله عليه. ﴿قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾⁵²² والفؤاد يستخدم في القرآن بمعنى العقل، أو القوة الواعية في الإنسان والقوة المدركة على وجه العموم.⁵²³ وعلى هذا فإن التربية الإسلامية تعنى بتربية العقل أي تزويده بالمعارف بشتى أنواعها التي تساعد على إعدادها ليكون إنسانا صالحا عابدا والتربية العقلية من وجهة نظر التربية الإسلامية لا تقل أهمية عن التربية الروحية والجسمية، لأن العقل له أهميته في حياة الإنسان من حيث إنه قوة مدركة في الإنسان خلقها الله فيه ليكون مسؤولا عن أعماله. ويمكن تلخيص أهم أهداف التربية العقلية في الإسلام فيما يلي:

١. مساعدة الإنسان على استعمال التفكير العلمي.
٢. غرس حب البحث العلمي في نفسه والسعي وراء الحقيقة.
٣. مساعدته على الاستفادة مما يتعلمه لاستخلاص النتائج والتطبيق، لاستعمالها فيما يعود عليه بالنفع وعلى مجتمعه.
٤. تربية الإنسان على أسلوب التفكير التأملي والتعامل مع قوى الكون.
٥. محافظة على الطاقة العقلية للإنسان وعدم شغل عقله في الأمور الغيبية ليتفرغ للتفكير فيما هو محل للتفكير. هذه أهداف التربية العقلية ويتضح جليا أن هذه الأهداف تستند إلى عدة قيم منها قيمة التعلم وقيمة التأمل والتفكير، وقيمة الدقة والتثبت العلمي.

المطلب الرابع: التربية الاجتماعية

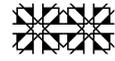
الميدان الرابع من ميادين التربية الإسلامية التربوية الاجتماعية، ونقصد بالتربية الاجتماعية تأديب الناشئ منذ نعومة أظفاره على التزام آداب اجتماعية فاضلة، تنبع من العقيدة الإسلامية السليمة، والشعور الإيماني العميق، لينشأ الناشئ على خيرها بمظهر من حسن التعامل والأدب والاتزان والعقل الناضج والتصرف الواعي الحكيم.⁵²⁴

⁵²¹ . تربية الأولاد في الإسلام لعبد الله ناصح علوان (ص: ٢٥٥)

⁵²² . سورة الملك (الآية: ٢٣)

⁵²³ . مناهج التربية الإسلامية لمحمد قطب (ص: ٧٥)

⁵²⁴ . تربية الأولاد في الإسلام لعبد الله ناصح علوان (ج ١، ص: ٣٥٧)



ولا شك أن لكل مجتمع إنساني سمات مميزة، والمجتمع الإسلامي مجتمع متفرد بسمات مميزة حددت هذه السمات في كتاب الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، كما أنه مجتمع له أهداف اشتقت هذه الأهداف من القيم الاجتماعية المستمدة أصولاً من التصورات الإسلامية للكون والحياة والإنسان، ومن القيم الاجتماعية التي تبنتها التربية الاجتماعية قيمة الإخاء وهي رابطة نفسية تورث الشعور العميق بالعاطفة والمحبة والاحترام. وهذا الشعور الأخوي يولد في نفس المسلم الصادق العواطف النبيلة في اتخاذ مواقف ايجابية من التعاون والإيثار، والرحمة، والعفو عند المقدرة.

وقد حث الإسلام على هذه الأخوة في العديد من الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾⁵²⁵. وقال تعالى: ﴿ وَأَذْكُرُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ يَهْتَدُونَ ﴾⁵²⁶

وقد روي عن ابن شهابٍ أَنَّ سَالِمًا أَخْبَرَهُ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَخْبَرَهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: ((الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يُسْلِمُهُ وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرْبَاتٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ))⁵²⁷.

والقيم الاجتماعية السامية التي تسعى التربية الإسلامية إلى غرسها في نفوس المسلمين كثيرة يطول بنا المقام لو أردنا استعراضها بالتفصيل ونكتفي هنا فقط بالإشارة إلى أهمها: وهي الرحمة، والإيثار، وصلة الرحم والتعاون على البر والتقوى، وبر الوالدين، ومراعاة حق الجار، والأمانة، والوفاء وغير ذلك. الابتعاد عن المساوئ الأخلاق مثل: الحسد، النفاق، الغيبة، الظلم، الحقد، الكذب، المكر، الهزء الطمع وغير ذلك من الأخلاق السيئات. لما ينتج هذه الأخلاق السيئة من أضرار على كل من الفرد والمجتمع. وعلى العموم فإن التربية الاجتماعية في الإسلام تسعى إلى تحقيق أهداف منها:

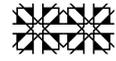
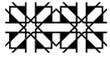
١. تربية الإنسان المسلم على تحمل المسؤولية الفردية، التي تتم المسؤولية في الإسلام.
٢. تربية الإنسان المسلم على حب أخوانه المسلمين والتعاون معهم.
٣. تربية الإنسان المسلم تربية اجتماعية متكاملة - أي تكتمل فيها أدوار المنزل والأقارب والمجتمع بكافة مؤسساته.
٤. غرس القيم الانسانية في التفاهم والتعاون مع المجتمعات الأخرى في ضوء تعاليم الإسلام.

وهذه الأهداف تعمل على إعداد الشخصية المسؤولية اجتماعياً من وجهة نظر الإسلام. إن تحقيق أهداف التربية الاجتماعية في الإسلام يجب علينا نحن معاشر المعلمين والآباء أن نغرس في نفوس أولادنا وطلابنا

⁵²⁵ . سورة الحجرات (الآية: ١٠)

⁵²⁶ . سورة آل عمران (الآية: ١٠٣)

⁵²⁷ . صحيح البخاري للإمام البخاري (باب لا يظلم المسلم المسلم ج ٢ ، ص: ٨٦٢ رقم: 2310)



عقيدة الإيمان والتقوى وفضيلة الأخوة والمحبة ومعاني الإيثار والرحمة والجرأة في الحق وغيرها من القيم الإسلامية السامية، حتى إذا شب الأولاد عن الطوق، وبلغوا السن التي تؤهلهم أن يحضوا الحياة.⁵²⁸ أدوا ما عليهم من واجبات ومسؤوليات اجتماعية دون تواكل أو تردد أو قنوط ثم بالتالي قاموا بكل الالتزامات نحو الآخرين دون اهمال في الحق أو تقصير في الواجب.⁵²⁹

المبحث السابع: مصادر التربية الإسلامية

تتقسم المصادر في التربية الإسلامية إلى ثلاثة أقسام سأذكرها فيما يلي:

المطلب الأول: القرآن

القرآن الكريم هو وحي الله إلى نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، وهو خاتم الكتب السماوية، ختم الله به رسالاته إلى البشر، وهو مصدر رسالة الإسلام التي خصها الله دون الرسائل الأخرى بالشمول والعموم.⁵³⁰ يعرفه علماء المسلمين بأنه "كلام الله، المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم المتعبد بتلاوته". وهو كلام الله المنقول إلينا بين دفتي المصحف نقلا متواترا لا شبيهة فيه لأن الله كتب له الحفظ والنقل المتواتر دون تحريف أو تبديل،⁵³¹ قال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾⁵³² القرآن الكريم هو المصدر الأول للتربية الإسلامية، للاعتبار التالية:

1. أجمع علماء المسلمين أن القرآن الكريم هو المصدر الأول لجميع الأحكام العلمية وجميع الأنظمة التي تطبق في المجتمع الإسلامي، سواء كانت أنظمة اجتماعية أو أنظمة سياسة أو أنظمة عسكرية أو أنظمة تربوية... إلخ.
2. معظم المسلمين القدامى الذين كتبوا في مجال التربية والتعليم، اعتمدوا على نصوص القرآن الكريم في كل قضية تربوية أو تعليمية ناقشوها.
3. معظم الباحثين المسلمين المعاصرين في مجال التربية والتعليم، يشيرون بأن القرآن الكريم مليء بالشواهد التربوية، وأن معظم آيات القرآن الكريم لها مدلولات تربوية.⁵³³

المطلب الثاني: السنة المطهرة

تعريف السنة لغة: عبارة عن الطريق المعتادة المحافظ عليها، التي يتكرر الفعل بمجوبها.⁵³⁴

⁵²⁸ . تربية الأولاد في الإسلام لعبد الله ناصح علوان (ص: ٣٧٢)

⁵²⁹ . التربية الإسلامية مفهومها مصادرها... لسليمان بن عبد الرحمن (ص: ٤٧-٤٩)

⁵³⁰ . الوجيز في علوم الكتاب العزيز للدكتور محمد خازن المجالي (ص: 15)

⁵³¹ . مدخل إلى التربية الإسلامية لعبد الرحمن الغامدي (ص: 24)

⁵³² . سورة الحجر (الآية: 9)

⁵³³ .. مدخل إلى التربية الإسلامية لعبد الرحمن الغامدي (ص: 24)

⁵³⁴ . الوجيز في أصول الفقه للدكتور عبد الكريم زيدان (ص: 161)

تعرف السنة في الاصطلاح الشرعي: هي ما صدر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، من قول أو فعل، أو تقرير.⁵³⁵ والسنة هي المصدر الثاني من مصادر التشريع التي أجمع عليها علماء الأمة الإسلامية، ويؤكد الإسلام وجوانب الالتزام والعمل بها في كافة جوانب الحياة، ونظمها الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والصحية والتربوية.⁵³⁶

وتمثل السنة النبوية حجية تربوية بما تحمله من توجهات دلالات تربوية أثرت النظرية والتطبيق وأفادت الفرد والمجتمع ولبت حاجة النفس الانسانية وفطرتها في تكامل وتوازن. وتأتي حجة السنة انطلاقاً من أوامر الله تعالى وتوجيهه بطاعة الرسول صلى الله عليه وسلم، وتنفيذ أمره وجعل طاعته من طاعة الله تعالى، وما أوضحه القرآن الكريم عن مهمة الرسول صلى الله عليه وسلم، يتضح كثير من الآيات ومنها: قوله تعالى: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّىٰ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾⁵³⁷ قوله سبحانه: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾⁵³⁸

المطلب الثالث: سير الرجال

إن لسيرة الرجال من الأهمية ما يجعلها مصدراً من المصادر التي نستقى منها أسلوب التربية الإسلامية. فإذا كان القرآن و السنة هما مصدرين لكل مسلم في جميع شؤون حياته، فإن تاريخ هذه الأمة المسلمة لا تضع إلا من خلال رجال باعوا انفسهم في سبيل الله فجعلوا الله غايتهم وأخلصوا أعمالهم له وجعلوا قدوتهم محمد صلى الله عليه وسلم. فكانوا خير قدوة لمن بعدهم باتخاذهم الكتاب والسنة منهجاً ودستوراً. وهذه السيرة التي تربي حياة هؤلاء الرجال على مر التاريخ إنما هي حلقات متصلة بالحلقات الأولى لسير الصحابة والتابعين الذين جاهدوا ليوصلوا لنا هذا الدين فكانوا مشاعل اضاءت لنا الطريق فسطرها التاريخ بين الصدق والوفاء، وفي القيادة والتنظيم والطاعة، وفي الإخلاص والعمل. وعلى رأس هؤلاء جميعاً الخلفاء الراشدون أبو بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم كما في الحديث الذي روي عن العرياض بن سارية رضي الله عنه قال عليه الصلاة والسلام: ((فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمُهْتَدِينَ عَضُوا عَلِمًا بِالنَّوَاجِذِ))⁵³⁹

الخاتمة

⁵³⁵ . نفس المرجع والصفحة

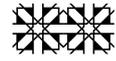
⁵³⁶ . مدخل إلى التربية الإسلامية لعبد الرحمن الغامدي (ص: 27)

⁵³⁷ . سورة النساء (الآية: 80)

⁵³⁸ . سورة آل عمران (الآية: 31)

⁵³⁹ سنن ابن ماجه لابن ماجه (باب اتباع سنة الخلفاء الرشدين ج 1، ص: 49 رقم: 42) رواه أبو داود والترمذي وابن

ماجه وابن حبان في صحيحه وقال الترمذي: حديث حسن صحيح

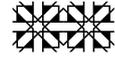


وفي ختام هذه الجولة الدراسية الوجيزة أحمد الله تعالى في الأولى والآخرة حمدا يليق بجلاله وعظمة سلطانه، وأصلي وأسلم على خير القدوة المرين، مؤسس الإسلام، وأعظم البشر خلقا وأحسنهم تربية، وعلى آله وصحبه المرين الطاهرين. وبعد، فبعد هذا التطواف القصير والتجوال المحدود بين صفحات كتب الإسلام ومصادر تربيته ومراجعها الصافية، وُقِّقَ الباحث بِمَنِّ الله وكرمه بالوصول إلى آخر مطاف هذه الدراسة المختصرة وقد تحققت له أهداف توصل من خلالها إلى النتائج التالية:

- أ. أن التربية العربية الإسلامية هي في حقيقتها التربية والنشأة المؤسسة على تعاليم الإسلام وشريعته الحنيفة الغراء.
- ب. أن التربية العربية الإسلامية في مرحلتها الأولى على التعليم والدراسة وكسب المعارف والعلوم المفيدة.
- ج. أن الركن الأساسي الركين للتربية العربية الإسلامية المستقيمة هي الأخلاق، فهي في حقيقتها معتمدة على الأخلاق الحميدة والشمائل النبيلة.
- د. أن التربية العربية الإسلامية صرفت عناية كبيرة إلى المرأة وأعطتها حرية كاملة فريدة النوع وحثت على الاهتمام بقضاياها والاعتناء بحوائجها وأحزانها أكثر من الرجل لأنها منهل التربية ومنبعها الصافي.

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم
- حمدي، علاء بن عبد الرحمن، المرأة والقضاء، القاهرة، دار الخيرية، 1998م.
- الدلال، سامي محمد صالح، المرأة المسلمة والولايات العامة، القاهرة، مكتبة الصفا، 2002م.
- محمد جميل علي، فتاة الشرق في حضارة الغرب، القاهرة، مكتبة وهبة، 1992م.
- أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين أبو الخير عبد الله بن عمر بن محمد البيضاوي، مكتبة الحقيقة، إستنبول، الطبعة الجديدة، سنة 1419 هـ / 1998 م
- مفردات ألفاظ القرآن، لحسين بن محمد بن المفضل المعروف بالراغب الأصفهاني
- مفاتيح الغيب للإمام محمد الرازي ابن العلامة ضياء الدين عمر المشتهر بخطيب الرأي
- مدخل إلى أصول التربية العامة لمحمد عبد الرحمن الداخل ونبيل أحمد عبد الهادي
- مدخل إلى التربية الإسلامية لعبد الرحمن، د. عبد الرحمان بن عبد الخالف بن حجر الغامدي، دار الخارجي للنشر و التوزيع، رياض، سنة 1318 هـ
- سيرة ومناقب عمر بن عبد العزيز لابن الجوزية
- أصول التربية الإسلامية لخالد بن حامد الحازمي
- تفسير القرآن العظيم لابن كثير، إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي، دار النشر، بيروت 1401 هـ
- صحيح البخاري، محمد إسماعيل أبوا عبد الله البخاري الجعفي، دارالنشر، اليمامة - بيروت، الطبعة: الثالثة، سنة 1407 هـ / 1987 م، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا
- فتح الباري، ابن حجر العسقلاني، دار الكتب الإسلامية، الطبعة الأولى 1422 هـ / 2002 م



- التربية الإسلامية الأصول والتطبيقات، دكتور محمد عبد السلام العجمي، دار الناشر الدولي رياض، 1427 هـ / 2009 م
- صحيح المسلم ، مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، دار النشر، بيروت، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي
- أصول التربية الإسلامية لسعيد اسماعيل القاضي
-
- Reynolds Jonathan T. “ Islam, Politics and Women’s” in comparative studies of south Asia, Africa and the middle east. VOL. XVIII، NO.1. 1998. P: 66.
- - Kurzman charles (Ed) Liberal Islam: A source book، Oxford University press، New york، 1998، P.21.